



الجامعة الإسلامية - غزة  
عمادة الدراسات العليا  
كلية الآداب  
قسم التاريخ والآثار

# النظام العسكري في دولة المماليك

(م 1517\_ 1250 هـ 923\_ 648)

إعداد الباحث  
هاني فخري عطيه الجزار

إشراف  
الأستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير(بحث تكميلي)  
في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

م 2007 - هـ 1428

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل  
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا  
تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله  
يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"

(الأنفال 60)

## اهـ داع

## \* إلى شهداء فلسطين الأكرم منا جمِيعاً..

\* إِلَى الْمُقَاوِمَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ ..

\* إلى والدى الغالبيين حفظهما الله ...

\* إلى زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء...\*

## \* إلی إخوانی وأخواتی وأقاربی...

\* إلى الأصدقاء والجيران والزملاء...

الباحث/ هانى الجزار

# شكراً وتقدير

الحمد لله ذي المنة والفضل والإحسان، الحمد لله الذي أعانتني فبلغت، ووفقني فأنجذت، والصلوة والسلام على رسوله المبعوث هادياً ومبشراً ونديراً.

امتنالاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم "من صنع إليكم معرفة فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" (أبو داود، السنن، 4445)

فإنني أتوجه بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور / رياض مصطفى شاهين، الذي تقضل بالأشراف على هذه الدراسة، وعلى ما أولاني به من تشجيع واهتمام ، وما غمرني به من فيض علمه، وكثير نصحه، وتسامحه وتواضعه ، وحسن معاملته وجميل صبره. كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الدكتور يوسف الزاملي والدكتور حسن المسحال لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة ومراجعة وتدقيقها وتكرمهما بإرشادي إلى مواطن الخلل والنقص ، كما وأسجل شكري وامتناني للأصدقاء الذين ساعدوني وشجعوني في إتمام هذه الدراسة وأخص بالذكر أستاذة اللغة العربية (سامي أبو غالى ، إبراهيم العطار، ضياء الغول، عصام سلامة) وماجد الجزار الذين دققوا الرسالة لغويًا وأود أنأشكر جميع أفراد أسرتي لما قدموا لي من تشجيع، وأخص بالذكر زوجتي التي حرمت على توفير كل وسائل الراحة أثناء انشغالني في البحث. ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في مساعدتي لإتمام هذا البحث ، والذي أسأل الله العلي القدير أن يكون في ميزان حسناته يوم القيمة.

الباحث

هاني الجزار

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
2	قرآن كريم
3	الإهداء
4	شكر وتقدير
5	قائمة المحتويات
8	المقدمة
12	دراسة لأهم مصادر البحث
55-15	<b>الفصل الأول: أصل المماليك ونشأتهم</b>
16	أصل المماليك
26	نشأة الجيش المملوكي
27	التربية والتدريب
33	العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكية
38	عناصر الجيش المملوكي وأقسامهم
44	الوضع السياسي والاجتماعي للجيش المملوكي
47	حجم الجيش المملوكي وتطوره
50	الإنجازات العسكرية للجيش المملوكي في نهايات العصر الأيوبى
52	وصول المماليك إلى الحكم
102-56	<b>الفصل الثاني: تنظيمات الجيش المملوكي</b>
57	- أماكن إقامتهم
60	- ديوان الجيش المملوكي
66	- زي الأجناد
71	- التموين
75	- الإقطاع العسكري
79	- أساليب المماليك والتعبئة والعسكرية والقتال
84	- الأطلاط وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف
88	- المتطوعون في الجيش المملوكي

91	- الفرق الملحقة بالجيش
91	* الفرق الهندسية
93	* الفرق الطبية
95	* فرق الموسيقى العسكرية
97	* حملة الأعلام
99	- الأسطول الحربي وتطوره
143-103	<b>الفصل الثالث: المؤسسات المساعدة في تنظيم الشؤون الحربية للجيش المملوكي</b>
104	- تنظيم البريد الخاص بالجيش
107	- الفرق الاستطلاعية والاستكشافية
110	- الخطط العسكرية وإدارة المعارك
117	- معاملة الأسرى
122	- المعاهدات والاتفاقيات
126	- تعيين القادة والرتب العسكرية
129	- أسلحة الجيش المملوكي وأنواعها الفردية والجماعية وصناعتها
139	- القلاع والخطط الدفاعية
171-144	<b>الفصل الرابع: أهم المعارك التي خاضها الجيش المملوكي</b>
145	* أولاً: فيما يتعلق بالمغول (معركة عين جالوت)
153	- أرض المعركة وزمانها
157	- مقدمات المعركة والفرق الاستطلاعية
158	- أحداث المعركة
160	- نتائج المعركة
163	- مطاردة فلول المغول

▪ صد هجمات مغولية عبر العصر المغولي

163

\* ثانياً: فيما يتعلق بالصلبيين ▪

165

- الحرب في عهد بيبرس ▪

169

- الحرب في عهد أسرة قلاوون ▪

172

**\*الخاتمة**

176

**\*الملاحق**

193

▪ المصادر و المراجع

204

**\*ملخص باللغة الانجليزية**

213

## المقدمة..

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنه إزاء السقوط الحضاري الذي شهدته الأمة الإسلامية منذ قرون، قامت محاولات عديدة هنا وهناك للنهوض، والعودة إلى مسرح القيادة، حيث جهد خلالها رجال الأمة ومفكروها على إحياء التراث في نفوس المسلمين، وبسط نفوذه على واقعهم من جديد، بعد أن أصاب الأمة الوهن، وعجزت عن حماية مكتسباتها، وإحياء التراث التاريخي الخاص بها وإن هذا البحث سيقف على مرحلة هامة من تاريخ الأمة ألا وهي حقبة تكالبت فيها قوى الشر ضد الإسلام والمسلمين ، حتى استطاع النظام العسكري المملوكي أن يحمي العالم الإسلامي من أخطر هجمات عبر تاريخه ألا وهم المغول والصلبيين، ومما لا شك فيه أن دراسة الأنظمة العسكرية من المواضيع الهامة وخاصة في زمن الضعف والهوان وتجبر القوى الظالمة في العالم في عصرنا هذا ، وإن الدراسات التي تناولت الجوانب العسكرية لا زالت عاجزة عن تغطية النقص في هذا المجال، بينما ترخر المكتبة الغربية بتلك الأبحاث من هذا النوع . و دراسة النظام العسكري المملوكي مهمة جدا لما تحمل تلك الفترة من أهمية بالغة، حيث استطاع هذا النظام العسكري بقيادة المماليك تحقيق انجازات بالغة الأهمية على صعيدين:

الأول: سحق الخطر المغولي الذي كاد يعصف بالأمة الإسلامية .

الثاني: إنهاء الوجود الصليبي من فلسطين بطرد آخر صليبي من عكا في عهد الأشرف خليل بن قلاوون.

ومن جانب ركز الباحث على الجيش المملوكي وعتاده وتدريباته وخططه وأنظمته المتعددة وانجازاته ومحاولة تجنب الخوض في عباب الأحداث الجانبيه من تاريخ دولة المماليك ، فالموضوع هو النظام العسكري ويجب التركيز على هذا الجانب فقط كي يتم إيجاد دراسة متخصصة موضوعية تبين للدارسين والمهتمين هذا النظام الفريد من نوعه، الذي حقق للأمة انجازات هامة ، كما أن تلك الدراسة لن تكون بحثا مقارنا بين أنظمة عسكرية متعددة، بل تتضمن النظام العسكري المملوكي فقط، وإن كان من الممكن التعرج بعض الشيء إلى النظام العسكري الأيوبى كونه سابقا على النظام العسكري المملوكي، ولا بد أن يكون هناك نوعا من السياق العسكري بينهما ، ولعل مثل تلك الدراسة تكون نموذجا طيبا لجيوشنا التي طال ضعفها.

ولعل الدافع الذاتي كان الأول وراء اختياري لهذا الموضوع، لما كنت أشعر به من ميل خاص نحو حقبة التاريخ المملوكي وإنجازاته العسكرية على ارض فلسطين المباركة ،على أن هناك دوافع موضوعية أذكر منها:

1 – أن دراسات وكتب التاريخ الإسلامي لديها قصور بتلك الأبحاث ومتغيب عنها دراسات الأنظمة العسكرية

2 – قلة البحث في التاريخ العسكري في تلك المرحلة التاريخية على الرغم من وجود تاريخ حضاري وثقافي.

3 – حاجة المجتمعات الإسلامية وخاصة مجتمعنا للتاريخ العسكري ولنموذج استطاع صد العداون الهمجي وحماية مكتسباته وحضارته وبقاءه رغم سقوط كل الشعوب التي وطأها المغول.

4 – محاولة تدعيم المسار الذي يقول بضرورة الاهتمام بالتاريخ العسكري الإسلامي في ظل الاهتمام بالتاريخ الحضاري التقافي للأمة الإسلامية.

5- خلق نموذج الانتصار في ظل الفرقة والتشتت في ظل ما يحدث على ارض فلسطين ومحاولات العالم لتحييد العمق الإسلامي والعربي من القضية الفلسطينية.

6- تجنب نقاط الضعف في العالم الإسلامي وثقافة الهزيمة التي أصبحت أمراً واقعاً ، ولدينا في تاريخنا الإسلامي ما يوجه القدرات و الطاقات إلى تغيير وإصلاح الواقع.

7- توضيح خطورة وجود الأنظمة العسكرية المتفرقة و المتناثرة بين أشلاء العالم الإسلامي.

8- إثبات انه يمكن خلق نظام عسكري قادر على مواجهة الأخطار المحدقة و المترقبة بالعالم الإسلامي.

وإن إشكالية أي بحث تسعى للإجابة عما يريد الباحث، والذي به تتحدد الأهداف المرسومة، وبحثنا هذا يرمي إلى تحقيق ما يلي:

1 – التعريف بالنظام العسكري المملوكي ومقوماته وأقسامه وإمكاناته وإنجازاته.

2 – محاولة جمع ما تفرق من تاريخ النظام العسكري المملوكي في المصادر التاريخية المتعددة

3 – التعرف على مدى إسهامات المماليك في صد الهجوم المغولية وطرد آخر صليبي من بلاد المسلمين.

4 – معرفة ما للجيش المملوكي والمتظعين من دور في مواجهة الأخطار والاحتلال الصليبي والمغولي .

6-معرفة أسباب الخلل والضعف الذي يصيب الجيوش وطرق الوقاية منها.

وأما فيما يتعلق ب مجال الدراسة، فقد تم تحديد الفترة المملوكية على أرض فلسطين من سنة 1260م وهو تاريخ عين جالوت إلى سنة 1517م وهو سقوط الدولة المملوكية

وبالنسبة للدراسات السابقة حسب ما أعلم أنه لا يوجد أي دراسة تتعلق بالنظام العسكري في ظل الدولة المملوكية، وإنما يوجد كتب ودراسات شملت التاريخ المملوكي في شتى المجالات العسكرية و الثقافية والحضارية بشكل عام، ولم تخصص دراسة عن النظام العسكري في العهد المملوكي، إلا انه وجدت دراسات تناولت المعارك التي خاضها الجيش المملوكي ضد المغول والصلبيين دون التعرض للنظام العسكري نفسه منها دراسة بعنوان جهاد المماليك ضد المغول والصلبيين للباحث عبد الله سعيد الغامدي وفي دراسة أخرى بعنوان الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري للعميد محمود نديم فهيم تم تناول الموضوع من وجهة نظر عسكرية بحثة، مجتهداً الباحث بحسب خبرته القتالية في الجيش المصري ،فقد ركز الباحث على الأساليب القتالية والتكتيكات العسكرية على حساب الجوانب الأخرى.

وقد تم استخدام المنهج البحثي التاريخي القائم على الوصف و النقد و التحليل من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية، ومن الصعوبات التي واجهت الباحث في جمع المادة العلمية هي أن معظم المصادر التاريخية كانت تقتصر في حديثها عن المعارك ونتائجها وأسماء السلاطين ولم تتحدث عن حالة المجتمع أو النواحي النظامية بشكل واضح وقد قسم الباحث الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وكان الفصل الأول بعنوان أصل المماليك ونشأتهم وفيه كل ما يخص المماليك قبل بدء دولتهم من المكان الذي جلبوه منه وكيفية تطورهم وتربيتهم حتى وصولهم للحكم في مصر، وأما الفصل الثاني فقد تحدث فيه الباحث

عن تنظيمات الجيش المملوكي من أماكن إقامتهم وديوان الجيش المملوكي و زي الأجناد و التموين والإقطاع العسكري، وأساليب المماليك والتعبئة العسكرية و الأطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف و المتطوعون في الجيش المملوكي و الفرق الملحة بالجيش، مثل الفرق الهندسية و الفرق الطبية و فرق الموسيقى العسكرية وحملة الأعلام و الأسطول الحربي وتطوره، وأما الفصل الثالث فقد تكلم فيه الباحث عن المؤسسات المساعدة وتنظيم الشئون الحربية للجيش المملوكي من تنظيم البريد الخاص بالجيش و الفرق الاستطلاعية والاستكشافية و الخطط العسكرية وإدارة المعارك و معاملة الأسرى و المعاهدات والاتفاقيات، وتعيين القادة و الرتب العسكرية وأسلحة الجيش المملوكي وأنواعها الفردية و الجماعية، وصناعتها و القلاع و الخطط الدفاعية، وفي الفصل الأخير كان الحديث عن أهم المعارك التي خاضها الجيش المملوكي وهي على شقين، الأول فيما يتعلق بالمعقول (معركة عين جالوت)، من خلال أرض المعركة وزمانها و مقدماتها و الفرق الاستطلاعية وأحداثها ونتائجها، ومطاردة فلول المعقول و صد هجماتهم، والشق الثاني فيما يتعلق بالصلبيين وفيه الحرب في عهد بيبرس وال Herb في عهد أسرة قلاوون .

والله الموفق.

الباحث

## دراسة لأهم مصادر البحث

إن من أهم المصادر الأصلية التي اعتمد عليها هذا البحث ما كتبه المقرizi المولود سنة 766هـ/1364م، المتوفى سنة 845هـ/1442م، الذي تقلد العديد من الوظائف كان آخرها الحسبة بالقاهرة، ويعتبر المقرizi من أشهر المؤرخين المسلمين، وله مؤلفات تاريخية كثيرة، وقد تميزت كتاباته بالدقة في إيراد الحقائق والاعتماد على الوثائق، وقد اعتمد البحث على كتابين له، وهما كتاب السلوك في معرفة دول الملوك، وكتاب المواتظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرizi، وقد أمد الكتاب الأول البحث في الموضوعات السياسية كمن حكم مصر من السلاطين المماليك، وما خاضوه من حروب ومعارك ضد التتار والصلبيين، وأما الكتاب الثاني فقد أمد البحث بتطور النظم وخاصة نظام الإقطاع الحربي وكل ما يخص الجيش من تموين وأماكن إقامتهم والزوى العسكري والأسلحة المستخدمة.

ومن المصادر التي أمدت الرسالة بالمعلومات أيضاً كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندى، الذي تكمن أهميته في أن القلقشندى شغل مناصب في الدولة المملوكية، مكنته من الاطلاع على الدواوين، وهي ما أعطت البحث قيمة وثائقية من حيث الأمور المتعلقة بنظام الدولة، والذي يشمل النظام العسكري نفسه وهو عنوان البحث ومن بين المعلومات التي تم الاستفادة منها، ما يتعلق بالأمور الإدارية والفنية، مثل البريد وديوان الإقطاع ومخازن السلاح والوظائف العسكرية.

كما تم الاستعانة بكتاب "تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء" للمؤرخ مرضي بن علي الطرسوسي المتوفى سنة 589هـ/1931م، وتكون أهمية هذا المصدر في موضوعاته والتي تتضح من

عنوان الكتاب نفسه وهي كيفية التصنيع العسكري والجوي، سواء في الأسلحة الجماعية أو الفردية، وكل ما يخص الجيش الإسلامي في هذا العصر من صناعات عسكرية وأماكن التصنيع ومكان الحصول على المواد الخام .

وأيضاً كان لكتابي ببرس المنصوري المتوفى سنة 725هـ/1325م دور كبير في إثراء البحث وهو كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية، الذي يتحدث عن تاريخ دولة المماليك البحرينية في الفترة ما بين 648هـ - 711هـ، والكتاب الثاني هو مختار الأخبار، وتكمن أهمية كتابي ببرس المنصوري في أن المؤلف نفسه شغل مناصب في الدولة المملوكية، وكان آخرها نائب السلطنة في مصر، وهذا ما يعطي مؤلفاته الأهمية البالغة من حيث إنه أحد رجالات النظام الحاكم نفسه.

ومن المصادر التي تستحق أن تذكر هو كتاب ماركوبولو الرحالة الإيطالي الذي أقام مع التتار لفترات طويلة، وكتابه هو رحلات ماركوبولو، وهو الكتاب الذي أعطى البحث موضوعية من حيث إن معلومات ماركوبولو الذي ذكرت في رحلاته كانت معاصرة ومعاينة لقلب الحدث في صفوف التتار، حيث إن المؤلف كان مرافقاً للحملات المغولية على البلاد الإسلامية منذ بدايتها.

أيضاً كان لكتاب الجهاد وفضائله للعز بن عبد السلام قيمة كبيرة في إثراء البحث، من حيث مكانة الشيخ العز بن عبد السلام ودوره في الجهاد المملوكي الإسلامي ضد المغول والصلبيين من بداية نشأة النظام العسكري المملوكي وحتى وفاة الشيخ.

كما تم الاستعانة بكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمданى، الذى شغل منصب الوزارة لعدد من دول المغول في فارس، حيث ذكر لنا معلومات دقيقة عن نظم المغول وحروبهم.

كما أن كتاب شافع بن علي الكاتب العسقلاني المتوفى سنة 730هـ/1329م وهو الفضل المؤثر من سيرة الملك المنصور أهمية بالغة من حيث إن المنصور قلاؤون حكم عشر سنوات

وخاص حروب طويلة ومتعددة ضد المغول والصلبيين على حد سواء، إضافة إلى عقد الاتفاقيات في عهده، كما تم فتح وتحرير الكثير من المدن الإسلامية.

وابن تغري بردي المتوفى سنة 874هـ/1469م بكتابه النجوم الزاهرة محل ذكر لاعتماد البحث عليه بشكل كبير فهو من المعاصرين للدولة المملوكية وأحداثها، وتميز كتابه بذكر الملوك والسلطانين الذين حكموا مصر، إضافة لذكر العلماء والقادة والأمراء فقد اعتمد على ذكر تفاصيل تولي السلطانين والأمراء وفي أي سنة كان ذلك.

كما تم الاستعانة بما كتب ابن خلدون، الذي عاش بمصر في فترة الحكم المملوكي وتقلد مناصب رفيعة في الدولة المملوكية، وكانت مقدمته التي تناولت الكثير من المواضيع بشيء من التحليل مثل نظام الحكم والأساليب القتالية والموسيقى العسكرية .

كما تم الاستعانة بسير أعلام النبلاء للذهبي الذي تناول فيه السلطانين المماليك وأهم أعمالهم. ومن المصادر التي أفادت البحث كتاب ابن أجا المتوفى سنة 881هـ/1477م "ال伊拉克 بين المماليك والعثمانيين الأتراك"، وهي رحلة الأمير يشك بن مهدي الدوادار وقد كانت مرافقة لإحدى الحملات العسكرية المملوكية وعلى الرغم من أن هذا المصدر كان في أواخر العصر المملوكي، إلا أن أهميته تكمن في وصف الحملات العسكرية وما كانت تحمله من عتاد وأعداد.

## **الفصل الأول**

### **أصل المماليك ونشأتهم**

- **أصل المماليك**

- **نشأة الجيش المملوكي**

- **التربية والتدريب**

- **العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكية**

- **عناصر الجيش المملوكي وأقسامه**

- **الجند السلطانية**

- **أجناد الحلقة**

- **أجناد الأمراء**

- **الوضع السياسي والاجتماعي للجيش المملوكي**

- **حجم الجيش المملوكي وتطوره**

- **الإنجازات العسكرية للجيش المملوكي في نهايات العصر الأيوبى**

- **وصول المماليك إلى الحكم**

## أصل المماليك:

يطلق اسم (المماليك) اصطلاحاً، على أولئك الرقيق - الأبيض غالباً - الذين درج بعض الحكام المسلمين على استحضارهم من أقطار مختلفة وتربيتهم تربية خاصة، تجعل منهم محاربين أشداء، استطاعوا فيما بعد أن يسيطروا على الحكم في مصر والشام وأحياناً الحجاز وغيرها قرابة ثلاثة قرون من الزمان ما بين 923-648 هـ / 1517-1250 م<sup>(1)</sup>.

وكلمة (مماليك) لغة: جمع مملوك، وهو الرقيق الذي يباع ويشتري، و(مملوك) اسم مفعول من الفعل (ملك)، واسم الفاعل (مالك) والمملوك هو عبد مالكه، سموه رقيقاً لأنهم يرقوا لمالكهم وينذلون ويخضعون<sup>(2)</sup>، ولكنه يختلف عن العبد الذي بمعنى الخادم، والمماليك أسسوا في مصر والشام دولتين متعاقبتين كان مركزهما القاهرة، الأولى دولة المماليك البحريية الأتراك<sup>(3)</sup>، وحكمت بعد سقوط الدولة الأيوبية في مصر حتى سنة 784هـ / 1382 م، حيث بدأت دولة الجراكسة<sup>(4)</sup> وهي ما يطلق عليها أيضاً دولة المماليك البرجية<sup>(5)</sup> واستمرت حتى سقوط دولة المماليك سنة 923هـ / 1517 م<sup>(6)</sup>. والمماليك البحريية سيتم الحديث عنهم بالتفصيل، فهم من أقاموا دولة المماليك في مصر والشام، أما المماليك البرجية أو ما يطلق عليهم الجراكسة فهم الجيش الجديد الذي أنشأه المنصور قلاوون<sup>(7)</sup> ليعتمد عليهم ضد منافسيه من كبار الأمراء وتكون سندًا له ولأولاده من بعده ضد الأمراء الأتراك.

(١) التركمانى، محمد: مقال منتشر عن المماليك البحريية، في منتدى التركمان بتاريخ 2/6/2006 م ، www.turkmens.forumup.com وانظر: المنصوري، التحفة الملوکية، ص 25. العسقلاني، شافع، الفضل المأثور، ص 25-26.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 124.  
(٣) انظر الجدول ص 178.

(٤) الجراكسة، أصلهم من بلاد الكرج (جورجيا) وهي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين، الأشقر، أتابك العسكر، ص 21.

(٥) انظر الجدول ص 178-179. وسموا البرجية لأن المنصور قلاوون فرض عليهم أن يمكثوا بأبراج القلعة حتى لا يختلطوا بغيرهم من طوائف المماليك والأهالى ويمورون الزمن سمح لهم الأشرف خليل النزول من القلعة بالنهار ويعودوا إليها قبل المغرب لل Mbait.. المكي، سبط النحوم، ج 3، ص 533.

(٦) ابن تغري بردي، النحوم الراهن، ج 7، ص 184. ابن العمامي الخلبي، شنرات الذهب، ج 6، ص 282. المكي، سبط النحوم، ج 3، ص 532.

(٧) قلاوون، هو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب منذ كان عمره أربعة عشر سنة لقب بالألفي كان عظيم الوجه مزهراً اللون حسن الشكل فصيحاً في اللغة التركية شجاعاً تولى السلطة في 12 رجب 678هـ وتوفي في 6 ذي القعدة سنة 689هـ ودفن بالمنصورية ومدة حكمه 11 سنة و3 شهور.

انظر: العسقلاني، الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، ص 25. القرمانى، أخبار الدول، ج 2، ص 274-275.

وإن استخدام المماليك لم يبدأ في نهاية العصر الأيوبي ، بل بدأ من قبل، حيث إن الدولة الأموية في الأندلس قد استخدمت المماليك ، فقد ورد أن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان صاحب الأندلس كان أول من استكثر من المماليك بالأندلس <sup>(1)</sup> كما أن الحكم بن هشام استكثر من المماليك أيضا وكان يسميهم الخرس لعجمتهم <sup>(2)</sup> وكان الخلفاء الأمويون في الأندلس يستخدمون المماليك كجنود في جيوشهم ويستغلونهم في التجسس على باقي الجنود والقادة داخل الجيش ، وكانوا الأقدر على الإخلاص في تلك المهمة <sup>(3)</sup> ، ويمكن تفسير ذلك بضعف المماليك واضطرارهم لتلك المهام لأنهم غرباء وضعفاء ورقيق لا حول لهم ولا قوة ولا يستطيعون رفض الأوامر الملقاة عليهم ، وقد بلغ عدد المماليك في الجيش داخل الأندلس في ذلك العهد ما يقارب من خمسة ألف جندي مملوكي <sup>(4)</sup> ومما ورد في المصادر التاريخية أن الخليفة المعتصم <sup>(5)</sup> هو أول من استكثر من المماليك الترك حتى بلغوا في عهده ما يقرب من عشرين ألفاً <sup>(6)</sup> ، وهو الذي بنى لهم مدينة سامراء(سر من رأى) في العراق ليقيموا فيها <sup>(7)</sup> ، وقد ورد أن المعتصم جلبهم من سمرقند وفرغانة وأشرسونة والشاش <sup>(8)</sup> ،

<sup>(1)</sup> ابن الأثير، الكامل ،ج5،ص308.

<sup>(2)</sup> المقرئ، نفح الطيب، ج 1 ، ص342. ابن الأثير، الكامل ،ج5،ص466. ابن خلدون، العبر، ج4،ص160-163.

<sup>(3)</sup> ابن الأثير ، الكامل ،ج6،ص402. ابن خلدون ، العبر ، ج3،ص439.

<sup>(4)</sup> ابن الأثير ، الكامل ،ج5،ص466.

<sup>(5)</sup> المعتصم، هو محمد بن هارون الرشيد ويكتنأ أبي إسحاق وأمه أم ولد من مولدات الكوفة واسمها مارده وكانت أحظى النساء عند هارون الرشيد وكان المعتصم أبيض وقبه الثاني لأنه ولد سنة ثمانين ومائة وله ثمانين بنون وثمانين بنات ومات و عمره ثمان وأربعون عاماً وخلقه ثمان سنين وثمان أشهر .انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 11، ص 25. المقسي، البدء والتاريخ، ج 6، ص 114.

<sup>(6)</sup> ابن كثير ،البداية والنهاية، ج 10، ص 296. ابن خلدون، العبر، ج5،ص370.

<sup>(7)</sup> المقسي، البدء والتاريخ، ج4،ص101.

<sup>(8)</sup> بلاد تركية في الشرق من آسيا خصبة كثيرة الخير ينتشر بها العلم وأهلها أدول على الجهاد وأشد بأسا وهي أول بلاد الترك تبدأ بفرغانة ثم السبيخاب ثم أشرسونة ثم الصاغد ثم بخارى ثم سمرقند. انظر: المقسي، البدء والتاريخ، ج6،ص38. البكري، معجم ما استعجم، ج3،ص775. المقسي، أحسن التقاسيم، ج1،ص222-223.

واستكثروا منهم حتى أصبح تواجدهم يطغى على بقية العناصر الأخرى<sup>(1)</sup>. ويرى بعض المؤرخين أن سبب إقبال المعتصم على شراء المماليك واستخدامهم في الجيش هو انقسام البيت العباسي، ووجود كتل قوية من العرب والفرس تهدد مصالح الخلافة ، فأصبح المعتصم يدرك أنه لابد من قوة جديدة ليس لها مصالح في سلب السلطة<sup>(2)</sup> ، ويبدو هذا الرأي منطقياً حيث أن المؤمن كان قد اتخذ من خراسان مقرًا له واستعان بالفرس في صراعه مع أخيه الأمين إلا أنهم لم يخلصوا له ، بل أخذوا بالتمرد على الخلافة مما جعله يبحث عن قوة جديدة تقف في وجه الفرس فاتجه إلى أخوه الترك فأكثر من شرائهم وأصبح لهم سلطة داخل الخلافة<sup>(3)</sup> .

أما في العهد العباسي الثاني فقد استطاع المماليك فرض فوتهم والتحكم بقرارات الخلافة<sup>(4)</sup> ، فسرعان ما انقلب الأمور على غير رغبة البيت العباسي نتيجة لاستكثارهم من المماليك والفئات الشرق آسيوية ، حيث وصلت الأمور لحد لا يطاق فيقول ابن طباطبا: "كان الخليفة في أيديهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا قتلوا"<sup>(5)</sup> ، وبلغت قوة المماليك في العصر العباسي الثاني مبلغًا عظيمًا ، حيث وصل بهم الأمر إلى أن يقوموا بقتل الخليفة ويجلبوه ابنه أو أخيه مكانه<sup>(6)</sup> ، واستمر تحكم المماليك بالخلفاء فترة طويلة ، وذلك لأنهم كانوا الطرف الأقوى في معادلة الحكم وهم أصحاب النفوذ والقوة العسكرية فاستمر نفوذهم من عهد المستنصر إلى عهد المعتصم<sup>(7)</sup> .

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 2، ص 234.

<sup>(2)</sup> ابن الأثير ، الكامل ، ج 10، ص 426. انظر : عدوان، المماليك وعلاقتهم الخارجية، ص 11.

<sup>(3)</sup> الأصفهاني، البرق الشامي، ج 2، ص 150.

<sup>(4)</sup> ابن الجوزي ، المنظم، ج 7، ص 119.

<sup>(5)</sup> ابن طباطبا، الغوري في الآداب السلطانية، ص 220. أبو الفضل، تكلمة تاريخ الطبرى، ج 1، ص 220.

<sup>(6)</sup> الذهبي، العبر، ج 4، ص 92.

<sup>(7)</sup> ابن الأثير ، الكامل، ج 9، ص 438. أبو شامة، الروضتين، ج 1، ص 120.

وقيل في ذلك كلاماً معبراً:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما تقول البيغا<sup>(1)</sup>

وظل وضع الدولة العباسية على هذا المنوال إلى أن جاءت خلافة المسترشد فباعه الناس وكان عمره ثلاثة وأربعين عاماً، وتمكن من فرض سيطرته عليهم حيث عرف بالقوة والشجاعة والفطنة<sup>(2)</sup>. وحقيقة إن هذا الحال لم يقتصر على البيت العاسي وإنما استطاع المماليك فرض سيطرتهم على بعض البلاد التي استقلت عن الخلافة العباسية واكتفت بالتبعية الاسمية فقط مثل الدولة الزنكية والدولة الطولونية في مصر<sup>(3)</sup>، وأول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية هو أحمد بن طولون<sup>(4)</sup>، وكان قبل ذلك يعتمد على جيش من السودانيين حيث بلغ عدد جيشه من السودان اثنين عشر ألفاً من السود<sup>(5)</sup>، وكان وجود المماليك إما بشرائهم كما تم الحديث سابقاً وذلك لضرورة اقتضتها تلك الفترات من التاريخ الإسلامي وخاصة في أوقات الحروب والأزمات، ليتم استغلالهم في بناء جيش قوي فيه من الرجال ما يسد حاجة الجيش من العدد اللازم لخوض الحروب لذا فقد كان لابد للأنظمة العسكرية التعامل معها بما يحمي مصالح المسلمين، وإما بسببيهم في المعارك والحروب وخاصة الأطفال منهم وقد كانت أحياناً الهدايا المقدمة للسلطانين والخلفاء تحتوي مجموعات كبيرة من المماليك مما جعل

<sup>(1)</sup> المكي، سبط النجوم، ج 2، ص 472.

<sup>(2)</sup> أبو شامة، الروضتين، ج 1، ص 420.

<sup>(3)</sup> الدولة الزنكية مؤسساًها عماد الدين زنكي بدأ بسيطرته على القلاع مثل شوش والحمدية ولما اتسعت دولته اتخذ من الموصل مركزاً له وكان لهذه الدولة دوراً كبيراً في مواجهة الصليبيين والدفاع عن المدن الإسلامية ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 193، ص 354.

ابن الأثير، الكامل ، ج 9، ص 290. ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص 569. أبو شامة، الروضتين، ج 1، ص 155.

<sup>(4)</sup> هو الأمير أبو العباس صاحب الديار المصرية والشامية والثغور وقد ولاد الخليفة العاسي المعذز مصر فاستولى هو على باقي الشام انتظر ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج 1، ص 173.

<sup>(5)</sup> الفقشندي، مآثر الإنابة، ج 1، ص 247.

منهم خدماً وحاشية وجنوداً في الجيش أيضاً<sup>(1)</sup> ، كما أن الإخشيد في مصر استخدم المماليك فقد جعل خمسة آلاف مملوك لحراسته ليلاً وهو نائم<sup>(2)</sup> وأصل المماليك من الأكراد والتركمان<sup>(3)</sup> ، كما أنه يوجد أجناس مختلفة من الأتراك والجركس والروم وبعض العرب<sup>(4)</sup> ، وكل سلاطين المماليك كانوا أصلاً مماليك سواء من الترك أو الجركس، ويعتبر عصر سلاطين المماليك البحرية هو عصر سلاطين الترك<sup>(5)</sup> أو حتى المغول الذين كانوا يوماً ما أعداء للمسلمين ومنهم كاتبوا الذي تسلط على مصر والشام وكان من أفضل السلاطين وخيرهم وأجودهم سيرة ونصرة للإسلام<sup>(6)</sup> ومن المدهش أن نجد نصوصاً تدل على وجود مماليك فرنج خاصة في العهد الأيوبي وكان يغلب عليهم الشقرة<sup>(7)</sup> ، ويبدو أنهم كانوا من الذين تم سبيهم خلال المعارك التي كانت تقع بين الأيوبيين والصلبيين الذين كانوا يحتلون مدنًا وقلعاً كثيرة وخاصة في بلاد الشام، وقد وصل سعر المماليك في هذا الوقت ديناراً لكل خمسة مماليك<sup>(8)</sup>.

ومما سبق تتضح حقيقة هامة وهي أن المماليك ليسوا من أصل واحد أو من منطقة واحدة وإنما هم نتاج لظروف خاصة ب تلك العصور سواء المملوكي أو العصور السابقة له ، حيث إن الأمر مرتبط بوجود شريعة متعارف عليها بين الأمم وهي السبي في الحروب التي كانت سبباً أساسياً لوجود المماليك لا سيما حينما يتم أسر أطفال كثر لدرجة جعلت الدول تفكر في حل لهؤلاء المماليك ، ولم يكن هناك خيارات أخرى لاستغلال هؤلاء الأطفال سوى استخدامهم كخدم

<sup>(1)</sup> ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص247. الطبرى، تاريخ الأمم والمملوك، ج4، ص105.

<sup>(2)</sup> أبو الفضل، تكملة تاريخ الطبرى، ج1، ص153.

<sup>(3)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص27.

<sup>(4)</sup> المقرىزى، الخطط، ج2، ص215.

<sup>(5)</sup> العسقلانى، الفضل المأثور، ص25-30.

<sup>(6)</sup> ابن كثير، البدایة والنہایة، ج3، ص339.

<sup>(7)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج9، ص198.

<sup>(8)</sup> المصدر نفسه، ج10، ص302. ابن خلدون، العبر، ج4، ص539.

أو تربيتهم وتنشئتهم على الإسلام، ومن ثم ضمهم إلى الجيش وخاصة إذا علمنا حاجة المجتمعات آنذاك للجند ، فالحروب كانت أكبر وأكثر من أن يستوعبها مجتمع واحد ، وتكلاليف الحروب الباهظة وعدد من يقتلون يجر أي مجتمع على البحث عن بديل ، ومن هنا فإن المماليك كانوا جزءاً من الحل المتاح وملاً لفراغ آنذاك. وبالنسبة إلى أصل معظم المماليك وخاصة في العهد المملوكي فهو الأصل التركي ، وذلك استمراراً لما كان في أواخر العهد الأيوبى<sup>(1)</sup> وخاصة خلال فترة حكم السلطان الصالح نجم الدين أيوب<sup>(2)</sup> ، وكان هذا السلطان قد اتخذ قراراً بجمع أكبر عدد من المماليك التركية ، فعندما عزل من إمرته في الشام على يد أخيه، انقض عنه ممالike الكردية ولم يفروا بجانبه وبقي معه عدة مماليك من أصل تركي ولم يتخلوا عنه مما جعل في نفسه حباً لذلك الجنس من المماليك<sup>(3)</sup> ، مما أثر على أحوال مصر والشام والمنطقة كلها لمئات السنين بعد ذلك ، حيث استمر جلب المماليك التركية على الخصوص في العهد المملوكي، لأن السلاطين الأوائل كانوا من الجنس التركي وبالتالي كان الأفضل لهم جلب أبناء جنسهم ويبدو ذلك كأمر احترازي وحافظاً على خلق جيل يخلاص لأبناء جنسه من مماليك الترك ، فطبقة الأمراء والسلطانين التركية جعلوا نصب أعينهم أنهم مماليك ولا حق لهم في السلطة ولا شرعية لهم، وبذلك لابد لهم من خلق واقع يرضي ببقاءهم في السلطة ، ولذلك نجد سلاطين المماليك يشجعون تجار الرقيق على جلب المماليك من بلاد أذبك وبلاد تبريز وبلاد الروم وبغداد ، وكانوا يدفعون الأموال الطائلة وقد وصل الأمر إلى أن يبيع الأب

<sup>(1)</sup> الملكي، سبط النجوم العالمي، ج3، ص529.

<sup>(2)</sup> الملك الصالح نجم الدين أيوب : هو آخر السلاطين الأيوبيين الأقوياء بمصر كان مهيباً عزيزاً نفساً عفيف اللسان كثير الصمت وهو الذي أنشأ المماليك الترك حتى صاروا معظم عسكره. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج6، ص331.

<sup>(3)</sup> المقرizi، السلوك، ج1، ص441.

أبناءه ليأخذوه للسلطان في مصر لما كان يحظى به المماليك في مصر<sup>(1)</sup>. والملحوظ من حياة المماليك في كنف سلاطين مصر أنهم الأوفر حظاً، حيث حظوا برعاية خاصة وبمسكن خاص وبكل خاص وبرواتب وتربيبة حسنة ، حتى إن المملوك صار من الطبقة الحاكمة ، بل إن سكان مصر والشام لا يملكون أن يصبحوا مثل المماليك ، فلو افترضنا جدلاً أن المصري يزيد الانحراف في صفوف المماليك فلن يمنح ذلك ، ومن الواضح أن شبه جزيرة القرم وأسيا الصغرى وفارس وبلاد ما وراء النهر وبلاد القوقاز والقفقاق كانت المناطق الأكثر تصديراً للمماليك ومن هنا فإن المماليك في معظمهم كانوا أتراكاً وشركساً وروم وروس وأكراد وأقلية من أوربا وصلوا إلى مصر عبر البحر الأسود ثم إلى بحر القرم ثم إلى خليج القسطنطينية ومنه إلى البحر المتوسط ثم إلى دمياط ثم إلى ميناء الإسكندرية<sup>(2)</sup> ، مما يفسر تعلييل وجهة نظر بعض المؤرخين من أنه تم تسمية المماليك بالبحرية لكيفية طريق وصولهم إلى مصر عبر البحار<sup>(3)</sup> ، ولعل ما يؤكد هذا الرأي واعتباره أقوى حجة من الرأي القائل بأنهم سموا البحرية لأن الصالح نجم الدين أيوب أسكنهم جزيرة الروضة<sup>(4)</sup> ، هو أن لفظ البحرية لم يكن فقط في عهد الصالح نجم الدين أيوب بل كان موجوداً قبله حتى في العهود السابقة للعصر المملوكي<sup>(5)</sup> ، وكان يسمى التاجر الذي يحضر المماليك للدولة المملوكية الخواجا<sup>(6)</sup> ويتبين مما سبق دور الصالح نجم الدين أيوب في تأسيس المماليك البحرية من خلال العلاقة التي ربطت الصالح نجم الدين أيوب بالجنس التركي لاعتقاده الجازم بإخلاصهم وولائهم بعد تجربته المريرة مع الأكراد وانفصالهم

<sup>(1)</sup> المقريزى، الخطوط، ج2، ص214.

<sup>(2)</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص192. انظر: عدوان، المماليك، ص15.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(4)</sup> المقريزى، السلوك، ج1، ص444. ابن تغري، النجوم الزاهر، ج6، ص221. ابن خلدون، العبر، ج5، ص430.

<sup>(5)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج7، ص224.

<sup>(6)</sup> ابن العماد الحنفى، شذرات الذهب، ج4، ص6.

من حوله وبقاء المماليك التركية على عهدهم معه رغم قلة حيلته آنذاك . ومن الممكن أن يكون سبب تسمية المماليك بالبحرية هو طريقة جلبهم عبر البحار ومكان إقامتهم الذي اختاره لهم الصالح نجم الدين أيوب في جزيرة الروضة<sup>(1)</sup>، ولو أن هناك نصوصاً تشير إلى وجود مسمى البحري في العصرين الفاطمي والأيوبي<sup>(2)</sup> بل إن مسمى البحري كان أيضاً يطلق على إحدى الفرق الصليبية المحاربة والتي كانت تقاتل المسلمين في السواحل الشامية<sup>(3)</sup> ، مما يعني أن الصالح نجم الدين أيوب لم يكن أول من سمي مماليكه بالبحرية ومهما يكن فإن ابن خلدون أنهى كلامه بخصوص المماليك التركية بأنهم كانوا الخيار الأفضل للسلطان الصالح نجم الدين أيوب وأنه كان لابد لأيوب أن يؤسس ذلك الجيش لحماية دولته وفرض النظام العام<sup>(4)</sup> ، فقد كان لابد في ظروف مثل التي مر بها أيوب أن يبني جيشاً جديداً ينفذ ويطيع ويخلص ولا يحمل في معتقداته مصطلحات الانقلاب أو الخيانة لصالح جهة أخرى ومن الواضح أن حاجة المجتمع آنذاك هي التي أدت إلى ظهور المماليك ومن المؤرخين المحدثين من عزى سبب ظهور حالة المماليك إلى الفوضى السياسية والفراغ العسكري الذي كان مهدأً ملائماً للمماليك بكفاءتهم العسكرية وقدراتهم<sup>(5)</sup> ، ومع أن الصالح نجم الدين أيوب هو الذي اشتري هؤلاء المماليك وجعلهم بطانته ومعظم عسكره، إلا أنه عاملهم بقسوة وحزم ولم يتهاون أو يتزدد في فرض أقصى العقوبات على أي خلل يظهر منهم، حتى أنهم كانوا يرتدون منه خوفاً على حد تعبير ابن تغري بردي<sup>(6)</sup> . ومن الطريف أن الصالح نجم الدين أيوب كان قد تزوج امرأتين من

<sup>(1)</sup> ابن خلدون، العبر، ج5، ص430.

<sup>(2)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج7، ص224. ج9، ص146.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج9، ص68.

<sup>(4)</sup> ابن خلدون، العبر، ج7، ص692.

<sup>(5)</sup> قاسم، علي، الأيوبيون والمماليك، ص126.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج6، ص331.

المماليك سيكون لإداحتهم دوراً بارزاً في تغيير مجرى التاريخ وتحويل الملك من الأحرار إلى العبيد وهي شجر الدر ، والزوجة الثانية بنت العالمة<sup>(1)</sup> ، وقد نسب المماليك إلى الصالح نجم الدين أيوب فأطلق عليهم المماليك الصالحية<sup>(2)</sup> ، وقد سبق أن كانت مماليك وسميت باسم أميرهم أو سلطانهم في العصور التي سبقت العصر المملوكي وحتى الأيوبي ، ففي الدولة الزنكية كانت فرق عسكرية مملوكية باسم نور الدين زنكي وأطلق عليها المماليك النورية<sup>(3)</sup> ، كما وجدت في الدولة السلجوقية مجموعات مملوكية في الجيش وسميت باسم نظام الملك الوزير السلجوقي وكان اسمها المماليك النظامية<sup>(4)</sup>، ووجدت مماليك البهلوانية<sup>(5)</sup> . وأما في الدولة الأيوبيّة فبدأ تسمية المماليك على اسم سلطانهم وأميرهم منذ تأسيس الدولة على يد صلاح الدين فكانت المماليك الصالحية<sup>(6)</sup> وكانت المماليك الأسدية نسبة إلى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي ، والمماليك الناصرية<sup>(7)</sup> ، ومن الواضح من خلال تقدير دور الصالح نجم الدين أيوب في إنشاء الجيش المملوكي أن يعتبر ذلك إيجابية لكون المماليك كان لهم دور كبير في القضاء على المغول والصلبيين. لكن بعض المؤرخين يعتقدون بأن ذلك العمل للملك الصالح نجم الدين أيوب كان وبالاً على الأمة الإسلامية لما له من آثار سلبية على الصعيدين السياسي والاجتماعي، خاصة بعد وصولهم إلى السلطة وتحكمهم في رقاب الناس حيث قالوا في ذلك:

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج6، ص331.

<sup>(2)</sup> الحموي، التاريخ المنصوري، ج1، ص2. ابن خلدون ن تاريخه، ج5، ص453.

<sup>(3)</sup> أبو شامة، الروضتين، ج2، ص12. ابن الأثير، الكامل، ج10، ص67. البرق الشامي، ج5، ص123.

<sup>(4)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج8، ص484. ابن خلدون، تاريخه، ج5، ص16.

<sup>(5)</sup> المماليك البهلوانية كانت في بلاد خراسان وخرفان ونسبة إلى ازبك بن البهلوان سنة 608هـ واستطاعت هذه المماليك السيطرة على مقايد الحكم في تلك البلاد لفترات زمنية محددة. انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج10، ص356، ص299.

ابن خلدون ، العبر، ج3، ص656.

<sup>(6)</sup> الحموي، التاريخ المنصوري، ج1، ص16.

<sup>(7)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج10، ص217 ، ص240. الحموي ، التاريخ المنصوري، ج1، ص8.

الصالح المرتضى أیوب أكثر من ترك بدولته يا شر مجنوب  
فالناس كلهم في ضر أیوب<sup>(1)</sup> لا وأخذ الله أیوباً ب فعلته

ولابد لنا في هذه الحالة أن نطرح سؤالاً مهماً وهو ما هي مبررات من اعتبر ظهور المماليك وبلا على الأمة؟ حيث إن المكي<sup>(2)</sup> مثلاً وهو من المؤرخين الناقمين على المماليك، كان قد ظهر في أواخر العصر المملوكي ، وهو الزمن الذي بانت فيه عيوب الدولة وأصبحت في غمرات الموت ، فكثرت الهزائم وتأخرت الصناعات وضعفت همة العلم وشاخت الدولة لحد انعدام الأمن وبات الاقتصاد هشاً ، وظهرت المجتمعات وتحولت طرق التجارة، ففي غمار تلك المعطيات لابد للمؤرخين أن يذموا الدولة ولكن المؤرخين المتقدرين كانوا على عكس ذلك حيث إنهم شهدوا الانتصارات والإنجازات العسكرية، خاصة تلك التي حققها سلاطين المماليك الأوائل، على الجبهتين الصليبية والمغولية ، فقد استطاع النظام العسكري المملوكي أن ينهي الوجود الصليبي تماماً سنة 688هـ/1291م، كما أن المماليك أوقفوا المد المغولي وطردوهم من الشام والعراق وبقيت العسكرية المملوكية بالمرصاد لأي محاولة من قبل التتار للتقدم حتى انتهى الخطر المغولي تماماً، بينما في أواخر العهد المملوكي دب الوهن والضعف في مؤسسات الدولة، سواء الضعف العسكري أو الضعف الاقتصادي، وعلى كل فالحكم على المماليك يصعب في بداية البحث وإنما يمكن أن يستنتج القارئ بعد أن يكون قد استقر فأصول البحث ومضامينه.

<sup>(1)</sup> المكي، سبط النجوم، ج4، ص17.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

## نشأة الجيش المملوكي:

قال تعالى : "وَأَمْدُوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ دِمَاطَ الْخِيلِ تَرْهِبُونَ بِهِ مُحَمَّدُ اللَّهُ وَمَحْوُمُهُ" <sup>(1)</sup> فتجهيز الجيش هو أمر من الله سبحانه وتعالى وهو الركن الأساسي في معادلة القوة اللازمة لردع الكفار ومساعدة الدولة الإسلامية في نشر الإسلام والدفاع عن الأرض ، ومن أغراض وأهداف هذا الجيش محاربة الكفر وتحرير الأرض الإسلامية التي احتلها الأعداء، ولقد كانت الفرق العسكرية من المماليك ضرورة أوجدها الحاجة إليهم بعد أن اختلف سلاطين الأيوبيين وانفضت عنهم الفرق العسكرية المختلفة ، فالملك الصالح حين اختلف مع أخيه وأقربائه من البيت الأيوبي لم يثبت معه إلا المماليك التركية ، أما باقي جنده وخاصة الأكراد فقد انضموا من حوله كما أسلفنا سابقاً ، ولذلك لما أصبح الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطاناً لمصر أكثر من شراء المماليك من الجنس التركي على الخصوص ، لما لاقى منهم من إخلاص وتفانٍ في خدمته وقربهم منه وجعلهم أمراء دولته<sup>(2)</sup> ، وبهذا بدأ التاريخ العسكري المملوكي فعلياً، ولكن تحت إمرة السلطان الأيوبي وكانوا على جاهزية قتالية عالية ، وسجل التاريخ لهم دوراً بارزاً في الدفاع عن الدولة الإسلامية ومن أهم إنجازاتهم العسكرية وهم تحت إمرة الأيوبيين صد الهجوم الصليبي الشرسة والتي حملت اسم الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والتي استطاعت احتلال دمياط<sup>(3)</sup> والاستقرار فيها وبالتحديد في فارسكور<sup>(4)</sup> .

<sup>(1)</sup> سورة الأنفال، الآية رقم 60

<sup>(2)</sup> المقريزي، خطط، ج 2، ص 236. ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 6، ص 319.

<sup>(3)</sup> للمزيد عن الحملة الصليبية السابعة، انظر: المنصورى، التحفة المملوكية، ص 25-26.

<sup>(4)</sup> فارسكور: هي مدينة على نهر النيل شمال مصر. انظر ابن بطوطة، رحلة، ج 1، ص 50. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 339. بلدة تبعد عن دمياط 12 كم بمحافظة الدقهلية

## **التربية والتدريب:**

كانت دولة المماليك تولي النشأة والتدريب والتعليم للمماليك أهمية كبرى بسبب المهمة المنوطة بهؤلاء المماليك وهي عبء الدفاع عن الدولة وحمايتها من أي اعتداء خارجي، ولابد للدولة أن تحسن تربية وتدريب هؤلاء المماليك ليكونوا على قدر المسؤولية ولذلك نجد الدولة الأيوبية قد ربطت التربية والتدريب بالدين لما له من أثر في تقوية النفوس واستمرت الدولة المملوكية بعد ذلك على نفس الطريقة المتتبعة في التربية والتدريب لاعتبارات خاصة، مفادها دور الدين في أن يكون حافزاً حيوياً يخلق جندياً قادراً على خوض المعارك الفاصلة والثبات في المواجهة وغلق الخيارات أمامه في إحدى الحسينين إما النصر أو الشهادة .

ومن هنا ومن خلال تتبع أسلوب التربية الخاصة بالمماليك من أول لحظة يتم شراؤهم فيها وأخذهم للطريق ومحل الإقامة الخاصة بهم وبدء البرنامج التربوي الخاص بهم ، ومنذ الطفولة تبدأ المدرسة التربوية المملوكية بتعليمهم القرآن والفقه<sup>(1)</sup> ، كما كان يتم تعليم الملوك مبادئ القراءة والكتابة وتقرر له جامكية<sup>(2)</sup>، وكانت الطواشية<sup>(3)</sup> هي المسئولة عن تربية الملوك حيث اهتموا بتربيته على الحشمة والحرمة وإتباع الشريعة الإسلامية في مناحي حياته ، بل كانت كل طائفة مملوكية لها فقيه يحضر لها كل يوم، يعلمها أمور الدين الإسلامي من القرآن والسنة ومعرفة الخط والتمرن بأداب الشريعة الإسلامية وملازمة الصلوات والأذكار وكان لا يتم

---

<sup>(1)</sup> المقريزي، الخطط، ج2، ص213.

<sup>(2)</sup> جامكية، مرتب للجندي وهو مبلغ من المال يحدد قيمته السلطان وأصل الكلمة فارسي. انظر ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج6، ص236.

<sup>(3)</sup> الطواشية، جمع طواشي وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة السلطان وحريمه وهنا ليس المقصود بالطواشية هؤلاء الخصيان إنما المقصود المربيين والمقاتلين على الرغم من أنهم نفس الأسم ، حيث كانت فرق الطواشية المقاتلة والمربيبة موجودة حتى في العهد الأيوبي ولذلك يجب التفريق بين المعنيين على الرغم أنهما نفس اللفظ. انظر ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج6، ص12. المقريزي، الخطط، ج2، ص120. طرخان، النظم الإقطاعية، ص163.

تعليمهم الفروسية إلا حينما يشبو<sup>(1)</sup>، ومن اشتهر ب التربية المماليك وتأديبهم الشيخ يوسف الدباغ المصري الشافعي<sup>(2)</sup>، وما اتصف به هؤلاء المماليك الذين جلبو من بلاد الترك قدراتهم العالية في الصبر والشطف وجرأتهم، خاصة حينما يدخلون الحروب، وذلك لأنهم لم ينعموا بالملذات وطيب العيش<sup>(3)</sup>. ويدرك أن تلك التربية الصارمة والحازمة هي التي جعلت من المماليك سادة يحكمون الممالك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يستطيعون تدبير أمورهم<sup>(4)</sup>. وبعد التربية الدينية والخلقية للمملوك كان يتم تدريسه على الفروسية واستخدام الأسلحة المختلفة، وأول ما يبدأ به لتدريب المملوك ركوب الخيل، ويبدأ ركوب الخيل بتعلم المملوك ركوب تمثال من طين أو خشب على هيئة فرس، ويعلمهم معلمهم الجلسة الصحيحة وكيفية الركوب، ثم يكلف كل واحد منهم بالوثوب على هذا التمثال حتى يتقن ذلك تماماً، ثم يضع سرجاً على ظهر التمثال ويدربهم على الوثوب بخفة ورشاقة وهم يحملون سلاحهم ومعدات الحرب والقتال ، فان اطمأن المعلم إلى قدرة المملوك على الوثوب والجلسة الصحيحة على التمثال بدأ تعليمهم على خيل حقيقية، وكان يشترط في الفارس المملوكي الدرایة بأمور الدواب مما يصيبها من أمراض وأسباب ذلك المرض وكيفية علاجه<sup>(5)</sup> حتى يتقن المملوك الجلسة على فرسه، فلا يتحرك إذا ركبه<sup>(6)</sup>، فركوب الخيل فروسية ومهارة تكسب متقنها قوة ورعباً وتمكن الفارس من توجيه المعركة إلى صالحه فيحرز النصر وينزل الهزائم بأعده، وقد أوصى بتعلم ركوب الخيل عمر

<sup>(1)</sup> المقريزي، الخطط، ج2، ص213-214.

<sup>(2)</sup> السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص340.

<sup>(3)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص169.

<sup>(4)</sup> المقريزي، الخطط ، ج2، ص214.

<sup>(5)</sup> نبيل عبد العزيز، مخطوطة نهاية المسؤول والأمنية، ص107، رسالة دكتوراة غير مطبوعة.

<sup>(6)</sup> الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص268-269.

بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل".<sup>(1)</sup> وإن اهتمام السلطان بنفسه في أمر التربية والتدريب ليعطينا دلالات واضحة على مدى اهتمام الدولة بذلك حيث كان السلطان المملوكي بنفسه يتبع التدريبات والتعليم ويشاهد نفسه ويقدم تعليقاته للمدربين والمتدربين<sup>(2)</sup> ويستمر المماليك بالتدريب والتنشئة العسكرية المكثفة حتى يصبح الفارس المملوكي قادرًا على استخدام جميع أنواع الأسلحة المتعارف عليها في ذلك العصر من الفروسية واللعب بالرمح ورمي النشاب والضرب بالسيف وكافة فنون الحرب<sup>(3)</sup>. وكان لابد قبل تدرج الملوك في أطوار الخدمة العسكرية والترقيات أن يكون قد أتقن استخدام كافة أنواع الأسلحة سواء الفردية أو الجماعية، ولا يبلغ الرتب العالية في الجيش إلا وهو على أحسن صوره العسكرية والقتالية ولديه من المهارات ما يجعله قادرًا على أن يكون فارساً قبل أن يكون قائداً يأمر وينهي إضافة إلى الصفات الخلقية من تهذيب النفس وتحليه بالأداب والأخلاق الحميدة، وأن تكون قد امترجت نفسه بتعظيم الإسلام ، واشتد ساعده، ومرن على ركوب الخيل ، بل وإن منهم من يصبح شاعرًا أو أديباً أو حاسباً ماهرًا، ورغم كل تلك الصفات التي حملها كل ملوك إلا أنهم كانوا تحت المراقبة والمتابعة، ومن ذلك أنه إذا أخطأ يعاقب، ووصل بهم الأمر إلى أنه إذا بلغ المسؤول عن أحدهم أنه اغتسل أحد الجنود المماليك من جنابة ينظر في سرواله ، فإن كان به مني لا يعاقب وإن لم يكن موجوداً جاءه الموت من كل مكان<sup>(4)</sup> وهنا لابد من وقفة إذ لابد من التأكيد على أن التربية العسكرية الصارمة كما يصورها المؤرخون أنفسهم لهذا العصر لا تحتمل ذلك الأمر المتعلقة بالنظر إلى سروال الملوك فهي تبدو من باب المبالغة

<sup>(1)</sup> الوكيل، القيادة والجندية في الإسلام، ج 1، ص 101.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 14، ص 164.

<sup>(3)</sup> ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص 164.

<sup>(4)</sup> المقرizi، الخطط، ج 2، ص 213-214.

أو ربما حدثت لمرة واحدة ، حيث لا يمكن قتل المملوك أو إنزال الحد عليه لمجرد أنه اغتصل ولا يوجد بسرواله مني ، لأن المملوك في هذه الحالة لو امتلك الحد الأدنى من التفكير لن يغتصل حتى ولو زنا أو أخرج منهاً بأي طريقة كانت، فالدولة المملوکية وسلطتها والقائمون على التربية لا يمكن أن ينزل مستوى قدراتهم العقلية للحد الذي يعتبر تخلفاً عقلياً مع سبق الإصرار، ولا يعني الشرع الإسلامي أحكامه على تلك الأمور. ومن الطريف أن نعثر على نصوصٍ تقييد بأن الدولة المملوکية كانت تأمر بفحص كل مملوك يتم شراؤه طيباً ، وهو ما تستخدمه الدول والمؤسسات في العصر الحديث من فحص أي متقدم للعمل قبل تعيينه، فقد عرف النظام العسكري المملوکي هذا الأمر من خلال توصية القائمين على إلحاقي المماليك بالنظام العسكري بأن يفحص الملوك الجديد فحصاً شاملًا للتأكد من سلامته صحته وعدم وجود أي مرض يمكن أن يصيب غيره بالعدوى من المماليك في الطلاق<sup>(1)</sup>. وبالرغم من وجود تلك التربية العسكرية القاسية إلا أن السلطان المملوکي كان يهتم بهؤلاء المماليك بنفسه من خلال الإنفاق عليهم بسخاء والإغراق عليهم وتقديم أجود أنواع الأقمشة والأطعمة كما سيتضح لاحقاً من خلال البحث ، وإن ما سبق ذكره لا يعني بالضرورة اعتبار تلك التربية قد سارت عليها الدولة المملوکية منذ نشأتها حتى سقوطها ويمكن تطبيق نظرية التاريخ على هذا الأمر وهو ما عبر عنه ابن خلدون من خلال تشبيهه للدولة بأنها تمر بفترات كعمر الإنسان ويمكن تعليم ذلك على كل مناحي التطور في الدولة وأسباب القوة ومن ضمنها التربية فوهة الدولة مرتبطة بنظمتها الاقتصادي والعسكري والتربوي..الخ<sup>(2)</sup> ، فقد سمح للمماليك الجراكسة بالنزول والإقامة بأحياء القاهرة والزواج من نسائهم ، فتركوا طباق القلعة وعاشرووا الأهالي وركنوا إلى البطالة فكانت حياتهم على حساب

<sup>(1)</sup> المقريزى، الخطط ، ج2، ص213.  
<sup>(2)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص163-169.

التربية العسكرية وهذا أدى بطبيعة الحال إلى ضعف المؤسسة العسكرية المملوكية في منتصف ونهايات العصر المملوكي<sup>(1)</sup>. ومن الملاحظ أن الدولة المملوكية في بداياتها اهتمت بالتنمية العسكرية على أكمل وجه، بل وشجعت الناس العوام على تعلم لعب الرمح ورمي النشاب ليكونوا جاهزين وقت الأزمات، حتى أن السلطان المملوكي نفسه كان يشجع العامة على تعلم الفروسية وأساليب الحرب وليس الجيش فقط، فما بقي أحد من العامة والجيش لا يتقن ذلك<sup>(2)</sup> ومن المعلوم أن الأمراء في الدولة المملوكية اهتموا برياضة الصيد فلا يكاد يوجد أمير إلا وكان له موعد مع الصيد والذي كان فيه من الفوائد ما لا يحصى مثل تمرين الخيل ورياضة للنفس ولذة في غير حرم، واكتساب الشجاعة ومعرفة ذوي الألباب، وفيها يتبع الإنسان عن الذنوب في وقت الصيد، كما يستغنى عن الأكل في غير وقت الحاجة كما يداوي ما به من الهموم والغموم ، كما أن الصيد يزيل عن الجسد بالحركات ما به من الأوجاع، كما أن الصيد يزيل الفكر ويدنّ النظر<sup>(3)</sup>، كما عمدت المؤسسة العسكرية المملوكية على أن يتقن الجندي السباحة جيداً، بل ويحملون السلاح أثناء العوم، حتى أن السلاطين أنفسهم أتقنوا السباحة وحملوا السلاح أثناء العوم وتنافسوا في ذلك مع الجنود مثل ما فعله بيبرس ذات مرة لدرجة أن عجز الجنود والأمراء عن منافسته في السباحة وجر الأنقال أثناء العوم<sup>(4)</sup>. ومن الواضح في النظام العسكري المملوكي أنه لابد لأفراده من ذلك الإتقان للسباحة، وخاصة أن دولة المماليك تطل على أهم البحار في العالم ابتداء من البحر الأبيض المتوسط الذي يفصلها عن أوروبا والبحر الأحمر في الجنوب الذي يعتبر من أهم المعابر والطرق التجارية آنذاك ، كما أن نهري دجلة والفرات

<sup>(1)</sup> المقريزى، الخطط ، ج2، ص213.

<sup>(2)</sup> المقريزى، السلوك، ج2، ص55.

<sup>(3)</sup> نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد في العصر المملوكي، ص12.

<sup>(4)</sup> المقريزى، السلوك، ج2، ص82.

كانا يفصلان الدولة المملوکية عن الهجمات المغولية وكثيراً ما تقابلا في معارك وحروب في تلك المنطقة ، إضافة إلى نهر النيل الممتد من الجنوب إلى الشمال في مصر، كما أن الدولة المملوکية ومنذ بداية تدريبها لكل جندي حرصت على التدريب العقلي بالإضافة إلى التدريب الجسمي ، إضافة إلى التدريب النفسي الذي يتلخص في الإيمانيات والروحانيات التي تأتي في إطار تعليمهم الشريعة الإسلامية وما جاءت به من تعليمات بخصوص الجهاد والمرابطة فكان الجندي المملوکي يلقى تدريبات وتمرينات كثيرة من شأنها تقوية القدرة العقلية لديه للتأمل في الكون وفي النفس <sup>(1)</sup>، وان يكون قتاله في سبيل الله ونفسه معلقة بالجنة وبذلك يكون قد خاض حرباً مقدسة فهو يدافع ويحشد لتحرير الأرض والإنسان من أجل مرضاه الله قبل كل شيء، والجندي حين يقاتل بالعقيدة يختلف عما إذا كان يقاتل لمجرد القتال في حد ذاته أو من أجل الغنائم ، والمملوك المجلوب من بلاد بعيدة لا يمكن أن يقاتل للدفاع عن أرض ليست وطنه إلا إذا تحصن بالإيمان والعقيدة ومن أجل ذلك كان الممالئ جنوداً نظاميين وليسوا مرتزقة وهذا ما كان من شأنه أن يبقى استمراية الجيش المملوکي في القتال لمئات السنين دون كلل أو ملل.

---

<sup>(1)</sup> الوكيل، القيادة والجندية في الإسلام، ج 1، ص 154.

## العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكيّة:

حقيقة إن العلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكيّة اختلفت من وقت إلى آخر، فهي لم تكن على وثيرة واحدة، والصفة المميزة لتلك العلاقات هي المنازعات والمنافسات وبيدو ذلك نتيجة متوقعة لأنهم جميعاً يرجعون إلى نفس الأصل، فقد كان كل منهم يطمع في السلطة لنفسه على حساب الآخر وكان ذلك يؤدي إلى سياسة الاغتيالات، وبدأ الصراع واشتدت وطأته بينهم بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب حين لم يستطع تورانشاه<sup>(1)</sup> ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب كسب ود هؤلاء النساء، حيث هدد بقتلهم وقطع رؤوسهم فما كان منهم إلا أن قتلوا شر قلته ، وتولت شجر الدر<sup>(2)</sup> الحكم التي رفض حكمها الكثيرون، سواء من مركز الخلافة العباسية في بغداد أو البيت الأيوبي الحاكم في الشام، وما كان من شجر الدر إلى أن قضت على الأزمة التي تعرضت لها من خلال الزواج من أحد النساء وهو عز الدين أيوب<sup>(3)</sup>، الذي لم يكن أقوى النساء مما جعله يدبر مؤامرة اغتيال للأمير الأقوى في المماليك وهو أقطاي<sup>(4)</sup>، وفي معركة العباسة 649هـ/1251م بين المماليك بقيادة عز الدين أيوب التركمانى والجيش الأيوبي الذى كانت تسانده فرقة المماليك البحريّة وعلى رأسهم بيرس وقلاؤون، اتضحت معالم الفرقة والمنازعات وحجم العداوة والبغضاء<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> تورانشاه: هو ابن للملك الصالح نجم الدين أيوب وكان قد أوصى والده بعدم توليه الحكم من بعده لأنه كان فاسداً وكان يقول عنه انه لا ينفع للملك وكان شارباً للخمر. انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص376. الحنبلي، شفاء القلوب، ص379-380.

<sup>(2)</sup> شجر الدر: تركية الجنس وقيل أرمينية اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب ويقال أهديت إليه من الخليفة العباسي وكان لا يفارقها سفراً أو حضراً وولدت له ابنها أسمته خليل ومات وهو صغير. انظر المقرizi، السلوك، ج1، ص459.

<sup>(3)</sup> أيوب: أصله من مماليك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه في حياة والده وكان يعمل جاشنكير وهو المسؤول عن تنزق الطعام قبل أن يأكل منه السلطان خوفاً من وجود السم داخله وينذر أن أيوب كان ملتزمًا بالصلة ولا يشرب الخمر وكان حسن الوجه والأخلاق. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج7، ص4. المقرizi، السلوك، ج1، ص464.

<sup>(4)</sup> ابن خلدون، العبر، ج5، ص420. وقد ذكر أن الفرقة التي كلفت بقتل أقطاي مكونة من ثلاثة أفراد من بينهم قطر. أقطاي: هو أحد أمراء المماليك التركية البارزين الذي دبر له مؤامرة القتل عز الدين أيوب التركمانى سنة ستمائة وأثنين وخمسين هجرية بعد أن استدعاه إلى القصر. انظر: المنصوري، التحفة المملوكية، ص35.

<sup>(5)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج7، ص46.

ومن ضمن الفرق المكلفة باغتيال أقطاي كان قطز<sup>(1)</sup> الذي سيتولى الحكم بعد اغتيال عز الدين أبيك وفرض الإقامة الجبرية على ابنه الصغير المنصور علي ، كان بيبرس<sup>(2)</sup> وقلاؤون وهم من أكابر أمراء المماليك قد هربوا إلى الشام بعد اغتيال كبيرهم أقطاي، وسنجد أن حادثة قتل أقطاي ستنافي بظلالها على الساحة العسكرية المملوكية حتى سقوطها ، وعلى الرغم من أن دماء أقطاي ذهبت أدراج الرياح إلا أنها كانت الحبر الذي كتب به قانون الدولة المملوكية، من ترسيخ لمبدأ سيادة الأقوى دون خجل أو مواربة ، مما جعل الشرعية للذى يستطيع أن يفرض نفسه بالمؤامرات والاغتيالات وأن يصبح القاتل هو السلطان نفسه، بعد نجاحه في اغتيال من سبقه<sup>(3)</sup>، فقد هرب بيبرس ومعه مجموعة من الأمراء، منهم قلاؤون الألفي إلى الشام ويبدو هروبهم لهدفين ، الأول إفاذ حياتهم لأنهم من جماعة المغدور أقطاي، والهدف الثاني اللجوء لحكام الأيوبيين في الشام كونهم أصحاب السلطة الشرعية في مصر ، الذين تربطهم مع هؤلاء الأمراء مصلحة مشتركة لاستعادة مصر من المماليك، وعلى رأسهم عز الدين أبيك وذراعه الأيمن قطز<sup>(4)</sup>، واستمرت المؤامرات حتى بعد اغتيال أقطاي حيث كمن كل من شجر الدر وأبيك البعضهم البعض، فأبيك أراد التخلص من امرأة قوية لها أطماع بالبقاء في مركز اتخاذ القرار، مما لا يرود له، وأما شجر الدر فشعرت بكل ما تشعر به المرأة من غيظ حين يفضل رجل عليها امرأة أخرى ، فأبيك استعاد امرأته الأولى والدة ابنه الوحيد المنصور علي، وجعلها زوجة الملك الشرعية واستثنى شجر الدر من هذا الشرف، مما جعل كل منهما يتربص بالأخر

<sup>(1)</sup> قطز: هو محمود بن مودود موصوف بالمواظبة على الصلاة والشجاعة مجاحد بطل وهو ثالث ملوك الترك تولى في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وخمسون وستمائة انظر: المقريزي، السلوك، ج1، ص507. اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص149. أبي شامة، ترجم رجال القرنين، ص210. اليونيني، دليل مرأة الزمان، م1، ص368.

<sup>(2)</sup> بيبرس، تركي الجنس حكم سنة 658هـ وتوفي 676هـ أي حكم ثمان عشرة سنة وشهرين وكانت وفاته في دمشق ودفن فيها وعاش سبعة وخمسون عاماً كان ذا دهاء وعزيمة وقد كان مملوكاً لعلاء الدين البندقداري وهو الذي أحيا الخلافة العباسية بالقاهرة. انظر المقريزي، السلوك، ج1، ص458. المنصوري، مختار الأخبار، ص12 القرطمي، أخبار الدول، م2، ص272.

<sup>(3)</sup> المنصوري، بيبرس، التحفة المملوكية، ص26-27. مختار الأخبار، ص12، 11. القرطمي، أخبار الدول، ص269-271.

<sup>(4)</sup> ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص60-61.

وسرعان ما انتصرت مكائد النساء، حيث استطاعت شجر الدر اغتيال زوجها السلطان بتدبير مؤامرة اغتيال محكمة، لكنها وعلى الرغم من حنكتها السياسية وقدرتها على إدارة الصراعات والتغلب على الأزمات المتعلقة بأمور الحكم مما جعلها تلعب بالأمراء المماليك كلعبة الشطرنج إلا أنها كانت ضعيفة أمام امرأة مثلها وهي الزوجة الأولى لأبيك، التي أرادت الانتقام من قاتلة زوجها، فكانت نهاية تلك المنظومة التآمرية بقتل شجر الدر شر قتلة وإلقاءها من نافذة القصر السلطاني، لتنتهي حياة شجر الدر<sup>(1)</sup>. ومن ثم تولى الحكم المنصور علي وهو ابن عز الدين أبيك الذي لم يكن مؤهلاً لقيادة الدولة والأمة<sup>(2)</sup> في وقت كان التتار على أبواب الشام بعد القضاء على مركز الخلافة العباسية، فتولى قظر أتابك العسكر الذي كان القائد الأقوى في الجيش المملوكي، في ظل غياب بيبرس الذي لم يتردد بعد عام من توليه قطر، وتحقيق إنجاز تاريخي هام وهو القضاء على الخطر المغولي، من خلال المعركة الفاصلة عين جالوت، فكانت حادثة قتل لقظر صاحب المجد في الانتصار الذي لم يشفع له عند بيبرس ومواليه، فاستغلوا فرصة خروج قطر إلى الصيد أثناء رجوع القوات المملوكية إلى مصر وقتلوه وولوا بدلاً منه بيبرس، الذي لم يواجه أدنى درجات الاستكفار على فعلته ، بل أصبح سلطاناً ظاهراً لدولة المماليك والذي تمكن من تأسيس دولة خاصة بالمماليك<sup>(3)</sup>. ومن المهم الإشارة إلى مسألة هامة تحسب للمماليك وخاصة إلى بيبرس، هي تكافف جهود المماليك وقت الأزمات والاعتداءات الخارجية على مر العصر المملوكي، وعلى سبيل المثال موقف بيبرس البطولي تجاه الأزمة التي عصفت بالبلاد الإسلامية حين دمرتها العنجية المغولية ، فقد تناهى أحقاده ورفض البقاء مع الأيوبيين في الشام، لأنهم

<sup>(1)</sup> ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص 60-61.

<sup>(2)</sup> القرماتي، أخبار الدول، م 2، ص 268-269.

<sup>(3)</sup> ابن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج 2، ص 1020. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 281-282. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص 30.

رفضوا مواجهة التتار ورجع إلى مصر ليكون تحت قيادة قطر في مواجهة التتار، وكان له دور لا يقل أهمية عن دور قطر داخل المعركة<sup>(1)</sup>، فقد تناهى أحقاده قبيل المعركة على الرغم من علمه المسبق بأن قطر كان له دور في اغتيال سيده أقطاي، ولو أن بعض المصادر لم تذكر اسم قطر في المجموعة التي اغتالت أقطاي<sup>(2)</sup> إلا أن الواقع يؤكد الظن بأن قطر متورط بحادثة الاغتيال، فقد قام أليك بتعيين قطر أتابكاً للعسكر المملوكي بعد حادثة اغتيال أقطاي، بل حمل قطر لقب نائب السلطنة وأمير للجيوش، وهو منصب جديد لم يعرفه المماليك من قبل وهي وظيفة مستجدة<sup>(3)</sup>، فلماذا كل هذه الثقة بقطر إن لم يكن متورطاً أو على الأقل غض الطرف عن تلك المؤامرة أو حتى إبادته للولاء لأليك؟ ومع كل ذلك فقد كانت رسالة بيبرس إلى قطر قبل رجوعه إلى مصر وفيها طلب الأمان ليتمكن من ملاقة التتار وصدهم عن عدوائهم تحمل كثيرا من المعاني البطولية<sup>(4)</sup>، وعلى الرغم من أن كثير من المؤرخين يجمعون على أن بيبرس هو المدبر والمنفذ لحادثة قتل قطر أثناء عودة الجيش من المعركة<sup>(5)</sup> فهي قضية لها ملابساتها الخاصة وهي بمجملها لا تدين بيبرس بقدر ما تعبّر عن واقع موجود وحالة عامة كانت بين النساء المماليك يتحمل وجودها كل النساء بلا استثناء سواء القاتل أو المقتول، فالقاتل يريد البقاء والسيطرة لأنّه يعتقد أنه الأفضل من خلال تربيته وعقليته ووضعه الاجتماعي والعسكري، والمقتول أيضاً يتحمل المسؤلية كونه أقر بواقع المؤامرات واقتاعه بقاعدة ضرورات الحكم، وحقيقة إن المصادر التاريخية<sup>(1)</sup> التي تناولت التاريخ المملوكي مليئة بحوادث الاغتيال والدسائس

<sup>(1)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص36. اليوني، ذيل مرآة الزمان، م1، ص366. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص475.

<sup>(2)</sup> المنصوري، الفضل المأثور، ص35. ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص60.

<sup>(3)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص33.

<sup>(4)</sup> ابن واصل ، مفرج الكروب، ج2، ص394. المقريزي، السلوك، ج1، ص42.

<sup>(5)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص101.0.اليوني، ذيل مرآة الزمان، م1، ص368.

<sup>(1)</sup> انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص433 العسقلاني، الفضل المأثور، ص35. ابن خلدون، العبر، ج5، ص433 ابن العمام، شذرات الذهب، ج5، ص336. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص199-199. بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص35.

بين النساء ولا مجال للخوض فيها بصفحات قليلة لا تفي بدراسة الموضوع، ولا تبين كل الملابسات الظاهرة والباطنة، فالحوادث التي تلت وفاة بيبرس تعبر عن ثقافة موجودة ، فالامير قلاوون مثلاً استولى على الحكم من ابن بيبرس لأنّه شعر بضعفه وجعل الحكم في أولاده، حتى أولاده لم يسلموا من الانقلابات حيث انتُخب على أولاده بيبرس الجاشنكير<sup>(2)</sup> وسيلار<sup>(3)</sup> واستولوا على الحكم ومن ثم استطاع الناصر محمد<sup>(4)</sup> استعادة ملكه منهم وقتلهم<sup>(5)</sup>، وحادثة اغتيال الملك المنصور لاجين<sup>(6)</sup> أيضاً كانت معبرة عن مدى وجود تلك المؤامرات حيث تم قتله وهو يصلي<sup>(7)</sup> ، وبالمجمل فإن حوادث تلك الاغتيالات لها ظروفها الزمنية والمكانية ، الذي يثير الاستغراب هو موقف الشعب من تلك الحوادث ، حيث كان لا يتدخل ولا يعنيه الأمر من قريب أو بعيد مما يطرح عدة تساؤلات ، وهي لماذا الدور السلبي للمجتمع من تلك الحوادث ويبدو أن السبب وراء ذلك هو أن المماليك جاءوا من بلاد بعيدة وحكموا تلك المجتمعات والتي لم تكن راضية عن ذلك لكنها لا تملك إلا أن تكون مستسلمة لأي منهم فكلهم سواء بالنسبة لتلك المجتمعات.

## **عناصر الجيش المملوكي وأقسامهم:**

<sup>(2)</sup> بيبرس الجاشنكير، هو أحد مماليك المنصور قلاوون وكان جركسي الجنس استطاع أن يستولي على السلطة بمصر في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بدار سلار ولقب بالملك المظفر. انظر: ابن العماد الحنفي، شذرات الذهب، ج6، ص18. اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص244. ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص48.

<sup>(3)</sup> سلار، كان أحد أمراء المماليك في عهد الناصر محمد بن المنصور قلاوون كان أسرم وذا هيبة وأصله أحد مماليك المنصور قلاوون وكان أحد المؤامرين على الناصر محمد وتولى نياية السلطنة لمدة 11 سنة واستطاع الناصر محمد الانتقام منه بقتل جواعاً مع انه بلغ من الجاه والمآل ملا يزيد عليه. انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص19.

<sup>(4)</sup> الناصر محمد، هو الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد بن السلطان المنصور قلاوون وهو السلطان التاسع من ملوك الترك في مصر ولد بالقاهرة سنة أربع وثمانين وستمائة تولى الحكم وعمره تسع سنين بعد مقتل أخيه الأشرف، خلعه كاتبغا ونفاه إلى الكرك ومن ثم عاد للحكم ولكن تحت سيطرة بيبرس الجاشنكير وسلامر مما جعله يترك الحكم للمرة الثانية ومن ثم عاد للحكم بعد أن اشتُد عوده وقتل بيبرس وسلامر. انظر، ابن العماد الحنفي، شذرات الذهب، ج6، ص134.

<sup>(5)</sup> القرماني، أخبار الدول، ص280-281.

<sup>(6)</sup> هو الملك المنصور لاجين بن عبد الله تسلط بعد خلع الملك العادل كاتبغا يوم الجمعةعاشر من صفر سنة ست وستمائة وأصله مملوك للمنصور قلاوون وعمل نائباً لدمشق. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج8، ص85.

<sup>(7)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج8، ص102-101.

إن الحديث عن عناصر الجيش المملوكي وأقسامه يحتاج إلى وضع إطار خاص له، لأن التنظيم الحقيقي للجيش وأقسامه سيظهر جلياً في الفصل الثاني تحت عنوان ديوان الجيش، أما هنا فسيتم الحديث عن عناصر الجيش بشكل عام، دون الخوض في التفاصيل ، فعناصر الجيش المملوكي في تلك الفترة لم تكن بالشكل المنظم فعلياً، وإنما كانت مجموعات مدربة ومقاتلة تخضع للنظام العسكري الأيوبي ، وإن كانت هي المجموعات الأكثر والأقوى، لكنها لم تكن ذات سيادة أو كيان مستقل أو معترفاً بها، وإنما اكتسبت الشهرة والاعتراف من خلال انتصارها الساحق في معركة المنصورة على الصليبيين، وازداد الاعتراف فيهم ككيان عسكري له شأنه في المنطقة بعد اغتيال تورانشاه الوريث الوحيد لملك مصر ، والجيش المملوكي كأي جيش عبر التاريخ فيه الأمراء والجند والمؤسسات العاملة ضمن المنظومة العسكرية .

وأقسام الجيش منذ قيام الدولة سنة 648هـ/1250م وحتى سقوطها على يد الأتراك العثمانيين 923هـ/1517م يتكون من ثلاثة فئات رئيسية هي:

(الجند السلطانية -أجناد الحلة- أجناد الأمراء) وكانت هذه الفئات الثلاث تخضع لنظم وقواعد خاصة ، كما كانت لها حقوق وعليها واجبات ، وأشرف عليها جميعاً ديوان الجيش المملوكي<sup>(1)</sup>، وإن هذا الديوان أضبط الدواوين وأكثرها دقة ونفعاً<sup>(2)</sup> وفيه سجلات النظام العسكري كله من أسماء ورتب ورواتب وإقطاعات الأمراء وأحوال الجند.

### أ-الجند السلطانية:

<sup>(1)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 53-54. عاشر، العصر المماليكي، ص 359.

<sup>(2)</sup> المقرizi، الخطط، ج 2، ص 215.

وهم أعظم الأجناد شأنًا وأرفعهم قدرًا<sup>(1)</sup>، وأطلق عليهم اسم **السلطانية** لأنهم خاصة السلطان، فهو المسؤول المباشر عن شرائهم وتربيتهم وإقامتهم وكسوتهم وإطعامهم ، لدرجة أنهم مقيمون بنفس مكان السلطان في طباق القلعة ، وكان من مهامهم الأساسية حراسة السلطان والقلعة والمناوبة على ذلك<sup>(2)</sup>، وهم خليط من قوميات مختلفة بحسب ما كان الناجر يأتي بهم ويتم استيعابهم بطبق القلعة بنظام معين وتربيبة خاصة وإتباع أسلوب التدرج حتى يصبحوا فرساناً أشداء كقوات خاصة لأداء مهام السلطنة بلا نقاش مقابل إقامتهم الكاملة، والإغراق عليهم بشكل كبير، وكان معظمهم من الأكراد والتركمان<sup>(3)</sup>. ثم بدأ استيعاب مماليك جدد من قوميات مختلفة من الشركس والروم والروس، وأقلية من البلاد الأوروبية ولكن معظم من كان بالقلعة من المماليك السلطانية كانوا مجلوبيين من جزيرة القرم وبلاط القوقاز والقجاق<sup>(4)</sup>، وقد بلغ عدد المماليك السلطانية في عهد المنصور قلائلون ستة آلاف وسبعين مملوك فأراد ابنه الأشرف خليل<sup>(5)</sup> تكميل العدد إلى عشرة آلاف مملوك<sup>(6)</sup>. وانتسب المماليك السلطانية إلى سلاطينهم وأساتذتهم بالاسم مثل الظاهرية نسبة إلى الظاهر بيبرس، والأشرفية نسبة إلى الأشرف، والناصرية نسبة إلى الناصر، والمنصورية نسبة إلى المنصور قلائلون وهذا<sup>(7)</sup>

## ب- أجناد الحلقة:

<sup>(1)</sup> الفلاقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص14-15-16.

<sup>(2)</sup> العسقلانى، الفضل المأثور، ص128.

<sup>(3)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص27.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ص27-28. وانظر عدوان، المماليك، ص15. قاسم، علي، الأيوبيون والمماليك، ص127.

<sup>(5)</sup> هو ابن للملك المنصور قلائلون تولى السلطنة بعد أبيه وفي عهده تم زوال دولة الفرنجة من بلاد الإسلام وتم فتح الكثير من البلدان مثل عكا وقلعة الروم وصور وعنتيل وصيدا وبيروت وحيفا وبعد مقتله تولى أخيه الناصر محمد انظر، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص334. المنصورى، مختار الأخبار، ص92. ابن دهقان، التحفة المسكية، ص91. العليمي، الأنس الجليل، ج3، ص393.

<sup>(6)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص348.

<sup>(7)</sup> انظر: ابن تغري بردي، ج11، ص89. ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة، ج2، ص319، ج6، ص209.

جاء في المعجم أن الحلقة هي كل شئ استدار كحفلة الحديد والذهب والفضة، وكذلك إذا استدارت مجموعة من الناس<sup>(1)</sup>، وقد جاءت كلمة الحلقة في المصادر التاريخية المتعددة بمعنى السلاح، وبمعنى الدروع كونها مصنوعة باستدارة<sup>(2)</sup> وقد عرفت فرق الحلقة في الجيوش الإسلامية السابقة للعهد المملوكي، فذكرت في العهد الزنكي، كما ذكرت في العهد الأيوبى في جيش صلاح الدين<sup>(3)</sup> وأما في العهد المملوكي فقد كانت تتكون تلك الفرقة من محترفي الجنديه من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم، وهم على هذا الأساس جيش الدولة الذي لا يتغير ولا يتبدل، وهو صمام الأمان للنظام العسكري المملوكي، ويشرف على كل ألف منهم أحد الأمراء المئتين كما كان لكل مئة منهم نقيب، ويشرط فيه الإمام بمحل إقامتهم لجمعهم عند الطلب وليس لأميرهم سلطة عليهم إلا في الحرب، وقد أضيف إليهم الفيالق المأجورة من التركمان والبدو الذين كانت مصالحهم ترتبط بالسلطان لحماية ممتلكاتهم، حيث إنهم أحرار أو مماليك حصلوا على حريتهم أو أبناء المماليك السلطانية بالأصل، وهم الذين حصلوا على إقطاعات في أرجاء الدولة المملوكية مقابل حضورهم أثناء الحاجة ووقت الحروب بمعنى أنهم ما يطلق عليهم في العصر الحديث الجيش الاحتياطي وهم من محترفي الجنديه، وقد أطلق عليهم مصطلح أولاد الناس<sup>(4)</sup>، وهؤلاء كانوا يقيمون بإقطاعاتهم أو ببيوتا لهم وموزعين بالإقطاعات والإمارات والقلاع وبكل أرجاء الدولة المملوكية وكان يقع على عاتقهم المساعدة الفورية وقت الحاجة، على خلاف المماليك السلطانية الذين كانوا في طباق القلعة تحت عين السلطان والمكلفين بحماية

<sup>(1)</sup> ابن منظور ، لسان العرب، ج10، ص61.

<sup>(2)</sup> الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص85. البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص31. ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص319.

<sup>(3)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج10، ص2196.

<sup>(4)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج8، ص162. سيمونوفا، صلاح الدين والمماليك، ص76

العرش دائماً وفي كل الأوقات، ونفقاتهم على السلطان سواء في مأكلهم أو إقامتهم أو كسوتهم وهم يعتبرون الحرس الخاص للسلطان<sup>(1)</sup>، وكان لكل أربعين من أجناد الحلقة مقدم<sup>(2)</sup>. وكان يتم اختيار مقدمي الحلقة بعناية فائقة، ويشرط فيهم صفات القوة والأخلاق العالية ، ويبدو أن مسمى أجناد الحلقة جاء في إطار أن هؤلاء عبارة عن مجموعات متفرقة في شتى أرجاء الدولة من ثغور وقلاء، وخاصة في أطراف الدولة المملوكية حين يتم طلبها تأتي في حلقات كل حلقة تملك سلاحها وتجهيزاتها، فهي تأتي بمعنى مجموعات أو فرق ، كما أن هناك علاقة بين المسمى والأرض المقطعة لهم، حتى إن الجنود سموا باسم أجناد الحلقة أي الجنود التابعين لحلقات الأمراء الإقطاعيين. ومن الواضح أن المماليك السلطانية يمكن أن يصبحوا من أجناد الحلقة حين ينعم عليهم السلطان بذلك من خلال فك الارتباط معهم بإعطائهم إقطاعاً في منطقة ما في الدولة المملوكية، فكما فعل السلاطين مع كثير من أجنادهم وأمرائهم<sup>(3)</sup> بيد أنه من الصعب أن يصبح أجناد الحلقة من المماليك السلطانية، وكأن المسالة هنا تتعلق بطريقة تدرج العنصر المماليكي، فالمماليك الجدد لا يمكن لهم أن يصبحوا أجناد حلقة، بل ضمن المماليك السلطانية ليتم إعدادهم الإعداد الكامل، وعلى الرغم من أن المماليك السلطانية وأجناد الحلقة مختلفين عن بعضهم في الحقوق والواجبات إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن أحدهما أفضل من الآخر، فلكل منهم ميزاته التي يحسد عليها، ومن خلال تتبع أصول أجناد الحلقة يلاحظ أن المماليك الذين أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وأصبحوا من أجناد الحلقة ليسوا هم أجناد الحلقة فقط، وإنما أجناد الحلقة تشمل أيضاً الفرسان من أبناء مصر والشام الأصليين ، كما تشمل أبناء المماليك الذين تم

<sup>(1)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 14-16.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ج 4، ص 16.

<sup>(3)</sup> المقرizi، الخطط، ج 1، ص 250، ج 2، ص 5-2.

إعطاؤهم حريتهم<sup>(1)</sup>. وما يؤكد أن المماليك السلطانية كانوا أوفر حظاً في الرواتب هو أن الأجناد السلطانية يفوق راتبهم أجناد الحلقة، وكذلك أمراء الجهتين، بل وإن إمرة أجناد الحلقة تزول بمجرد انتهاء الحرب<sup>(2)</sup>، وليس له على الجند سلطان بعكس المماليك السلطانية الذين يبقى لهم حق الإمارة على جنودهم<sup>(3)</sup>، ومن الطبيعي أن أجناد الحلقة كانوا أقوى في بدايات العصر المملوكي، وانحدر مستواهم كلما انحدرت الدولة ، فالقوة دائماً مرتبطة بقوة الدولة ذاتها وكأي انهيار لمؤسسات الدولة، فإن أجناد الحلقة لم يكونوا بعيدين عن حركة الانحدار، فبعد عصر الناصر محمد بن قلاوون دخلت عناصر غريبة تدريجياً إلى أجناد الحلقة من خلال قيام أجناد الحلقة المعينين من قبل السلطان ببيع إقطاعاتهم ومبادلتها بمال مع أراذل الناس على حد تعبير المقرizi حيث قال: "وصار في زماننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات وخربت أراضي إقطاعاتهم"<sup>(4)</sup>. و كان ضمن أجناد الحلقة أبناء أمراء المماليك أيضاً<sup>(5)</sup>. كما دخل أولاد السلاطين أنفسهم أجناد الحلقة، حيث لا يعقل أن ينضموا أولاد السلاطين إلى المماليك السلطانية والذين يعتبرون عبيداً للسلطان أو للدولة، لكن أولاد السلاطين كانوا أكبر أجناد الحلقة والصف الأول فيهم وكان يطلق عليهم الأسياد<sup>(6)</sup>.

### ج-أجناد النساء:

ويقصد بهم مماليك النساء، وقد كانت تلك القوات مسجلة في ديوان الجيش، وهم موزعون في أقطار المملكة وببلادها، وفيهم العرب والتركمان والأترراك والجركس والروم والأكراد

<sup>(1)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص216.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(3)</sup> . المصدر نفسه، ج2، ص216.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج3، ص355-356.

<sup>(5)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص216.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص142.

و غالبيتهم من المماليك الم Bates، وهم طبقات، أكابرهم من له إمرة مئة فارس و تقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل، و منهم أمراء طبلخانات لهم ما بين الأربعين والسبعين فارساً<sup>(1)</sup>، ولكن جنود الأمراء يتلقون أوامرهم من أمرائهم مباشرة، وليس من السلطان كالـ **المماليك السلطانية** أو أجناد الحلقة، فأجناد الأمراء مسجلون في الديوان تحت اسم أميرهم ولا يستطيع الجندي أو الأمير تغيير تبعيته إلا بأمر سلطاني عن طريق الديوان<sup>(2)</sup>، وكانت رواتب وأعطيات أجناد النساء أكثر بكثير من رواتب وأعطيات أجناد الحلقة فقد كانت تصل سبعة آلاف دينار إلى أمير العشرة أما أجناد الحلقة فألف و خمسين دينار فقط<sup>(3)</sup>، و تعتبر أجناد النساء هي الأكثر عدداً من جند المماليك السلطانية أو أجناد الحلقة، وقد بلغ مجموع الجندي كلهم في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون من سلطانية و حلقة وأجناد النساء أربعة وعشرون ألفاً، وكان أكثرهم جند النساء حيث بلغوا قرابة نصف العدد و حدهم<sup>(4)</sup>. وأمراء الأجناد بالأصل كانوا مماليك صغراً ثم أنعم عليهم السلطان بالحرية لكافئتهم القتالية، و أعطاهن صلاحيات وإمرة و تشريفة خاصة وكانت الرتبة التي يحصل عليها الأمير المملوكي تجعله سلطاناً مصغراً له إسطبل و مخازن و مجموعة من المباني وله من الموظفين ما يكفيه، إضافة إلى افتتاحه عدداً من المماليك سموا بأجناد النساء<sup>(5)</sup>. ولو دققنا النظر و البحث في مميزات أمراء الأجناد سنجد بأن الواحد منهم سلطان مختصر، لأنه يملك كل ما يملكه السلطان من مباني و خيول و مماليك و سلطة و هيبة ولكن بشكل

<sup>(1)</sup> المقريزى، الخطط، ج 2، ص 215-216.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 215-216.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 215-216.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 217-218.

<sup>(5)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 54-60.

مختصر عن السلطان ، مما يعني أن الأمير كان يعيش حياة أفضل من السلطان نفسه لأنه بعيد عن المخاطر والدسائس، بعكس السلطان الذي ستسقط رأسه في أقرب فرصة للمتربيين.

### **الوضع السياسي والاجتماعي للجيش المملوكي:**

إن الباحث في الأوضاع الاجتماعية للمماليك لا يمكن أن يتجاوز مسألة مهمة، وهي أن المماليك تم شراؤهم من أسواق النخاسة، فهم رقيق وعبيد لأسيادهم وسلطاناتهم ، لكنهم استطاعوا تغيير أوضاعهم ، كل حسب كفافته وقدراته، ولما سُنحت الفرصة لهم أصبحوا أسياد البلاد، وتحكموا في رقاب العباد ، فمنهم من أصبح سلطاناً لمصر والشام من بداية العهد المملوكي وحتى نهايته، ومنهم من تبوأ مكانة رفيعة داخل الجيش، ومنهم من كان من الأثرياء، وقد كان يظهر ثراء بعض المماليك حينما يتوفى الواحد منهم ، حيث إن بعضهم لم يتزوج ولم ينجب ولم يكن له ورثة لثروته، فيتم الاستيلاء عليها من قبل الدولة ويتم بيع أملاكه فيشتريه من يريد، ومن ذلك أن أحد المصريين اشتري بيته للمملوك المتوفى واستولى على ما كان به من ذهب ومال وبه اشتري ضياعاً وأملاكاً كثيرة وكان ذلك المصري قد عرف سر هذا الذهب أثناء مهمته له داخل البيت قبل وفاته هذا المملوك<sup>(1)</sup>. وبصورة عامة فإن المجتمع المملوكي مكون من ثلاثة طبقات كبيرة، تضم كل منها فروعًا طبقية صغيرة وهذه الطبقات هي : رجال السيف أو الطبقة الحربية الأرستقراطية بعناصرها المختلفة، أما الطبقة الثانية فهي رجال القلم من موظفي الدولة والدواوين والقضاة ورجال التعليم، والطبقة الثالثة هي أرباب الحرف المختلفة<sup>(2)</sup>، وعلى سبيل المثال فإن بيبرس المنصوري وهو صاحب عدة مؤلفات منها التاريخ الذي وضعه في أحد عشر مجلداً وكتابه مختار الأخبار ، وكتابه الآخر التحفة المملوكية، وبعض الكتب الأخرى في

<sup>(1)</sup> الخشاب،أخبار أهل القرن الثاني عشر،ص40-41.

<sup>(2)</sup> طرخان ،نظم الإقطاعية،ص299.

تفسير القرآن الكريم<sup>(1)</sup> يعطينا مثلاً عن مدى ما وصل إليه المماليك من رفعه الشأن وعلو المكانة، وعظيم الهيئة، وهذا التطور لعنصر المماليك لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة للتربية التي تلقاها المماليك منذ صغرهم، من تعلم الفقه والقرآن والحديث والفنون الحربية والعسكرية ، إضافة إلى أن السلطة الحاكمة هي من المماليك أنفسهم، مما يجعل حظ الملوك وافراً بالترقي اجتماعياً وعسكرياً واقتصادياً، ولم تكن تلك الصورة هي الوحيدة في المماليك من أنهم ذوي علم وأخلاق، وإنما ظهر من المماليك من كان للفساد لاهثاً، ومن ذلك أن السلاطين أنفسهم اختلفوا في تعاملهم مع قضايا الفساد، فمنهم من غض الطرف وتبعه عدة من المماليك في الفساد، ومنهم من كان سيفاً مسلطاً على المفسدين كالظاهر بيبرس والمنصور قلاون والأشraf خليل والناصر محمد الذي أمر ذات مرة بضرب جندي مملوكي لأنه كان سكراناً<sup>(2)</sup>. ولا يمكن تجاهل تناقض أمراء المماليك وتنازعهم على السلطة واغتيالهم لبعضهم البعض<sup>(3)</sup>، بل وصل الأمر بين أمراء المماليك أن يقول أحدهم لجماعته : "من جاعني برأس فلان من منافسيه فله إقطاعه"<sup>(4)</sup> وحتى بيبرس نفسه والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك ، على حد تعبير أحد الباحثين المحدثين له صفتان الأولى قبل توليه الحكم وكلها غدر وقتل ومؤامرات وبطش ، والثانية بعد توليه السلطة وكلها إصلاح وبطولة ونبل وعظمة<sup>(5)</sup>. وإن كان هذا الكلام صحيحاً لكن فيه نظر ، فليت هذه هي الطريقة المناسبة لتصنيف أعمال بيبرس ، لأن بيبرس كان له دور كبير في الجهاد ضد الصليبيين وخاصة في صد حملة لويس التاسع في المنصورية، فقد كان

<sup>(1)</sup> السيوطي،طبقات المفسرين،ج1،ص266.

<sup>(2)</sup> السيوطي، حسن المحاضرة،ج2،ص302.

<sup>(3)</sup> المنصورى،التحفة المملوكية،ص34-35.

<sup>(4)</sup> الذهبي، تاريخ الإسلام،ص28.

<sup>(5)</sup> الطنطاوى، رجال من التاريخ،ص60.

لبيرس الدور الرئيس في تلك المعركة كما أسلفنا، وكان ذلك أثناء جنديه ببيرس، وأما حين أصبح سلطاناً فمن غير الطبيعي أن يكون مسالماً إن شعر بأي خطر عليه ولو كان من أقرب المقربين له، وبالتالي فإن القول كان غير دقيق بخصوص ببيرس. فإنه يمكن التعميم بكل ما تحمله الكلمة من معنى بأن العصر المملوكي كله من بدايته إلى نهايته اشتمل على عدة حقائق، منها سياسة الاغتيالات والمؤامرات، التي لم تبرأ فيها ذمة أحد، فكلهم أتقوا نظرية ضرورات الحكم ووجدوا لها من المبررات ما يقيم عقدة الذنب ، وهذا لا نتحدث عن إيجابيات وسلبيات ، ولكننا نتحدث عن أوضاع اجتماعية وسياسية داخل منظومة المماليك، ومن الأحداث التي تعبّر عن أوضاع المماليك، ما كان يحدث حتى بين الأشقاء، مثلما فعل الأشرف خليل بن قلاون، حيث قتل أخاه علاء الدين حين كتب والده قلاون كتاباً بتولية العرش لعلاء الدين<sup>(1)</sup>، مع أن الأشرف خليل كان له الفضل في طرد آخر صليبي من بلاد الشام<sup>(2)</sup>، وخير تعبير عن الوضع السياسي والاجتماعي للمماليك هي تلك الحقبة أثناء تولية الناصر محمد بن المنصور قلاون، فتلك الحقبة حملت الكثير من التعبيرات عن الحالة التي كان يعيشها المماليك، ومن أهم تلك الحالات ما يخص السلطان نفسه حيث نزعت السلطة منه ثلاثة مرات على يد متآمرين من أمراء المماليك واستطاع الناصر محمد في المرة الثالثة استرجاع ملكته والتخلص من المتآمرين<sup>(3)</sup>. ومن الواضح أن تلك الأحوال السائدة في النظام العسكري المملوكي نتيجة متوقعة للظروف الزمنية والمكانية للمماليك ، فالملوك الذي نشأ في النظام العسكري منذ طفولته وأنقذ لعنة الموت ولم يعش داخل أسرة فيها الأب والأم والإخوة، كان لابد أن يختلف تفكيره عن تفكير

<sup>(1)</sup> ابن عبد الظاهر، الروضۃ البهیۃ، ص 14-15.

<sup>(2)</sup> العلیمی، الأنس الجلیل، ج 3، ص 393.

<sup>(3)</sup> الشوکانی، البدر الطالع، ج 2، ص 237. الجبرتی، عجائب الآثار، ج 1، ص 33. محمد فرید بک المحامی، تاریخ الدولة العثمانیة، ج 1، ص 86؟.

من نشأ في ظروف طبيعية، ولذلك فمن غير المعقول أن نغفل تلك النشأة، فلو كان ما حدث بين المماليك إجراماً لوجدنا من المصادر المعاصرة لهم ما يفيد بذلك، لكن الكتابات في معظمها ذكرت الأحداث دون الإشارة إلى الإجرامية، بل ربما اعتبرت ذلك قوة وحنة عسكرية، أو من ضرورات الحكم فيجب على كل من يتولى الحكم آنذاك أن يكون حازماً قوياً، ليحافظ على العرش والنظام العام.

### حجم الجيش المملوكي وتطوره:

مما سبق يتضح مدى حاجة المجتمع في العصر الأيوبى لجيش يدافع عنه، خاصة في ظل وجود الحملات الصليبية، فقد ازدادت حاجة المجتمع لزيادة حجم الجيش المملوكي، خاصة بعد أن أثبتت القوات المملوكية جدارتها في حرب المنصورية، التي أظهرت فيها براعتها وشجاعتها مما جعل مبرر زيادة المماليك مطلباً حيوياً وإستراتيجياً، فقد ذكر ابن تغري بردي أن الأيوبيين في مصر زادوا الجيش المملوكي إلى اثنى عشر ألفاً، وهذا العدد كان في عهد الصالح نجم الدين أيوب<sup>(1)</sup>، وحين توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب لم يزد عدد الجيش في عهد شجر الدر<sup>(2)</sup> التي كانت تسعى لنيل الاعتراف بسلطتها، فلم تتحقق لكن الظروف المحيطة بها كانت تتطلب زيادة الجند لسلطنة زوجها عز الدين أيوب ليدافع عن ملكه، وبالفعل حاول أيوب زيادة عدد الجيش وخاصة بعد أن ضعف جيشه بعد هروب عدد من المماليك بعد اغتيال أقطاي، لكنه لم يستكمل خطته لأن الاغتيال كان أسرع، حيث قتله شجر الدر. وما يجدر التوبيه إليه أن الوضع الطبيعي لأي نظام عسكري أو قائد أن يزيد في عدد جيشه بقدر استطاعته، وحين يتضح أن فترة ما لم يكن بها زيادة في عدد الجيش، فإن ذلك مؤشر على أن هناك أمراً ما أعاد زيادة

<sup>(1)</sup> النجوم الظاهرة، ج 7، ص 197-198.

<sup>(2)</sup> الدليل على ذلك أن عدد المسلمين في معركة عين جالوت كان عشرة آلاف فارس وهو ما يجعل الفترة ما بين الملك الصالح نجم الدين أيوب ومروا بشجر الدر وأيوب التركمانى وقطرز أنها فترة لم تشهد زيادة في عدد الجيش.

عدد الجيش، وهي أمور متعلقة بالأوضاع السائدة، ففي عهد أبيك فر من جيشه الكثير من أتباعه، مثل بيبرس وقلوون والموالين لهم كما تم ذكره، وأما في عهد سيف الدين قطز فقد بنى جيشاً قوياً، لكنه لم يكن ذا عدد كبير بلغ في معركة عين جالوت جيش المماليك عشرة آلاف فارس<sup>(١)</sup>. وهنا لابد من الإشارة إلى أن عدد المماليك هذا لم يكن الوحيد في المعركة، إنما كان هناك من المتطوعين والفرق المختلفة أكثر من ذلك، وإن ما كان مسجلاً في ديوان الجيش هو هذا العدد، وأما في عهد بيبرس فقد وصل عدد الجيش المملوكي إلى أربعين ألف فارس<sup>(٢)</sup> ومن الجدير بالذكر أن ديوان الجيش المملوكي كان لا يسجل الأعداد بسبب الحفاظ على سرية المعلومات، حتى لا يتم الاطلاع على العدد من قبل أحد فيعرف الأعداء مدى قوة النظام العسكري المملوكي<sup>(٣)</sup>. وبالطبع فإن البحث في كمية الطعام والرواتب وحتى طعام الدواب ، من كل ذلك يمكن الاستدلال على حجم الجيش ، فقد قارن ابن تغري بردي بين كمية المصروفات والنفقات في عهدي الصالح نجم الدين أيوب والظاهر بيبرس ، ففي عصر الصالح نجم الدين أيوب كان ينفق ألف رطل من اللحم للجيش في اليوم، وأما في عهد الظاهر بيبرس فقد كان يصرف عشرة آلاف رطل كل يوم<sup>(٤)</sup>، مما يعني هنا أن جيش الظاهر بيبرس بلغ عشرة أضعاف جيش الملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن الواضح أن بيبرس كان له دور كبير في زيادة الجيش المملوكي بسبب حروب المستمرة على جبهتين المغولية والصلبية، ولابد من وجود جيش قوي ، ولكن هذا العدد لم يدم ولم يزد بل تناقص في العهود التي لحقت بالظاهر بيبرس ، ويبدو ذلك طبيعياً، فقد ارتبط عدد الجيش بالحروب والمخاطر الموجودة ، فالأعداد الكبيرة

<sup>(١)</sup> العسقلاني، الفضل المؤثر، ص 80.

<sup>(٢)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 197-198.

<sup>(٣)</sup> القلقشندي، صبح الأعشى، ج 7، ص 327.

<sup>(٤)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 197.

للجيش تعتبر إرهاقاً للدولة إن لم يكن لها حاجة ، فالجيوش تحتاج إلى مساكن وطعام وزيرواتب وخيل وعتاد وملحقات متعددة ، الدولة في غنى عنها إن لم تكن هناك حروب قائمة، وقد ذكر أن عدد الجيش في عهد الملك الناصر قلاؤون كان اثني عشر ألفا<sup>(1)</sup>. ويبدو أن العصر الذهبي للجيش المملوكي كان في عهد بيبرس، وإن التقسيير المنطقي للعدد الكبير في عهد بيبرس وعدم وجود ذلك العدد سواء قبله أو بعده، هو أن بيبرس جهز هذا الجيش الضخم في وقت كان المغول والصلابيون مسيطرین على قدر كبير من المدن والمحصون الإسلامية، وخلال فترة بيبرس الطويلة في الحكم كانت كلها معارك وفتحات، مما أدى إلى قدرة بيبرس أن تحقيق انتصار على الجبهتين، ويطرد هم من تلك المدن و يجعل بدلاً منهم حاميات من جيشه مما قلل عدد الجيش المسجل ضمن الديوان في مركز الدولة، إضافة إلى انتهاء الأخطار، وخاصة أن المغول بدؤوا في الدخول بالإسلام في عهد بيبرس بالآلاف<sup>(2)</sup>، بل إن عدد الجيش وصل في عهد الظاهر بررقق إلى سبعة آلاف فقط<sup>(3)</sup>، ومن الجدير ذكره أن النظام العسكري المملوكي كان يعتمد في حروبها، إضافة إلى الجنود المماليك المسجلين ضمن ديوان الجيش على المتطوعين من أهل البلاد والمناطق التي تقع فيها الحروب، حيث كان هؤلاء يدافعون ببسالة جنباً إلى جنب مع الجيش المملوكي .

<sup>(1)</sup> المصدر نفسه، ج 7، ص 327.

<sup>(2)</sup> المنصورى، التحفة المملوكية، ص 52، ص 71. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 242.

<sup>(3)</sup> ابن إياں، نزہۃ الامم، ص 134.

## الإنجازات العسكرية للجيش المملوكي في نهايات العصر الأيوبى:

لقد كانت بلاد الشام قبيل منتصف القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي تتقاسما سلطات متنازعة وهي الصليبيين من جهة وأمراء البيت الأيوبى من جهة أخرى والذين انقسموا على أنفسهم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبى سنة 589هـ/1193م، حيث كانت وفاته وبالاً على الأمة الإسلامية فقد تفرق أبناؤه واستغل ذلك الاحتلال الصليبي، وظل الحال على ما هو عليه حتى تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب آخر السلاطين الأيوبيين في مصر الذي بدوره كانت له اليد القوية في محاربة الصليبيين، ومن أجل تحقيق التفوق العسكري قام بشراء المماليك<sup>(1)</sup>، ووضع إستراتيجية تربوية لهم من أجل إنشاء جيش عتيد يمكنه تحقيق الانتصارات على الأعداء، ولم يكن آنذاك أشد عداوة على المسلمين من الصليبيين، وبالفعل تمكّن السلطان الصالح نجم الدين أيوب من تحقيق انتصارات متالية لفتت الأنظار له من أوروبا فجاء لويس التاسع ملك فرنسا بحملته العسكرية على مصر<sup>(2)</sup>، للقضاء على قوة الصالح نجم الدين أيوب واحتلال مصر حتى يقطع الأمن الإستراتيجي لمنطقة الشام، وقد لعب المماليك دوراً هاماً في الدفاع عن مصر وتمكنوا من صد تلك الحملة بكل شجاعة وبسالة وكان فيها المماليك كالأسود على حد تعبير المؤرخين في ذلك العصر، ووصف المماليك بأنهم بيضوا الأيام السود وأزاحوا الإفرنج وكسروهם وهزموهم وأسروهם وأخذوا ملوكهم المسمى ريدا فرنس أسيراً<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> المقرizi، الخطط، ج 2، ص 236. السلوك، ج 1، ص 441. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 192. ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 6، ص 331.

<sup>(2)</sup> نزلت الحملة الصليبية السابعة دمياط في 21 صفر سنة 647هـ/1249م وكان قائدها ملك فرنس ريدا فرنس (لويس التاسع) وتصدى لها الجيش المملوكي وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب مريضاً مرض الموت حيث توفى أثناء التجهيز للمواجهة فأخلفت شجر الدر خبر وفاته وكانت نتيجة المعركة انتصار الجيش المملوكي وأسر ملك فرنس وعشرات الآلاف من جنوده. انظر: المنصورى، التحفة المملوكية، ص 25. محمد فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العلية، ج 1، ص 82.

<sup>(3)</sup> المنصورى، التحفة المملوكية، ص 25.

وقد نجح المماليك في دمياط بالإحاطة بالجيش الصليبي حتى بلغ عدد القتلى الصليبيين عشرة آلاف في قول المقل وثلاثين ألفا في قول المكثر، وتم أسر مئة ألف إنسان، وكان الفضل للمماليك البحريية وعلى رأسهم بيبرس البندقداري<sup>(1)</sup>، وبعد هذا الانتصار فوجئ الجميع بأن شجر الدر كانت قد أخفت وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، حيث كان مريضاً، فكانت تلك السرية التي اتبعتها شجر الدر في إخفاء الوفاة جزءاً لا يتجزأ من عوامل النصر، حيث إن إذاعة خبر وفاته كان من شأنه أن يشتت جيش المماليك ويرفع معنويات الجيش الصليبي، وكانت شجاعة المماليك وبسالتهم وخطفهم العسكرية وبراعة قادتهم وإخلاص جنودهم وتصرف شجر الدر الذكي في إخفاء خبر وفاة الملك الصالح، وسرعان ما أرسل مماليك مصر بيسرون الابن الأكبر للملك الصالح تورانشاه بالنصر في المنصورة ، حتى إن فارس الدين أقطاي أشهر أمراء المماليك البحريية ذهب بنفسه لحضرن كيما لمصاحبة تورانشاه أثناء العودة إلى مصر ليحل محل أبيه في حكم مصر على الرغم من سمعة الأخير السيئة في الإداره والحكم حتى إن أبوه كان لا يرغب في توليه لعدم كفاءته<sup>(2)</sup>. وبعد وصول تورانشاه إلى مصر كان يلوح بالقضاء على أمراء البحريية المملوكية فسبقوه وقتلواه حيث قطعوا أصابعه فهرب إلى برج خشبي فحرقوه عليه فهرب إلى النيل فغرق ثم أجهزوا عليه حتى مات<sup>(3)</sup>، وبتصفية تورانشاه بدأت الأمور تسير باتجاه سيطرة المماليك على الدولة الأيوبية في مصر من خلال قدرتهم على فرض السيطرة على أجزاء واسعة كانت تابعة لبعض أمراء البيت الأيوبى، والقضاء على الثورات واستباب الأمن للملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن ثم تتوسيع تلك الإنجازات بالقضاء على الحملة الصليبية

<sup>(1)</sup> المقرizi،السلوك،ج1،ص455

<sup>(2)</sup> ابن واصل،مفرج الكروب،ج5،ص376.الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج23،ص101.الحنبي،شفاء القلوب،ص379-380.

<sup>(3)</sup> ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج6،ص372. ابن كثير،البداية والنهاية،ج13،ص177

بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر، بل والإنجاز الأكثر أهمية بالنسبة لمستقبل المماليك كان حماية بقائهم، وقيام دولة مملوكية ضمت مصر والشام لمئات السنين والدفاع عن الدولة الإسلامية أمام أخطر هجومين هما التتار والصلبيين من خلال طرد آخر صليبي من الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون، ووقف المد المغولي قبل ذلك على يد قطز ، فلا يمكن تصور الحال فيم لو نجح تورانشاه بالبقاء ونفذ ما فكر به من القضاء على المماليك، فتورانشاه لن يكون صلاح الدين على كل الأحوال، لكن المماليك كانوا أكثر مما توقعت الأمة الإسلامية آنذاك .

### **وصول المماليك إلى الحكم :**

هكذا أمر الدنيا، فالأيوبيون أنشئوا المماليك<sup>(1)</sup>، فالمماليك نبتة أيوبية زرعتها وروتها حتى اشتد عودها فقبل أن يتوفى الملك الصالح نجم الدين أيوب أوصى بـألا يتولى حكم الدولة من بعده ابنه، وأن تسلم السلطة للخلافة العباسية<sup>(2)</sup>، وبذلك التوصية فقد تورانشاه شرعية الحكم وتعاطف من حوله واستهان به مماليك أبيه ، فطالما كرر الملك الصالح نجم الدين أيوب عدم رغبته في تولي ابنه تورانشاه وقوله إنه لا يصلح للملك ، وقد ساعد على ضعف تورانشاه عدم أهليته للحكم وسياسته العقيمة وعدم تقديره للأمور ،حيث إنه في لحظات سكره كان يضرب الشمع بالسيف ويقول: "هكذا سأفعل بغلمان أبي ، وكان يقصد أمراء المماليك، كما أنه تشكل مع زوج أبيه شجر الدر<sup>(3)</sup> مما جعلها في مقدمة المعارضين لوجوده في سدة الحكم وبذلك فقد ثارت عليه كل المماليك وعلى رأسهم الأمراء وشجر الدر مما أدى في إلى قتله والتخلص منه<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج5، ص279.

<sup>(2)</sup> ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص376.

<sup>(3)</sup> الحنبلـي، شفاء القلوب، ص379-380.

<sup>(4)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج6، ص372. الحنـبـلـي، شفاء القلوب، ص380.

فكان عمليه الاغتيال ضربة احترازية من قبل أمراء المماليك حتى يحافظوا على بقائهم، ويسلموا من بطش تورانشاه الذي لم يحسن معاملتهم، أو على الأقل لم يتصرف بحكمة وبتدرج في القضاء على نفوذ أمراء المماليك، ويروي عن الأمراء الأربعه الذين اشتراكوا باغتيال تورانشاه أنهم أنفسهم العصابة التي استعان بها الملك الصالح نجم الدين أيوب في التخلص من أخيه العادل، الذي كان سجينًا لديه<sup>(1)</sup>، ويقول إن معظم المماليك رفضوا الاشتراك في اغتيال العادل ما عدا هؤلاء الأربعه الذين سلطهم الله على ولده تورانشاه فقتلوه شر قتلة، وعرف من هؤلاء الأربعه الظاهر بيبرس وسيف الدين أقطاي وعز الدين أيك<sup>(2)</sup> ثم سارت الدولة إلى الأتراك الذين عرفوا كيف يكسبون المجتمع من خلال تقربهم إلى العلماء والإغداق عليهم للحصول على الشرعية<sup>(3)</sup>، وعلى الأقل فإن نوعاً من التعاطف سيحصلون عليه من خلال تقرب العلماء وذوي الرأي في المجتمع المصري، وبذلك أصبح المماليك عبيد الأمس ملوك الدولة، يجب لهم ثمرات كل شيء<sup>(4)</sup>، فتولى مصر اثنان وعشرون سلطاناً مسهم الرق في الدولة المملوکية البحريّة، منهم أيك وقطر والظاهر بيبرس وقلاؤون الأشرف خليل والناصر محمد وكاتبغا ولاجبن وسيف الجاشنكير<sup>(5)</sup>، وقد تولت شجر الدر بوصفها زوج الملك الصالح نجم الدين أيوب، إلا أن الأمراء الأيوبيين لم يعترفوا بسلطتها ، ولهذا وجد المماليك من الخير والحكمة أن تتزوج شجر الدر من أحد أمرائهم، فتزوجت عز الدين أيك<sup>(6)</sup>، على أن تترك

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 6، ص 372.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 6، ص 372. ابن خلدون، العبر، ج 5، ص 417.

<sup>(3)</sup> ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج 8، ص 245.

<sup>(4)</sup> الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص 115.

<sup>(5)</sup> ابن العماد، شذرات الذهب، ج 4، ص 115. معظم أمراء المماليك وسلطاناتهم عبارة عن أسماء لحيوانات وأشياء باللغة التركية والفارسية والتترية مثل بيبرس بمعنى الفهد وقلاؤون بمعنى البطة وطوغان بمعنى الصقر وبكتمر بمعنى الحديد وسلام بمعنى الهاجم وأزبك بمعنى النبيل وقطر بمعنى الكلب الشرس. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 3.

<sup>(6)</sup> ابن خلدون، العبر، ج 5، ص 420.

السلطنة له ففعلت ذلك، لاعتقادها بأنها ستظل صاحبة القرار إلا أن الأيوبيين لم يقنعهم ذلك فعين المماليك أميراً أيوبياً صغيراً<sup>(1)</sup>، فلم يقنع به الأيوبيين أيضاً فتصادمت جيوش الأماء والأيوبيين مع أمراء المماليك وكان النصر حليف أمراء المماليك فتدخل الخليفة العباسي لحل النزاع وكان الوقت آنذاك غير مناسب لتلك المشاحنات خاصة وقد اقتربت جيوش المغول من مركز الخلافة العباسية مما جعل الخليفة العباسي يفصل النزاع من خلال تقسيم الحدود بين دولتين الأولى في مصر للمماليك والثانية في الشام للأيوبيين<sup>(2)</sup>، على أن يفصل بينهم نهر الأردن شمال فلسطين<sup>(3)</sup>.

ولما تولى عز الدين أيبك السلطنة وتنازع مع شجر الدر على اتخاذ القرار داخل السلطنة، مما نتج عنه في النهاية انتهاء تلك المنازعات بأن سبنته هي بقتله، ومن ثم قامت زوج أيبك الأولى بالانتقام له وقتلت شجر الدر ، فتولى الحكم الطفل الصغير المنصور بن أيبك<sup>(4)</sup>، ومن ثم تولى عرش السلطنة سيف الدين قطز، الذي استمر حكمه سنة واحدة فقط استطاع خلالها تحقيق انتصار عين جالوت على المغول<sup>(5)</sup>، ومن ثم تولى بيبرس الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية، لطول فترة حكمه وإنجازاته على الصعيدين الداخلي والخارجي، ثم تولى أولاد بيبرس ومن ثم استولى على الحكم قلاوون، لتببدأ أسرة قلاوون ومن ثم يستولي على حكم دولة المماليك الأمراء الجراكسة<sup>(6)</sup>.

وكان ابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعين، وانفراطهم سنة اثنين وعشرين وتسعمئة. فتكون مدة ملكهم مئة وثمان وثلاثين سنة وعدهم ثلاثة وعشرين سلطاناً .

<sup>(1)</sup> المنصوري، مختار الأخبار، ص.6.

<sup>(2)</sup> لمزيد من التفاصيل انظر: المنصوري، التحفة المملوكية، ص27-29.

<sup>(3)</sup> فاروق، محسن، الوسيط في تاريخ فلسطين، ص219.

<sup>(4)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص.39.

<sup>(5)</sup> القلقشندي، مأثر الانفحة، ج2، ص106.

<sup>(6)</sup> ابن تغري ردي، النجوم الظاهرة، ج7، ص3. انظر الجدول في الملحق ص175-176.

وكان أول سلاطينهم الملك الظاهر بررقو<sup>(1)</sup>، إلى أن انتهت الدولة المملوكية سنة 923هـ/ 1517م بعد معركة الریدانية<sup>(2)</sup>، والتي قتل فيها آخر سلاطين المماليك في مصر واسمه طومان باي<sup>(3)</sup>.

## الفصل الثاني

### تنظيمات الجيش المملوكي

<sup>(1)</sup> القرمانى، أخبار الدول، ص 293.

بررقو: هو السلطان الملك الظاهر سيف الدين بن آنض العثماني اشتراه الاتبكي يبلغ العنزي نائب حلب وسماه طنifa همات وهو صغير وسمي بررقو لجحظ عينيه تولى سلطنة مصر 19 رمضان 784هـ. انظر: ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص 65.

<sup>(2)</sup> معركة الریدانية: حيث بين الجيش العثماني بقيادة سليم الأول والجيش المملوكي بقيادة طومان باي وكان عدد الجيش المملوكي أربعين ألفاً فانهزم الجيش المملوكي وكانت سنة 923هـ/ 1517م انظر: ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص 71-72. والریدانية هي منطقة تتنسب إلى الأمير المملوكي ريدان وهي في القاهرة. انظر: ابن كثير ، البداية والنهاية، ج 11، ص 227.

<sup>(3)</sup> القرمانى، أخبار الدول، ص 293.

طومان باي: هو الملك العادل ابن أخ قصوة الغوري قاد الجيش المملوكي في معركة الریدانية لصد الجيش العثماني لكنه هزم وبعد أن نال العفو من السلطان العثماني سليم الأول جهز جيشاً ورجع ليحارب الجيش العثماني لكنه هزم وتم القبض عليه واعدم على باب زويلة وقد اشتهر بالشجاعة. انظر: المكي، س茗 النجوم العوالى، ج 4، ص 68، ج 8، ص 115-148. ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص 69-70.

**أماكن إقامتهم** -

**ديوان الجيش المملوكي** -

**زي الأجناد** -

**التمويل** -

**القطاع العسكري** -

**أساليب المالك القتالية والتعبئة العسكرية** -

**الأطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف** -

**المتطوعون في الجيش المملوكي** -

**الفرق الملحة بالجيش** -

**\*الفرق الهندسية**

**\*الفرق الطبية**

**\*فرق الموسيقى العسكرية**

**\*حملة الأعلام**

**الأسطول الحربي وتطوره** -

**أماكن إقامتهم:**

إن المصادر التاريخية لم تستطرد في الحديث عن محل إقامة الجيش المملوكي، وحتى المراجع الحديثة لم تطرق إلى محل إقامته، لأنها لم تعثر على نصوص واضحة بذلك، بيد أن ما ذكر عن محل إقامة هذا الجيش في معظمها، بأن الجيش كان يقيم في طباق<sup>(1)</sup> القلعة في القاهرة وطبق القلعة متعددة الطبقات، كانت كل طبقة تتسع لآلاف مملوك<sup>(2)</sup> و كان السلطان بنفسه يختار المماليك الذين سيقيمون في الطباق، ولم تكن الطباق مقصورة على الفرسان والمحاربين، وإنما كان يقيم فيها كل المماليك الذين يتم شراءهم ليعملوا في خدمة السلطان، سواء في الجيش أو في الأعمال الإدارية، والطباق ليس المكان الوحيد الذي يقيم فيه الجيش المملوكي، فبعضهم كان ينتمي إلى أجناد الحلة وهم موزعين في كل أرجاء الدولة المملوكية<sup>(3)</sup>، كما يوجد أجناد الأمراء وهم أيضا غير مقيمين في الطباق، فهم يقيمون في أكثر من مكان بحسب مكان تواجد أميرهم<sup>(4)</sup>، وأما المماليك المقيمين في الطباق فهم الجنود السلطانية فقط ، ويذكر أن السلطان كان يأمر بفحص أي مملوك سيقيم بالطباق طيباً<sup>(5)</sup>، وهذا الأمر يدل على مدى اهتمام النظام العسكري المملوكي بجندوه وحسن رعايتهم، وقد كانت الطباق واسعة جداً ، وقد كان يقيم بها الجنود والأمراء على حد سواء و الاجتماعات كانت تعقد بها في حضرة السلطان وخاصة للبيعة<sup>(6)</sup> وهذا يدل على أنه يوجد في كل طبقة ساحة فسيحة، بدليل عقد الاجتماعات فيها وأنها لم تكن عبارة عن غرف ، ويبدو أن السلطان المملوكي أراد إقامة المماليك الجدد والمدربيين الذين ضمن ولاءهم إلى جانبه ليكونوا صمام أمان، وبمثابة حرس سلطاني لتحميء وقت

<sup>(1)</sup> الطباق: جمع طبقة وهي ثكنات جيش المماليك بالقلعة وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد. دهمن، معجم الألفاظ، ص 105. و سميت بذلك لمطابقة بعضها البعض فوق بعض، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 210.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 190. انظر خريطة دولة المماليك ص 174.

<sup>(3)</sup> المقرizi، الخطط، ج 3، ص 356-355. طرخان، النظم الإقطاعية، ص 268.

<sup>(4)</sup> المقرizi، الخطط، ج 2، ص 215-216.

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 213.

<sup>(6)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص 61.

الأزمات وصد أي محاولة انقلاب داخلية من بعض الأمراء، ولذلك كان اسمهم المماليك السلطانية<sup>(1)</sup> وقد كان السلطان يشرف بنفسه على المماليك المقيمين بالطباقي من خلال زيارات مفاجئة، كما كان يعهد لرجل يسمى مقدم الطباقي ويكون ذو شخصية قوية وصارمة ، له هيبة كبيرة وكان يمنع خروج المماليك من الطباقي إلا بنظام، وكان يسمح لهم بالذهاب إلى الحمام مرة في الأسبوع، وكان يقدم لهم أنواع الأطعمة المختلفة مثل اللحوم والفواكه والحلوى، كما كان يسلمهم كسوتهم بشكل مننظم<sup>(2)</sup> ويمكن تشبيه الطباقي بالسكن الداخلي في الجامعات في عصرنا الحديث، حيث كان المماليك الذين يقيمون في الطباقي يتلقون التعليم لعدة سنين، ومن ثم يسمح للمئات بمعادرة الطباقي إلى قلاع الدولة في الشام<sup>(3)</sup> ولم تكن الطباقي متاحة لأي أمير أو جندي ليقيم فيها بحسب ما يريد، إنما كان السلطان هو الذي يحدد ويختار من يقيم في الطباقي وفي بعض الأحيان كان يأمر السلطان بإقامة بعض المماليك المعاقبين بالإسطبلات<sup>(4)</sup> وأيضاً إذا أراد السلطان أن ينعم على مملوك لأنه أثبت تميزه كان يعطيه السلطان إقطاعاً ويغادر الطباقي ليشرف على إقطاعه، وكانت الترقيات من خلال ارتقاء المملوك من جندي إلى أمير خمسة، ثم إلى أمير عشرة، ثم إلى أمير طبلخاناً، ومن ثم يحصل على إقطاع<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 9، ص 73، والمماليك السلطانية ينقسمون إلى قسمين، والقسم الأول هم المماليك الذين يتم شراءهم وهو أطفال ويشرف على تربيتهم السلطان، والقسم الثاني هم الذين تنتقل ملكيتهم للسلطان الجديد بعد وفاة سلطانهم الأول، وكل القسمين يسمح لهم بالاختلاط بال العامة في القاهرة والمدن وهذا ما يميزهم عن باقي المماليك الذين لا يسمح لهم بالاختلاط بالناس. سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك، ص 78-79.

<sup>(2)</sup> المقريزي، الخطط، ج 2، ص 213.

<sup>(3)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 9، ص 92.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 9، ص 47.

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه، ج 14، ص 198.

وقد كانت الطباق التي يقيم فيها المماليك السلطانية موجودة في قلعة الجبل بجوار قصر السلطان في العاصمة المملوكية القاهرة<sup>(1)</sup> ومما يستحق ذكره أن نجد اهتماماً بالغاً بالعجزة والمسنين والمعاقين من الجيش المملوكي، والمعاقين هم الذين أصيبوا في الحروب المملوكية ضد التتار والصلبيين، أما المسنين فهم الذين فنيت أعمارهم وهم في خدمة النظام العسكري، فقد حظوا بشرف الإقامة في الطباق، وقرر لهم ثلاثة آلاف درهم في السنة<sup>(2)</sup> وذلك المعاملة للعجزة والمسنين والمعاقين من الجيش إنما تعطي قوة للنظام العسكري، بحيث أن الجندي الشاب سيدرك أنه لو أصيب في المعركة أو كبر في السن فسيكون في مأمن من العيش، وهذا يجعله أكثر إخلاصاً لدولته المملوكية، كما أن الموضوع غير متعلق فقط بالنواحي المادية من محل إقامة أو رواتب، وإنما من ناحية معنوية له دلالات كبيرة بالنسبة للجندي المملوكي، وحتى محل الإقامة لم يكن في أي مكان ، بل في طباق القلعة نفسه تحت إشراف ومراقبة السلطان المملوكي، مما يوفر لهم حياة آمنة وسط مركز السلطة، والطباق كان شرفاً لمن يقيم فيه، بدليل أنه كان يعاقب الملوك إذا أخطأوا ليتم إنزاله للإقامة في الإسطبلات<sup>(3)</sup>، وقد سميت طباق القلعة بحسب اسم السلطان الذي اشتراهم، فمثلاً نجد طباق المماليك الأشرفية وطباق المماليك الناصرية وهكذا ، كل حسب السلطان الذي اشتراهم، واشتملت الطباق على مخازن السلاح والمال<sup>(4)</sup> وكان أحياناً يجد بعض المماليك أنفسهم محرومين من المكان المناسب للنوم، حين يطردون من الطباق ، حتى حين ينتشر مرضًا معيناً يكتشف الأطباء أن أربعينات مملوك على الأقل يومياً مصابين

<sup>(1)</sup> الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص274.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج9، ص53.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج9، ص54.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج15، ص240.

بنفس المرض ويموت منهم خمسين في اليوم الواحد<sup>(1)</sup>. وفي عهد قلاوون تم إسكان المماليك في أبراج القلعة، ولذلك أطلق عليهم المماليك البرجية<sup>(2)</sup>، أما من كان يقيم بالطباقي فكان يطلق عليهم المماليك السلطانية لأنهم بجوار السلطان<sup>(3)</sup>، وقد كان محل إقامة المماليك إما بمركز الدولة في الطباقي، أو موزعين في أقطار الدولة<sup>(4)</sup> وكان يقصد بالمماليك السلطانية التي تقيم في طباقي القلعة والأجناد الموزعين في الدولة، هم أجناد الحلقة وأجناد الأمراء<sup>(5)</sup>، وجلمهم يقيم في القلاع والثغور وأرجاء الدولة المملوكية كلها، ومن منطق العصبية حرص كل سلطان مملوكي على زيادة عدد أجناده من المماليك السلطانية ، حيث ارتبطت قوة السلطان بقوة الجنود التابعين له، لذلك أكثر السلاطين من شراء المماليك حتى يديروا له بالولاء، ليستطيع بهم منافسة خصومه من كبار الأمراء .

### **ديوان الجيش المملوكي:**

لقد لعب ديوان الجيش في العصر المملوكي الدور الرئيس في الحياة العسكرية، كون الدولة المملوكية هي بالأساس عبارة عن جند وعسكر ، بل أن سلاطينها كانوا أمراء في الجيش، وان دولة عسكرية في تأسيسها وسلامتها لابد وأن تهتم بالجيش، ولذلك فإن ديوان الجيش هو أهم ديوان في الدولة المملوكية، وكان يطلق اسم ديوان الإقطاع على ديوان الجيش لأنه المسؤول عن إقطاع الأمراء، ولذلك كان السلطان هو الذي يتبع ويراقب هذا الديوان ويعين له شخصية لها مواصفات يحددها السلطان بنفسه<sup>(6)</sup>، وديوان الجند لم يكن وليد واكتشاف الدولة المملوكية،

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 14، ص 340.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ج 14، ص 197. وانظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، ج 1، ص 86.

<sup>(3)</sup> ابن تغري بردي، النجوم، ج 14، ص 198.

<sup>(4)</sup> المقريزى، الخطط، ج 2، ص 215.

<sup>(5)</sup> هم الذين يقيمون في الثغور، طرخان، النظم الإقطاعية، ص 268. ويشبهون في عصرنا الحالي الأمن الوطنى.

<sup>(6)</sup> العسقلانى، الفضل المأثور، ص 132.

بل هو أول ديوان أنشئ في الإسلام، ففي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشار بعض الصحابة على عمر وضع ديواناً للجند لتنظيم الجيش لزيادة أعداد الجيش واتساع الفتوحات<sup>(1)</sup> وينظر أن ناظر الجيش أي صاحب الديوان كان يجتمع مع النائب ولا يجتمع مع السلطان مباشرة، إلا أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبطل النوبة، فصار الجيش يجتمع معه السلطان<sup>(2)</sup> ومما سبق يتضح أنه كان لكل نيابة ديوان خاص بها ، وأن يطلب السلطان الاطلاع على الديوان يعني أهمية الدواوين حتى في النيابات البعيدة عن مركز الدولة فالدواوين كانت تشمل الاقطاعات والأعطيات ولابد من مراقبتها فهي تعني كل ما من شأنه أن يكون محلًا للاختلاس والفووضى، ولذلك حرص السلطان بنفسه على مراقبة الدواوين، وقد كان السلطان يأمر ويتبع جاهزية الجيش المملوكي والمتطوعين من خلال تلك الدواوين حتى إذا اقتضت الضرورة يتم النفير بسرعة<sup>(3)</sup> ومما يعبر عن شدة أهمية ديوان الجيش، أنه كان أكثر الدواوين دقة وضيّقاً وفعلاً، ففيه تحفظ أسماء الجنود والأمراء والأوراق الخاصة بالتجهيزات والإعداد، ومن شدة أهميته كان مقره في قلعة الجبل بجوار قصر السلطان<sup>(4)</sup> ومن مهام ديوان الجيش متابعة الجنود والمتاخرين من العسكر ومتابعة أي جندي يحضر متاخرًا وينظر في أمره من خلال الديوان أما إذا كان تأخره بسبب مرض أو ظرف طارئ، يسجل ذلك الأمر من خلال أوراق خاصة بالمتغيب من الجنود، أي ملف خاص لكل جندي وحتى الأمراء المقصرين

<sup>(1)</sup> الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص436. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص31. ابن إياس، نزهة الأمم، ص133.  
ديوان: أصله دوان وجمعها دواوين وهو الدفتر او السجل الذي يدون فيه أسماء الجنود وأهل العطاء وأول من دون الدواوين في الإسلام عمر بن الخطاب والكلمة أصلها فارسي وهي معربة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص166.

يقول أبو الحسن الماوردي في تسمية الديوان ديواناً وجهاً: الأول أن كسرى ملك الفرس اطلع يوماً على كتاب ديوانه فرأهم يحسبون مع

أنفسهم فقال كسرى ماجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء لكثر الاستعمال والرأي الثاني الديوان اسم بالفارسية

للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحقهم بالأمور ووقفهم على الجلي والخفى وجمعهم على ما قرب وبعد فسمي ديوان. انظر: ابن إياس،

نزهة الأمم، ص132-133.

<sup>(2)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص215.

<sup>(3)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، 132.

<sup>(4)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص215. حسن، تاريخ المماليك، ص341.

والمتغيبين كان ينظر بأمرهم ويسجل في السجلات الخاصة باقطاعاتهم<sup>(1)</sup> وكان ديوان الجيش المملوكي قد تغير من اعتماد التصرف في النظام المالي من الاقتصاد النقدي إلى الاقتصاد الإقطاعي، وكانت تسمى السجلات الخاصة بالأمراء الإقطاعيين بالجريدة الجشية، وهي مرتبة حسب الحروف يكتب فيها أسماء الأمراء و الاقطاعات على اختلاف رتبهم، وكذلك أسماء الجنود ومقدار اقطاعاتهم، وكان يوضع أمام كل اسم عالمة معينة بحسب إقطاعه رمزاً لا تصريحاً، وذلك لضمان السرية، وتجنب وقوع هذه الأوراق في يد عدو يستطيع من خلالها معرفة عدد الجيش ومدى قوته من خلال ما يملكه الأفراد من اقطاعات<sup>(2)</sup> ولم يثبت أن أي ديوان للمماليك حصر فيه عدد الجيش، وذلك للسرية وحتى لا يطلع أحد على حجم القوة لدى النظام العسكري المملوكي<sup>(3)</sup> وبالطبع فإن ناظر الجيش لا يمكن أن يقوم بأعباء هذا الديوان لوحده ولذلك نراه يستعين بمساعدين أولهم صاحب الديوان، ويكون بمثابة وكيل وزارة الدفاع الآن، ينوب عن ناظر الجيش في غيابه، ومن المساعدين أيضاً مستوفي الجيش ومهمته تحديد مرتبات الجنود وتدوينها في كشوف خاصة<sup>(4)</sup>، ومن اشتهر بتوليه ديوان الجيش أو ناظر الجيش في النظام العسكري المملوكي القاضي فخر الدين ابن الحلي<sup>(5)</sup> والقاضي قطب الدين<sup>(6)</sup> والقاضي مكين الدين<sup>(7)</sup> والقاضي جمال الدين<sup>(8)</sup>

<sup>(1)</sup> العسقلاني، الفضل المؤثر، ص 121-120.

<sup>(2)</sup> التوييري، نهاية الإرب، ج 8، ص 201-200. انظر: البيومي إسماعيل، النظم المالية، ص 55.

<sup>(3)</sup> القاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 16.

<sup>(4)</sup> حسن، تاريخ المماليك، ص 343.

<sup>(5)</sup> فخر الدين وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر أصله قبطي فأسلم وحسن إسلامه وكان له أوقف كثير. انظر: القاشندي، صبح الأعشى/ ج 11، ص 323.

<sup>(6)</sup> قطب الدين: هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر السنطاطي الشافعى كان معدوداً من الفقهاء وله وجاهة توقي في ولاية الناصر محمد بن المنصور قلاوون. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهر، ج 9، ص 257. مات سنة 894هـ بجوار قبة الإمام الشافعى. انظر: تاريخ البصريوى، ج 1، ص 133.

<sup>(7)</sup> مكين الدين: هو مكين الدين إبراهيم بن قروينية من أعيان الكتاب ورؤسائهم توفي سنة 750هـ. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهر، ج 9، ص 257.

<sup>(8)</sup> جمال الدين: هو سليمان بن الحسن ولد في رمضان سنة 630هـ ولـي نظر الجيش في حلب ثم نظر الجيش في الكرك ثم في دمشق بدلاً من فخر الدين ابن الحلي وتوفي سنة 749هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 2، ص 284.

وهو لاء القضاة الذين تم ذكرهم تولوا وظيفة ناظر الجيش<sup>(1)</sup>، ويلاحظ هنا أن الدولة المملوكية كانت تهتم بهذا المنصب وبالرجل الذي سيتولاه، فكان يتم اختيارهم من الفقهاء والقضاة مما يعني أهمية ذلك المنصب وحساسيته، فلا يوجد في الدولة من هو أكثر أمانة من القضاة، والذين سيغلبون مصلحة الدين والدولة على أي مصالح أخرى، فلدى القضاة من الدين والأمانة والنزاهة ما يكفي ليطمئن إليهم السلطان. وخاصة أن هذه الوظيفة مسؤولة أيضاً عن توزيع الاقطاعات، وكان يساعد ناظر الجيش في عمله موظف كبير عرف باسم نقيب الجيش<sup>(2)</sup> وكانت هذه الرتبة من الرتب الجليلة، ومن مهامه أن يحضر أي جندي يريده السلطان ويعتبر نقيب الجيش الوسيط في الترقيات، وهو يجهز المواكب العسكرية أيضاً للسلطان<sup>(3)</sup> وكان يطلق لقب أتابك العسكر<sup>(4)</sup> على نقيب الجيش وكانت هذه الوظيفة تتم بتعيين مباشر من السلطان نفسه الذي كان يدقق في اختيار نقيب الجيوش ومما كان يوكل إليه إمرة موكب الحج أيضاً<sup>(5)</sup> وبالإضافة إلى وجود هذا المنصب كان يوجد منصب نقيب المماليك وهو أقل رتبة و شأنأً من نقيب الجيوش، حيث أن نقيب الجيوش مسؤول عن الجيش المملوكي كله في جميع أقطار الدولة، أما نقيب المماليك فهو مسؤول فقط عن المماليك السلطانية بالطبق، وقد كان يتم احياناً ترقية نقيب المماليك ليكون نقيب الجيوش كلها مثل ما تم ترقية أرغون بن قيران السلاوي<sup>(6)</sup> الذي تمت ترقيته من نقيب المماليك السلطانية إلى نقيب الجيوش في كل أرجاء الدولة، وكان قد ورث رتبة نقيب المماليك عن

<sup>(1)</sup> النعيمي، الدارس، ج 1، ص 327. يلاحظ هنا أن معظم المتولين لهذا المنصب قضاة وفقهاء. ووظيفة ناظر الجيش تشبه في عصرنا الحالي منصب وزير الدفاع

<sup>(2)</sup> يعبر عن نقيب الجيش باسم مقدم الجيش أو أمير الجيش أو أتابك العسكر. انظر: الفقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 18.

<sup>(3)</sup> المقرizi، الخطط، ج 2، ص 233.

<sup>(4)</sup> الأتابكية: أصلها أتابك و معناها الوليد أو الأمير وأول من لقب بذلك اللقب نظام الدولة وزير ملكشاه ابن ألب أرسلان السلاوي وقيل معناه ألب (أبو الأمراء). انظر: الفقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 1841.

<sup>(5)</sup> ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 1، ص 416.

<sup>(6)</sup> أرغون بن قيران السلاوي: كان نقيب الجيش أيام السلطان حسن وكان قبل ذلك نقيب المماليك عوض أبيه وعيته الأشرف خليل أميراً للحج وتوفي سنة 772 هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 1، ص 416.

والده<sup>(1)</sup>، بينما لم يرد أن نقيباً للجيش أصبح نقيباً للمماليك السلطانية، أو أن نقيباً للجيش قد ورث تلك الوظيفة عن والده مهما كان، وتعتبر وظيفة نقيب المماليك أهم وأرفع من وظيفة نائب دمشق على الرغم من أهمية نيابة دمشق بالنسبة للدولة المملوكية، سواء الإستراتيجية أو العسكرية أو الاقتصادية، فقد ورد في المصادر أن أيدمر العزي<sup>(2)</sup> كان نائباً لدمشق وقد تمت ترقيته إلى نقيب المماليك السلطانية مما يعني مدى أهمية وظيفة نقيب المماليك السلطانية وكان الأشرف خليل بن قلاوون هو الذي أمر بترقية نائب دمشق<sup>(3)</sup> وشمل ديوان الجيش المملوكي قسمين من السجلات، القسم الأول للأمراء وفيه أربع طبقات:

الطبقة الأولى: أمراء المائتين مقدمو الألوف وعدة كل منهم مائة فارس<sup>(4)</sup>.

الطبقة الثانية: أمراء الطلبخانة<sup>(5)</sup> وعدة كل منهم أربعون فارس<sup>(6)</sup>.

الطبقة الثالثة: أمراء العشرات وعدة كل منهم عشرة فوارس<sup>(7)</sup>.

الطبقة الرابعة: أمراء الخمسات<sup>(8)</sup> وعدة كل منهم خمسة فوارس.

والقسم الثاني لطبقات الأجناد هي: 1-المماليك السلطانية وهي أعظم الأجناد شأنًا وأرفعهم قدرًا وأشدتهم إلى السلطان قرباً وأوفرهم إقطاعاً<sup>(9)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 1، ص 416.

<sup>(2)</sup> أيدمر العزي، أصله من مماليك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام كان كثير الهزل واليئ تتسب سوبقة العزي خارج القاهرة كان نقيب المماليك السلطانية في أيام لاجين، استشهد في وفعة شقحب. انظر: ابن تغري بردين النجوم الظاهرة، ج 8، ص 204.

<sup>(3)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 8، ص 161. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 1، ص 513.

<sup>(4)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 14.

<sup>(5)</sup> الطلبخانة: هي ما نسميه في عصرنا الحديث موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي وأمير الطلبخانة هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بيته ويكون أمير أربعين ويترجح في الزيادة إلى ثمانين وبعد أمير الطلبخانة في الدرجة الثانية بين الأمراء. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج 2، ص 562. انظر: دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص 106.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 8، ص 361.

<sup>(7)</sup> المصدر نفسه، ج 16، ص 117.

<sup>(8)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 15.

<sup>(9)</sup> ابن العماد، شذرات الذهب، ج 7، ص 274. ابن تغري، النجوم، ج 14، ص 105.

## 2- أجناد الحلة ولكل أربعين منهم مقدماً<sup>(1)</sup>

ونذكر نوعاً ثالثاً وهم البحريه وهم الحرس الشخصي للسلطان وهم موجودين منذ حكم السلطان الأيوبى الملك الصالح نجم الدين أيوب<sup>(2)</sup> حيث أنهم كانوا يقيمون بطبق القلعة، ومن مهمتهم حراسة السلطان ، وبالنسبة للرواتب فان أجناد الحلة لهم اقطاعات مفرزة ومسجلة بالديوان والمماليك السلطانية لهم رواتب مقررة على ديوان السلطان ومماليك الأمراء ورواتبهم من بيوت الأمراء<sup>(3)</sup> ومن الوظائف المسجلة في الديوان أمير سلاح وهو مقدم السلاحدارية والمتولى لحمل السلاح والمحتمل في السلاح وما يستعمل وهو من أمراء المائتين<sup>(4)</sup>، ويبدو أن نفس هذه الوظيفة كان يطلق عليها اسم آخر في الديوان كما أوضح الفاشندي وهي ناظر السلاح، فله نفس المهام السابقة الذكر ، بالإضافة إلى مهمة جمع السلاح من أقطار الدولة إلى القلعة ومتابعة أمر الإسطبلات الخاصة بالخيل<sup>(5)</sup>، مما يلفت النظر في ديوان الجيش حفاظه على الجندي رغم تقدم عمره وإعفائه من الخدمة العسكرية، ففي حالة عجز الجندي عن أداء مهماته الحربية والعسكرية كان يطبق عليه نظام التقاعد وهو نظام خاص ، حيث خصص لهؤلاء مكان خاص في طباق القلعة وراتب خاص يقدر بثلاثة آلاف درهم في السنة<sup>(6)</sup>، كما كان السلطان يبقى على اقطاعات الأمراء منهم ويمكن أن يورث أولادهم إن كانوا بالكفاءة المناسبة<sup>(7)</sup> ويستثنى من ذلك الأبناء الغير عسكريين أو الذين لا يجيدون الفروسية.

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي،النجوم الزاهره،ج8،ص360.

<sup>(2)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى ،ج4،ص15.

<sup>(3)</sup> المقربى، الخطط،ج2،ص215.وانظر عوان،المماليك،ص21.

<sup>(4)</sup> المقربى، الخطط،ج2،ص232.

<sup>(5)</sup> الفاشندي،صبح الأعشى،ج4،ص232.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي،النجوم الزاهره،ج9،ص53. المقربى، الخطط،ج1،ص90.

<sup>(7)</sup> المقربى، الخطط،ج2،ص216.وانظر: عوان،المماليك،ص21.

## زى الأجناد:

إن أهم ما يستدعي البحث فيه والتأمل في عصر المماليك تلك العناية الفائقة بالملابس التي كانت تملأ حوانيت الخياطين الرسميين والخلعيين الذين يصنعون الخلع المملوكية، فلا يكاد يذكر العصر المملوكي في أي مصدر أو مرجع، إلا وتكون الملابس سمة رئيسة لا تفارق حياة المماليك، وربما ذلك له علاقة مباشرة بحب المماليك واهتمامهم للملابس والتزيين بأفضل أنواع الملابس والأقمشة وذلك لكونهم خرموا من عباءة الرق والعبودية وشعورهم بالقص الذي جعلهم يهتمون بإظهار زينتهم، وخاصة في بدايات عصرهم وتوليهم السلطة، وفي العصر المملوكي أصبحت عادات موروثة وتقاليد متّعة، وإذا ما أردنا الحديث عن الزى في العصر المملوكي فإننا سنتحدث عنه بشكل عام في إطارين:

**الإطار الأول** يختص بزي السلطان وأمراء المماليك، والإطار الثاني متعلقاً بزي الجندي وخاصة أثناء الحروب، فقد ارتبط الزى وقيمه وزركنته وديباجته بمكانة المملوك نفسه، كما كان الزى والملابس يختلف في وقت السلم عن وقت الحرب، كما يختلف أيضاً عند الاحتفال بالانتصار والعروض العسكرية، فكيف إذا عرفنا أن أثر الملابس كان يلقي بظلاله على الأعداء، كما يصف ذلك أحد المؤرخين حين يقول أن جيش الأعداء، ويقصد التتار أنهم حينما رأوا الجيش المملوكي بما عليه من التجمل والخيول لم يقدروا على محاربته<sup>(1)</sup> كما ارتبط الملابس والزى بالعطايا والمنح، حيث كان السلطان ينعم على المتميزين من الجيش المملوكي وفرسانه وخاصة عندما ينتصر الجيش، فقد كان ينعم عليهم السلطان بقباء<sup>(2)</sup> ومن الملاحظ أن الزى اختلف من فترة إلى فترة ومن سلطان إلى سلطان فمثلاً في عهد الملك المنصور قلاوون صار زيه إذا دخلوا

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص298.

<sup>(2)</sup> وهو نوع من الملابس المملوكية وهو عبارة عن قطان ضيق الأكمام ويقال الأقبية الثياب الخارجية كعباءة المرأة . ابن أجأ، العراك، ص97. دهمان، معجم الألفاظ، ص121

إلى الخدمة بالأقبية التترية والكلوتوت فوقها ثم القباء الإسلامي فوقها وتشد المنطقة والسيف، ويتميز الأمراء والمقدمون أعيان الجندي بلبس أقبية قصيرة الأكمام فوق ذلك، وتكون غالباً من الصوف الملطي الأحمر، وتضرب ويلف فوقها عمام صغار ثم زادوا في قدر الكلوتوت، وما يلف فوقها في أيام الأمير يبلغ الخاصكي<sup>(1)</sup>، ومن زيه لبس المهماز على الأخفاف، ويعمل المنديل في الحياضة على الصولق من الجانب الأيمن، وكان معظم العسكر يلبسون الطرز ولا يكفي مهمازه بالذهب<sup>(2)</sup>. وفي الشتاء يلبس العسكر الصوف الملون والنصافي المصقول في الصيف<sup>(3)</sup> وقد اختلف الملابس في عهد قلاوون مما كان عليه منذ عهد الدولة الأيوبية<sup>(4)</sup>، فهو الذي غير ما كان متبع من الزي في عهد من سبقوه من سلاطين المماليك.

ومن الواضح أن الملابس في العصر المملوكي كانت صناعة محلية، بل كان يصدر من مصر إلى باقي أنحاء العالم، وكانت هناك أسواق خاصة، فمثلاً الفراء المستخدم في صناعة الملابس كان له سوق خاصة تسمى سوق الفراعين<sup>(5)</sup> يسكن فيها صناع الفراء وتجاره، كما كان أيضاً مكاناً للتجار يبيعون فيه ثياب الكتان والقطن<sup>(6)</sup> ومن اللافت للانتباه أن المماليك كانوا يلبسون الكلوتونة<sup>(7)</sup> طيلة عصرهم وكانت صفراء مضرية بكلبنات<sup>(8)</sup> وقد أخذت طريقة لبس الكلوتوة أشكالاً مختلفة.

<sup>(1)</sup> يبلغ الخاصكي: درس بالمسجد الحرام وعمل مأذوناً سنة 803هـ واشتغل بقضاء مكة كما عاصر الملك الناصر فرج وكان على المذهب الحنفي ومات بعد أن عجز عن الحركة. انظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص146، الضوء اللمع، ج1، ص179.

<sup>(2)</sup> المهماز: جمع مهماز وهو حديدة تكون في رجل الفارس ليخذ بها الحصان فيسرع. انظر: الفاقشندى، صبح الأعشى، ج2، ص136.

<sup>(3)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص217.

<sup>(4)</sup> السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص111.

<sup>(5)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص103.

<sup>(6)</sup> المصدر نفسه، ج2، ص101.

<sup>(7)</sup> الكلوتوه: جمعها كلوتوت بشديد اللام وهي طاقية صغيرة من الصوف مضرية بالقطن. انظر المقرizi، الخطط، ج2، ص217. ابن اجا، العراق، ص77. انظر الشكل رقم 21 الملحق ص190.

<sup>(8)</sup> كلبنات: جمع كلبنة وهي لباس الرقبة تربط تحت القن لحفظ الكلوتوه التي فوق الرأس، انظر: المقرizi، الخطط، ج2، ص217.

كما كان لونها يتغير حسبما يراه كل سلطان ففي عهد السلطان قلاوون أصيف لبس الشاش<sup>(1)</sup>  
على الكلوته أما في عهد ابنه الأشرف خليل بن قلاوون تغير لون الكلوته من اللون الأصفر إلى  
اللون الأحمر، وأصبحت العمامات تلبس فوقها كما كانت تلبس في العهد الأيوبي<sup>(2)</sup> والملحوظ أن  
المجلس نفسه كان يسمى على اسم كل سلطان يقره مثل كواهل وسلاميات<sup>(3)</sup> وبشكل عام فإن  
السلطان قلاوون هو الأكثر ظهوراً واهتمامًا بمسألة الأزياء في العصر المملوكي، فهو الذي  
غير ما كان عليه الرزى في العصر الأيوبي وما استمر في بدايات العصر المملوكي، فالمنصور  
قلاوون أوجَّ زياً أفضل وأروع<sup>(4)</sup> وكثير من الملابس والأزياء كانت عبارة عن خلع وهدايا من  
السلطان للفرسان الذين يظهرون انتقاماً وانتصارات ينسرح لها قلب السلطان، وكل طبقة من  
الفرسان كانت هناك خلعاً من الملابس خاصة، سواء في اللون أو نوعية القماش أو المذهب، فقد  
كانت خلع أكابر الأمراء المائتين الأطلس الأحمر الرومي وتحته الأطلس الأصفر الرومي وعلى  
الفوقاني طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله نجف من ظاهره من الغشاء قندس وكلوته  
زركس مذهب وكلابيب ذهب وشاش رفيع موصول في طرفيه حرير أبيض، وتختلف حسب  
تقاديرهم، كما كان يزود بسيف محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه<sup>(5)</sup>. وأما المملوك المبتدئ فقد  
كانت كسوته على حساب السلطان من الثياب القطن البعلبكي ومن الكتان الخام المتوسط<sup>(6)</sup>

<sup>(1)</sup> المقرizi، خطط، ج 2، ص 98. الشاش: قماش يوضع للجروح أو على العمامات وتجمع شاشات، وقد تطلق على قماش الحطة، واستعمل أيضًا كنوع من زينة الحرير يوضع على الرأس ويترافق بالذهب واللؤلؤ وقد شاع استعماله حوالي 780هـ وبولغ كثيراً في الإنفاق عليه. دهمان، معجم الألفاظ، ص 95.

<sup>(2)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 41. المقرizi، الخططنج، ج 2، ص 160.

<sup>(3)</sup> كواهل: نسبة للملك الكامل الأيوبي ومفردها كاملية وهي عباءة خارجية للتشريف. انظر: ابن أجاء، العراك، ص 70. سلاميات: نسبة إلى سلار وهو أمير من المماليلك قتله المنصور. انظر: ابن أجاء، العراك، ص 134. وللتوضيح فإن سلار قتله الناصر محمد بعد توقيع السلطة للمرة الرابعة وكان سلار وبيبرس الجاشنكير هما اللذان انتقلبا على الناصر محمد واستولوا على الحكم وكان الناصر محمد بن قلاوون قد هرب إلى الكرك وتحصن فيها ولما اشتد عوده رجع وتسلم السلطة وقام بقتل سلار وبيبرس الجاشنكير. انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج 2، ص 237. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص 33. المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، ج 1، ص 86.

<sup>(4)</sup> السبوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 111. ابن دقاق، الفتحة المسكية، ص 85.

<sup>(5)</sup> المقرizi، الخطط، ج 2، ص 227. السلاح خاناه: هو مخزن السلاح ويشرف عليه السلاحدار وهو الذي يحمل سلاح السلطان ويتولى أمر السلاح. دهمان، معجم الألفاظ، ص 91-92.

<sup>(6)</sup> المقرizi، السلوك، ج 2، ص 524-525. طرخان، النظم الإقطاعية، ص 163.

ومن خلال استعراض الملابس المملوكية عبر عصر كل سلطان على حدة، يتضح عدة محطات في التغيير ، ففي المحطة الأولى لم يحدث أي تغيير في الملابس، فقد بقيت على ما كانت عليه في العهد الأيوبي، حيث كانوا يلبسون كلوتات صفر بغير عمام، وكانت لهم ذواب شعر يرسلونها خلفهم فلما دخل عهد قلاوون تغيرت كما تم ذكره، ومن بعده جاء الأشرف خليل بن قلاوون فغير لون الكلوتات من الصفرة إلى الحمرة، وأمر بالعمائم من فوقها، وبقيت كذلك حتى حج الملك الناصر محمد بن قلاوون فحلق رأسه، فحلق الجميع رؤوسهم واستمروا على الحلق إلى أواخر العهد المملوكي، وترتب على ذلك أن تكون العمامة صغيرة ولكن زيد في قدرها عهد شعبان بن حسين<sup>(1)</sup> فحسنـت هيئتها وأما الثياب فلبسوـا الأقبية التترية والتـكلـوات فوقـها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك يشير عليه بالسيف من جهة اليسار والصولق والكـزلـك من اليمـين<sup>(2)</sup> وأما النساء في عهد قلاوون فلبسوـا الطـراـطـيرـ الحـمرـ<sup>(3)</sup> من تحت العمائم الشامية من القطن<sup>(4)</sup> وأما زى الفارس المملوكي فقد كانت العمامة المزرـكـشـة إضـافـةـ إلى لـبسـ درـاعـةـ<sup>(5)</sup> بنـسـجـيةـ اللـونـ وـطـوقـ ذـهـبـ وـلـهـ عـدـةـ سـيـوـفـ لـوـاءـانـ مـنـشـورـانـ عـلـىـ رـأـسـهـ وـسـهـمـانـ كـبـيرـانـ وـتـرـسـ وـقـدـ لـهـ فـرسـ أـشـهـبـ فـيـ عـنـقـهـ مشـدـةـ<sup>(6)</sup> سـوـدـاءـ وـعـلـيـهـ كـنـبـوشـ أـسـوـدـ<sup>(7)</sup> وقد كان الملابس في فصلـيـ الصـيفـ وـالـشـتـاءـ، يـخـتـلـفـ عـنـ بـعـضـهـ، فـفـيـ الصـيفـ كانـ جـمـيـعـ الـقـمـاشـ منـ الـفـوـقـانـيـ، وـغـيـرـهـ أـبـيـضـ منـ النـصـافـيـ وـنـحـوـ وـتـشـدـ فـوـقـ الـقـبـاءـ إـلـيـهـ الـإـسـلـامـيـ الـمـنـطـقـةـ وـهـيـ الـحـيـاصـةـ، وـمـعـظـمـ مـنـاطـقـهـمـ مـنـ الـفـضـةـ

<sup>(1)</sup> هو الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ولد سنة 754هـ بقلعة الجبل، تسلط بعد خلع ابن عمته الملك المنصور بن محمد وهو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية وكان عمره حين تسلط عشر سنين في الخامس عشر من شعبان سنة 764هـ تنظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 11، ص 24. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 302.

<sup>(2)</sup> الفلكشندى، صبح الأعشى، ج 2، ص 41.

<sup>(3)</sup> يقصد بها الطرح وهي ألبسة كان يتميز بها القضاة الشافعية والحنفية فتستر العمامة وتسلد على ظهر القاضي. دهمان، معجم الألفاظ، ص 107.

<sup>(4)</sup>

المقرizi، السلوك، ج 1، ص 531.

<sup>(5)</sup> الدراعة: حبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف. انظر: المقرizi، السلوك، ج 1، ص 531.

<sup>(6)</sup> المشدة: مرادف للفظ الرقبة. انظر: المقرizi، السلوك، ج 1، ص 531.

<sup>(7)</sup> كنبوش: هي البردعة تجعل تحت سرج الفرس. المقرizi، السلوك، ج 1، ص 531.

المطلية بالذهب، وترضع باليشم ولا ترضع بالجواهر إلا لأكابر أمراء المائتين، وفي زمن الشتاء كانت فوقانياتهم ملونة من الصوف النفيس والحرير الفائق تحتها فراء السنجب الغض ويلبس أكابر النساء السمور ويجعل في المنطقة منديلًا لطيفاً مسدلاً على الصولق ومعظمهم يلبس المطرز على الكمين من الزركش والحرير الأسود المرقوم ولا يلبسه إلا من له إقطاع في الحلقة وأما من هو في الجامكية فلا يتعاطى ذلك، و في أرجلهم لبسوا الخفاف الأبيض في الصيف وإن كانوا في الشتاء لبسوا الخفاف الصفر ويشدون المهاميز المسقطة بالفضة ومن كان له إقطاع في الحلقة يكتف مهمازه بالذهب وبالنسبة للخيول فيركبون الخيول المسومة النفيسة الأنثمان خصوصاً النساء أما الغلمان تركب البغال<sup>(1)</sup> وحتى الخيول كانوا يلبسونها بركستوان<sup>(2)</sup>. كما ظهر في العصر المملوكي لباس للرأس باسم الشربوش وكانت له المكانة الأولى فهو يميز الأمير ولا يلف حوله منديل وكان الشربوش يعتبر خلعة من السلطان لمرتبه الفروسية<sup>(3)</sup>، لكن الشربوش كان موجوداً منذ العهد الأيوبى واستمر عهد المماليك حتى أبطله الجراكسة<sup>(4)</sup>، وبطبيعة الحال أن الملبس تغير من مناسبة إلى أخرى ففي الحرب يلبس المماليك زياً مناسباً كي يحافظ على حياته كالدروع والجواشن والخوذ، وفي الأعياد كان المماليك يلبسون ملابساً خاصة وبالمجمل فزى المماليك ظريف وعدتهم فائقة نفيسة<sup>(5)</sup>، ومهما يكن من أمر فإن زى الجندي المملوكي كان على درجة كبيرة من حسن الرونق وبديع التنسيق حتى أصبح جمال هندامهم مضرب الأمثل عبر التاريخ<sup>(6)</sup>.

<sup>(1)</sup> الفلاشندى صبح الأعشى، ج4، ص42.

<sup>(2)</sup> ابن أجا، العراق، ص51. بركسنوان: غطاء أو درع يوضع على ظهر الفرس. انظر: ابن أجا، العراق، ص51.

<sup>(3)</sup> المقريزى، الخطوط، ج2، ص99.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج2، ص99.

<sup>(5)</sup> الفلاشندى صبح الأعشى، ج4، ص42.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج8، ص142.

## **التمويل:**

إن مسألة التموين تعتبر من أهم المسائل المتعلقة بالانتصار أو الهزيمة، سواء في التاريخ العسكري القديم أو الحديث، فالجندي المقاتل لا يمكن أن يستمر في أي حرب دون تأمين المأكل والمشرب، وكثيراً ما كان سبب انتصار جيش أو هزيمته بسبب التموين، ولذلك من أهم ما يفكر به أي نظام عسكري ناجح، ضرورة توفير الحد الأدنى من المؤنة للجيش، وقد عرف النظام العسكري الإسلامي منذ بداية نشأة الدولة الإسلامية هذه النظرية، وأحسن التدبير فيها، ففي غزوة بدر الكبرى استطاع المسلمون السيطرة على ماء بدر<sup>(1)</sup> وكان ذلك من أهم مقومات الانتصار لل المسلمين، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر من يجهز غزوة تبوك (جيش العسرة) بالجنة فكانت البشرى من نصيب عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>(2)</sup> ولذلك فإن التموين كان له بالغ الأهمية في الأنظمة العسكرية الإسلامية ومنها النظام العسكري المملوكي، حتى أن الإقطاع العسكري كان يصب بالدرجة الأولى في هذا المضمار وحرص على توفير التموين لجيشه وهذا ما سيتم تناوله من خلال البحث، وما يدلل على أهمية هذا العنصر اهتمام السلطان المملوكي بنفسه بهذا الأمر حيث تابع الولاية في الدولة المملوكية بخصوص حفظ مصادر المياه، وخاصة بين مصر والشام<sup>(3)</sup> وحتى حين كان الجيش المملوكي في طريقه لأي معركة أو لتحرير أي مدينة كان يحرص على نزول المناطق التي يمكن أن تسد حاجة الجيش للمؤنة، بل والتي يوجد فيها مراعي وأعشاب، لكي يتم سد حاجة الخيول من الطعام، كما حدث مع بيبرس وجيشه سنة 667هـ/1269م حين أمر بنزول أرسوف شمال فلسطين على ساحل البحر<sup>(4)</sup>

<sup>(1)</sup> الطبرى، تاريخ الأمم، ج2، ص13. الزهرى، الطبقات الكبرى، ج3، ص526. ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص335.

<sup>(2)</sup> الأصبهانى، حلبة الأولياء، ج1، ص58. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص151. ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص4.

<sup>(3)</sup> العسقلانى، الفضل المأثور، ص121.

<sup>(4)</sup> وأرسوف: هي مدينة على بحر الشام شمال فلسطين بها غابة مليئة بالأسود ويقيم بها جماعة من العلماء والمرابطين. انظر: السمعانى، الأنساب، ج5، ص404، ج1، ص112. ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة، ج2، ص323.

لأنها كثيرة المراعي والأعشاب<sup>(1)</sup> وحين نعرف أن سياسة تقسيم الغنائم بعد أي معركة تبدأ بإخراج ما يكفي لتجهيز الجيش في المعارك المقبلة وإخراج ما يسد حاجة التغور وعمارة الحصون<sup>(2)</sup> وإن الغنية أصلاً إنما قسمت على المجاهدين لتغطية المؤنة في الحروب اللاحقة، فالسهم الأول من الخمسة أسهم في حكم الغنية يوزع لسد حاجة التغور وأرزاق القضاة والأئمة والبيت النبي ولليتامى والمساكين والفقراء وأبناء السبيل، والأربعة أخmas الأخرى للمجاهدين الذين حضروا الحرب، وذلك مما شانه توفير المؤنة لهؤلاء الجنود وعوائلهم<sup>(3)</sup>. وان السلطان شخصياً تابع نوعيات المؤنة، حيث حرص على إطعام الجيش المملوكي أفضل الأطعمة ومنها اللحوم بشكل يومي، وحتى أنه كان يأمر بتوزيع العليق والشعير والبرسيم للخيول التي يركبها المجاهدين في الجيش المملوكي ، وحتى أنه في عيد الأضحى كان يأمر بتوزيع الأضاحي على أفراد الجيش المملوكي<sup>(4)</sup> وكان يطلق على المؤنة في النظام العسكري المملوكي مصطلح الميرة، وكانت ترسل الدولة باستمرار الحبوب والقمح والشعير والفواكه والأغنام للجيش وإنما كان بطريقة آمنة<sup>(5)</sup> حتى أن الدولة كانت ترسل للجيش في ميادين القتال الفواكه والحلويات وسائر ما يليق بهم من تموين<sup>(6)</sup> وحين يذكر ابن تغري بردي كلمة (ما يليق بهم ) يتضح مدى اهتمام الدولة بالجندي المملوكي، وبما يجب تقديمها لذلك الجندي، ولا سيما ما يقع في نفس الجندي من رفع لمعنياته حين يشعر بأن الدولة تهتم به، وبنوعية الطعام المقدم له مما يدفعه لتقديم كل ما يمكن تقديمها أثناء المعركة، إضافة لما لنوعية الطعام من فائدة للجسم نفسه، والذي يبذل طاقة كبيرة داخل المعركة، وبالتالي يحتاج إلى فيتامينات وبروتينات ، فالجندي

<sup>(1)</sup> المنصورى،التحفة المملوكية،ص.65. ابن أجاء،العراق،ص.76.

<sup>(2)</sup> ابن النحاس،مشاريع الأشواق،ص.1036.

<sup>(3)</sup> المعتبرى،تحفة المجاهدين،ص.51-52.

<sup>(4)</sup> المقريزى،الخطسط،ج.2،ص.216.

<sup>(5)</sup> ابن أجاء،العراق،ص.96.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج.10،ص.38.

المملوكي يخاطر بحياته، ولذلك كان من واجب الدولة تقديم كل ما يمكن أن يشعر الجندي بأهميته، سواء من الطعام أو الملبس أو كل ما من شأنه إشعاره بأنه إنسان له حقوق. ويلاحظ أن الدولة المملوكية لما كانت توزع حصص من اللحوم والأطعمة الشهية والحلويات والفواكه والكسوات الفاخرة على جنودها، كانت آذاك قوية وكان جيشها بدرجة عالية من الكفاءة، أما في عهد السلطان فرج بن برقوق وهو العصر الذي يطلق عليه دولة المماليك الجراكسة فقد منعت اللحوم وصار يعطى للجندي المملوك عشرة دراهم فصاروا يشترون الفول<sup>(1)</sup> وبطبيعة الحال فإن ذلك كان له أثره السيئ في ضعف الجيش والدولة ، والجدير بالذكر أن الدولة المملوكية لم تتألّ جهاداً في توفير احتياجات الجيش من التموين عبر فرض الضرائب لتغطية نفقات الجيش لتدارك العجز في بيت المال، وكانوا أحياناً يجهزون الجيش من خلال توزيع مبلغ كبير من المال لكل جندي كنفقة لمدة شهرين<sup>(2)</sup> وفي خضم هذا الأمر كانت تظهر بعض العقبات في سياسة تجهيز الجيش المملوكي حيث ورد الكثير من النصوص التي تشير إلى قيام سلاطين المماليك بجمع الضرائب رغم أنوف الناس، لتجهيز الجيش المملوكي، مما جعل بعض العلماء يتصدرون لذلك ويحرضون الناس على عدم الالتزام بالقرار، مما جعل هناك مواجهة بين السلاطين والعلماء، كما حدث بين السلطان بيبرس والشيخ محبي الدين النووي<sup>(3)</sup> الذي لم يوافق على ما قام به بيبرس من جمع للأموال من الناس لتجهيز جيش المماليك ضد التتار ، وقال ذلك الشيخ للسلطان أنه يجب عليه وضع حياصة<sup>(4)</sup> من ذهب عن كل مملوك من الألف مملوك التابعين له لبيت المال

<sup>(1)</sup> المقريزي، الخطط، ج2، ص214.

<sup>(2)</sup> البصريوي، تاريخه، ج1، ص239.

<sup>(3)</sup> محبي الدين النووي: هو يحيى بن شرف بن حسن بن جمعة بن حزام الحازمي أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي كبير الفقهاء في زمانه ولد بنوى سنة 631هـ ونوى قرية من قرى حوران، قدم دمشق سنة 649هـ وحفظ القرآن ولهم كتب عبادات وفقه وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها بيبرس سنة 676هـ. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص274، ج13، ص278.

العز بن عبد السلام حين أراد قطز أن يفرض على الناس الضرائب لتجهيز جيش عين جالوت كما سيتم ذكره في الفصل الرابع.

<sup>(4)</sup> حياصة: هي حزام يوضع في وسط جسم الدابة أو على فخذيها تحت ذيلها للتثبيت السرج للركوب. دهمان، معجم الألفاظ، ص65.

، كذلك يضع حلي مائتي جارية تابعة لبيبرس وذكره بأنه كان مملوكاً، وليس من حقه جمع المال من الناس، مما أثار بيبيرس وأغضبه وجعله يطرد هذا الشيخ<sup>(1)</sup> وهنا تظهر قضية هامة وهي الفجوة الكبيرة بين السلاطين المماليك الأقوياء، أصحاب السلطة، والعلماء الأحرار الذين رأوا مخالفات شرعية فيما يقوم به السلاطين المماليك، وخروجاً من تلك القضية يمكن وضع عنوان يلخص ويحل تلك العلاقة، وهو أن الوجود المملوكي كان نتيجة فراغ سياسي وعسكري واضح المعالم، فقد كان المماليك مع كل انجازاتهم العسكرية، إنما هم عبارة عن ملي الفراغ وتعطية طبيعية فرضتها الظروف الواقعية، ولذلك نجد سلطان العلماء الشيخ العز بن عبد السلام<sup>(2)</sup> قد أدرك تلك المسألة واستطاع التعامل معها بكل حكمة و موضوعية، ولم تكن تلك المسألة هي الوحيدة التي حدثت بين العلماء وسلاطين المماليك، إنما حدث مثل تلك القضية الكثير على مر العصر المملوكي، ولكن السلاطين المماليك غالباً ما كانوا ينصاعون في النهاية لأمر الدين ورأى العلماء، متلماً حدث أثناء العصر المملوكي، فقد أصدر علماء العصر المملوكي فتاوى بضرورة جمع ما في أيدي النساء والجند وما في أيدي النساء من حلي ليؤخذ ليتم به تجهيز الجيش، وإن لم يك足 تجمع الضرائب من عامة الناس<sup>(3)</sup> وأحياناً للتخفيف من حمل تجهيز الحملات العسكرية، وخاصة في أواخر العصر المملوكي فرض نظام التجنيد الإجباري أو البدل العسكري مثل أن يدفع الجندي غير الراغب في مصاحبة الحملات مائة دينار<sup>(4)</sup> .

<sup>(1)</sup> السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص105.

<sup>(2)</sup> العز بن عبد السلام: لقب بسلطان العلماء ولد في دمشق سنة 577هـ، 1181م وتوفي بالقاهرة سنة 660هـ، 1266م، كان ورعاً زاده آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، عاصر الأيوبيين والمماليك. انظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ج1، ص267.

<sup>(3)</sup> ابن أجا، العراق، ص42.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ص38.

وأما سنة 700هـ/1300م فقد عاشت الدولة المملوكية فاقة كبيرة، وكان هناك تحرك للمغول فتم فرض ما يعين على ذلك، فقرر على أرباب المعاش والتجار والباعة وذوي الألباب بالقاهرة ومصر أموالاً بحسب أحوالهم<sup>(1)</sup>. وبالنسبة لتمويل الجيش أوقات السلم فقد كانت تقدم الأسمطة<sup>(2)</sup> لأفراد المماليك السلطانية في الليل والنهار، فكانوا يأكلون ويشربون على حساب الدولة نفسها.

### **الإقطاع العسكري:**

يعتبر عصر سلاطين المماليك ، العصر الذي نضجت فيه النظم الإقطاعية الحربية فقد نشأ المماليك في ظل هذا النظام الإقطاعي زمن الأيوبيين ، وأقاموا دولتهم الإقطاعية على أنقاض دولة أساتذتهم الأيوبيين الذين اعتبروا الدولة ملكاً للسلطان وجنوده ، ولكن الإقطاع ظهر جلياً وبصورة كبيرة في العصور التي حكم فيها غير العرب حيث أنهم كانوا من أصول تركية و جاءوا من أقصى الشرق كالسلاجقة والترك، والأكراد ومن هنا فان الإقطاع جاء كضرورة اقتضتها الحاجة ويوضح ذلك ابن الأثير حين يقول: أن الإقطاع كان على سبيل إرضاء بعض القادة والقبائل في الدولة الزنكية<sup>(3)</sup> حتى أن الدولة الزنكية كانت تقطع مدنًا وإمارات بأكملها على سبيل الإقطاع<sup>(4)</sup> كما فعلت حينما أقطعت الرها<sup>(5)</sup> وحران<sup>(6)</sup>.

ومن الملاحظ في تلك الفترة أن الإقطاع لم يكن مقصوراً على دولة المماليك وإنما كان موجوداً في كل الكيانات العسكرية الموجودة آنذاك من الصليبيين والمغول، وهناك من الباحثين من يعتقد

<sup>(1)</sup> المنصوري، مختار الأخبار، ص116-115.

<sup>(2)</sup> الأسمطة: جمع سساط وهو طاولة خشبية يمد فوقها شتى أنواع الأطعمة والحلويات والشراب والسماط الواحد يشمل خمسة آلاف رطل من اللحم ويكون في دار السلطان. انظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص210.

<sup>(3)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج10، ص456.

<sup>(4)</sup> أبو شامة، الروضتين، ج4، ص415.

<sup>(5)</sup> الرها: مدينة تقع في بقعة تصل بحران وهي وسط بين المدن والغالب على أهلها النصارى وبها الكنايس العاصرة وفيها منديل المسيح ويوجد بها كنيسة من عجائب الأرض. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص663. ابن بطوطة، ج7، ص481.

<sup>(6)</sup> حران: بينها وبين الرها اثنتي عشر ميلاً وهي مدينة الصابئين ولهم بها نزل عليه مصلاههم وهو يعظمونه وينسبون إلى سيدنا إبراهيم وهي قليلة الماء والشجر وهي أرض سهلية يحيط بها جبل شامخ مساقه يومان. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص664.

أن المماليك تأثروا بالنظام الإقطاعي لدى المغول كون المماليك من شرق آسيا ومن نفس الطبقة الزمنية والمكانية للمغول، وخاصة بمن أسلم من المغول بعد معركة عين جالوت<sup>(1)</sup> وهذا القول غير دقيق على الإطلاق، لأن المغول لم يكونوا موجودين في العهد الزنكي وببدايات العصر الأيوبي والسلجوقي، حيث كان النظام الإقطاعي موجوداً قبل المغول، ومن الواضح أن النظام الإقطاعي ارتبط بالواقع الموجود، فقد ترسخت مفاهيم الإقطاع حين كان يحتاج الأمر لذلك. فقد كان الإقطاع جزءاً من ضرورات بقاء المجاهدين وضمانة لاستمرار قدرتهم على الجهاد، وإلا فكيف للسلاجقة والزنكيين والأيوبيين وهم دويلات لا ترقى لمستوى الخلافة التي تستطيع أن تجمع الأموال والرواتب وتقوم بتوزيع العطاء للمجاهدين لحرب غير المسلمين من المع狄ين، الذين لم يجدوا خلافة قوية تصد هجمات المع狄ين من التتار والصلبيين آنذاك، بل ورد عن بيبرس أنه أقطع بعض الصلبيين أرضاً مقابل وقوفهم بجانبه في بعض حروبهم، كما أن بيبرس أقطع لكثير من الفرسان المغول من فرق خان القرن الذهبي برقة 664هـ/1265م وكان قد تم نقلهم للعمل في صفوف المماليك<sup>(2)</sup> وإن دولة المماليك قد اتخذت من الإقطاع أساساً لتسيير الأمور وجعلت الإقطاع يتاسب مع أهمية كلاً من الأمراء والفرسان والجنود ومنحوا الأرض المحررة لمن أبلى بلاءً حسناً، ووصل الأمر لأن يقطع للأمير قرية أو مدينة بأكملها أو يتقاسم أمiran القرية كما فعل بيبرس مع بعض أمراءه<sup>(3)</sup> وكان مرسوم الإقطاع يصدر لخمسين شخصاً أحياناً<sup>(4)</sup> وما جاء في بعض المصادر أن بيبرس أعطى اقطاعات للأمراء تمليكاً مؤبداً شرعاً<sup>(5)</sup> ويبدو ذلك التصرف من قبل بيبرس خطوة اضطرارية لكسب الأمراء، وخاصة في الوقت الذي شهد

<sup>(1)</sup> سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك، ص 75.

<sup>(2)</sup> سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك، ص 77. لم يعثر عن ذلك في المصادر المعاصرة.

<sup>(3)</sup> حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي، ص 50.

<sup>(4)</sup> المرجع نفسه، ص 298-300.

<sup>(5)</sup> المنصوري، التحفة الملوكية، ص 55. يبدو أن المؤرخ المنصوري قد خلط بين الهبة والإقطاع الحربي لأن الإقطاع الحربي في القوانين العسكرية يمكن أن يتزع بأمر السلطان.

عملا دعوبا على الصعيدين الداخلي والخارجي، سواء في العمل على استقرار البلاد والقضاء على الثورات الداخلية، أو على الصعيد الخارجي من خلال فتح الحرب على جبهتين الصليبية والمغولية، وقد نجح بيبرس على الصعيدين الداخلي والخارجي .

أما نظام الإقطاع في دولة المماليك فكان يمنح للأمير أو الجندي ليستغله طوال فترة حياته، أو عمله بالجندية، وفي حال العزل أو الوفاة يخرج الإقطاع عنه<sup>(1)</sup> وما جرت عليه العادة توزيع الإقطاعات وتتجديها بعد المعارك، وخاصة الكجرى التي ينتج عنها تحرير أرض، حيث كانت تخرج المناسير التي تبين الإقطاعات الجديدة كما فعل قطز بعد معركة عين جالوت<sup>(2)</sup> ويعتبر ذلك من باب توزيع الغنائم لإرضاء المحاربين الذين أبلوا بلاء حسنا، وكانت الإقطاعات توزع حسب رتبة الفارس، فقد كان يعطى الأمير الكبير ما بين قرية إلى عشرة قرى والمملوك يحصل على قرية ونصف القرية، أما الجندي يحصل على نصف قرية<sup>(3)</sup>، ويدرك أن الإقطاع للأمير يشمل جنوده فلالأمير الثالث من الإقطاع ولجنوده الثنائي، وكان لكل أربعين جندياً مقدماً، ومن الإقطاعات المقدمة للمقدم العقارات والأبنية الضخمة والأنعام والخيول<sup>(4)</sup>، وقد اختلفت الإقطاعات حسب أهمية المكان ففي خارج مصر كان يقطع للمماليك نيات وأحياناً كان يقوم السلطان بتبدل الإقطاعات بين المماليك وخاصة في الشام فمثلاً نائب صفد يصبح نائب غزة أو طرابلس<sup>(5)</sup> وهنا لابد من الإشارة إلى حرص السلطان على التبدل كي لا تقوى شوكة الأمراء في بعض النباتات وتذارعهم باستغلال أي فترة ضعف للسلطان ، وما أخذه السلطان بعين الاعتبار حينما يقطع الأمراء أن يتبع أسلوب التدرج في الإقطاع فالتدريج كان لزيادة

<sup>(1)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج4، ص15.

<sup>(2)</sup> المنصورى، التحفة الملوکية، ص44.

<sup>(3)</sup> المقريزى، الخطط، ج2، ص219-217. وانظر: البيومى، النظم المالية، ص238.

<sup>(4)</sup> المقريزى، الخطط، ج2، ص216.

<sup>(5)</sup> ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج2، ص476.

الإقطاع فمثلاً يقطع الأمير نيابة صغيرة ثم أكبر ثم أكبر وهكذا حسب الأهمية، ويتجنب السلطان تقليل الإقطاع إلا في الحالات الضرورية<sup>(1)</sup> ومن خلال تتبع الإقطاعات وقيمتها لكل أمير أو جندي بحسب رتبته وأهميته ومكان إقطاعه نستخلص أن مصر أهم من الشام بالنسبة للمماليك، فمصر للسلطان والمقربين وكبار الأمراء في الدولة، وأما الشام فهي أقل شأناً من مصر، بيد أن بعض المدن الشامية لها أهمية كبعض المناطق في مصر<sup>(2)</sup> وعلى سبيل المثال فإن دمشق تعتبر من أهم النيابات في العصر المملوكي ولذلك كان يتم التدقيق فيما يتولى نيابتها وكان يوضع بها حامية قوية من الأجناد<sup>(3)</sup> و ما أصبح سلبية للنظام الإقطاعي هو ضعف أجناد الحلقة عصب الجيش المملوكي بسبب استيلاء السلطان وأمراء الدولة على معظم دخل الإقطاعات مما جعل العامل الاقتصادي والسياسة المنحازة للأمراء في نظام الإقطاع يؤدي في النهاية إلى انهيار العدالة في نظام الإقطاع مما كان له أثراً سلبياً على النظام العسكري المملوكي برمهه وأدى إلى ضعفه<sup>(4)</sup> حتى أن إقطاع السلطان ذاته وصل إلى نصف خراج مصر<sup>(5)</sup> وما ساعد على تدهور النظام العسكري المملوكي هو قيام السلطان بحرية التصرف في الإقطاعات، حيث أصبحت ضمن عطاياه لمن يرضي عنهم، حتى وصل الأمر إلى أن بعض السلاطين ينعمون بالإقطاعات على كل من يرضون عنهم من علماء، وحتى من عامة الناس حتى صار للناس اقطاعات كثيرة<sup>(6)</sup>، كان النظام العسكري أولى بها و باستغلالها ، وبين الفينة والأخرى كانت تخرج من قصر السلطان تجريدة أو مرسوم لإقطاع الأمراء والمقربين والجنود إقطاعات جديدة وتبدلاته الجديدة وتأتي في مرسوم يبدأ بتلك العبارة (أن يبذلوا في خدمة أبوابنا

<sup>(1)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 51-52. وانظر: الطروانة، مملكة صفد، ص 238.

<sup>(2)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 51-52.

<sup>(3)</sup> المشقى، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص 27.

<sup>(4)</sup> البوسي، النظم المالية، ص 303.

<sup>(5)</sup> المقرizi، الخطط، ج 1، ص 88.

<sup>(6)</sup> اليوسفي، نزهة الناظر، ص 207.

الشريفة ويتوكلا على الله ثم على صداقتنا العميقة) ويقول بعض المؤرخين المحدثين أن نظام الشبه بين الإقطاع المغولي والمملوكي كبير، وخاصة حين كان يوزع السلاطين المماليك الإقطاعات بحسب هو لهم<sup>(1)</sup> وهنا لم يوفقا في ذلك التشبّه، فحين كان سلاطين المماليك يقطعون الأماء لخدمة النظام العسكري كان ذلك أمراً إيجابياً، أما حين وزعوا الإقطاعات مجرد رضا السلطان عن شخص، فذلك لم يصلوا إلى نزاهة المغول في توزيع الإقطاعات، لأن المغول أنفسهم لم يوزعوا الإقطاعات على من لا يستحق، ومن الواضح أن النظام الإقطاعي في العصر المملوكي مر بمرحلتين أساسيتين:- فالمرحلة الأولى كان فيها النظام الإقطاعي إيجابياً وفي خدمة النظام العسكري مباشرة ويصب في مصلحة الدولة، وله نظام خاص لا يتجاوزه السلطان نفسه. وأما المرحلة الثانية فقد مر النظام الإقطاعي بفترة تدهور أدى في النهاية إلى أن يكون سبباً في الضعف للدولة بشكل عام، حيث أصبح ذوي الإقطاعات يبيعون إقطاعاتهم للعامة في وقت من الأوقات مما جعل للأراذل إقطاعات في الوقت الذي أصبح الأمراء المماليك أصحاب صنائع وحرف مما أدى إلى تدهور النظام العسكري المملوكي وخاصة في نهايات العصر المملوكي<sup>(2)</sup> وقد كان ذلك من أسباب سقوط دولة المماليك على يد الأتراك العثمانيين سنة 923هـ/ 1517م.

### **أساليب المماليك القتالية والتعبئة العسكرية:**

لا شك أن القتال فن من الفنون التي لها أصولها وقواعدها وخدعها ومكائدتها، وقد فطن المسلمون الأوائل منذ بداية حروبهم إلى ذلك، فأبدعوا وانتصروا رغم قلة عددهم وعدتهم وأساليب الحرب كثيرة ومتعددة ولم يبتدعها المماليك، فقد كانت الأساليب التي

<sup>(1)</sup> عيسى، العالم الإسلامي، ص106.

<sup>(2)</sup> المقريزي، الخطط، ج2، ص219.

استخدمها المماليك موجودة من قبلهم، مثل قتال الخميس، وهو تقسيم الجيش إلى خمس فرق، الفرقة الأولى المقدمة، والفرقة الثانية المؤخرة، والفرقة الثالثة الميمنة، والرابعة الميسرة، والخامسة القلب، وهذه الطريقة متبعة منذ القدم، وقد استخدمها المسلمون منذ بداية معاركهم العسكرية<sup>(1)</sup> وأيضاً القتال في صفوف، فقد كانت موجودة ومتبعة من قبل المسلمين الأوائل، وقد استخدمها المسلمون في غزوة بدر، وأيضاً قتال الكر والفر كان موجوداً، وهو من أهم الطرق المتتبعة لدى المسلمين في قتالهم، حيث أنهم كانوا غالباً أقل عدداً من أعدائهم. كما كانت طريقة قتال الكراديس<sup>(2)</sup> موجودة وهي ذات فائدة كبيرة في معارك المسلمين، لا سيما أن أعدادهم كانت قليلة فإذا انسحب أو هزم كرديس لا ينسحب باقي الجيش، وإنما تبقى باقي الكراديس في القتال وهذا يخفف عبء القيادة لأن كل كرديس له قائد خاص وأما قتال الصفوف فيه من الخطورة أن الجيش كله يكون عبارة عن صفوف، ومن الصعب الاستمرار في المعركة إذا انسحب صف بأكمله<sup>(3)</sup> وإن سبب استخدام نظام الكراديس هو أنه لما كثرت جنود الدول خشوا أن يضرب بعضهم رقاب بعض فجعلوا كل كرديس له قائد ورابة، وقد استخدمها الفرس والروم والمسلمون ومن تلك الطريقة يكون الميمنة بكرديس، والميسرة بكرديس، والقلب بكرديس، والمؤخرة بكرديس وهكذا<sup>(4)</sup> ونظام الكراديس له فائدة عظيمة، وهي عدم قدرة الأعداء على تحديد عدد الجيش المكردس<sup>(5)</sup> وقد كان المغول يستخدمون تلك الطريقة في القتال<sup>(6)</sup> وبالنسبة للمماليك فقد كانوا يستخدمون كل الطرق السابق ذكرها مع تعديلات بما يناسب مكان المعركة

<sup>(1)</sup>: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص474

<sup>(2)</sup>: الكراديس: جمع كرديس و معناها الخيل العظيمة والكراديس الفرق منها وهي كتائب الخيل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص195. والكراديس هي طريقة قتال فيها يتم تقسيم الجيش إلى مجموعات كثيرة وكل مجموعة لها قائدها وهي تتضمن عدم انسحاب الجيش إذا انهزم كرديس أو جزء منه وهي أن يكون كل مجموعة من الجنود عبارة عن فرقة مستقلة لها قائدها وينكاثفون حول بعضهم حتى لا يتمكن أعداءهم منهم. انظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص474. انظر الشكل رقم 26 في الملحق ص193.

<sup>(3)</sup>: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص222. الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص336.

<sup>(4)</sup>: ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص273-272. ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص93.

<sup>(5)</sup>: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية الكبرى، ص367.

<sup>(6)</sup>: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص160.

والخطة التي سيتم إتباعها ويتفق عليها قادة الجيش المملوكي، وقد استخدم المماليك قتال الصفوف حيث اتبوا تلك الطريقة فكان يسير الجندي المملوكي بجانب صاحبه حتى يكاد يتلمس به ويسيرون على هذا النحو حين يستقر العدو وهذه الطريقة قد اتبعت في حروبهم لإرهاب العدو، وكانوا يقسمون الجيش إلى ثلاث صفوف يضربون صفا وراء صف ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم ويتناضلون جلوساً إلى أن يتهيأ النصر وهي تعبئة محبكة غريبة وكانوا في حروبهم يحفرون خنادق حول معسكراتهم<sup>(1)</sup> ، وقد عمل المماليك على دمج عدة طرق مع بعضها في فنون القتال، فعلى الرغم من استخدام القتال في صفوف، إلا أن الصفوف ذاتها عبارة عن مجموعات مكردية متراسة، من خلالها يتمكن الجيش المملوكي من السيطرة على أرض المعركة، وكان يوصى بقتل أي جندي يحاول ترك مكانه ضمن التنظيم، لأنه سيترك فراغاً سيسغله الأعداء<sup>(2)</sup> وقد فطن المماليك إلى فنون الحروب المتعددة، حيث كانوا محترفين لطرق القتال، فالقتال مهنتهم الأساسية وقد تربوا عليه منذ طفولتهم فهم فرسان مدربون وفي معظم معاركهم كانوا يقسمون الجيش إلى فرق وكرايس تختص كل مجموعة منهم بعمل ومن الفرق من كانت مدربة على تسلق الحبال ولاقتحام المدن المحصنة<sup>(3)</sup> وكان يحرص المماليك على إظهار قوتهم وكثرة قواتهم بعرض تظاهر القوة والرعب في نفوس أعدائهم، في معركة عين جالوت لاحظ التتر كثرة العساكر المملوكية وحسن ما عليهم وحملهم وهم ينحدرون من الجبل تتعاقب الأطلاط أو لا بأول ووقد وقعت الكوسات<sup>(4)</sup> والطلخانات<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 274-275.

<sup>(2)</sup> المقربزي، السلوك، ج 1، ص 933.

<sup>(3)</sup> المنصورى، التحفة المملوكية، ص 61.

<sup>(4)</sup> الكوسات: هي صنوج تشبه الترس الصغير يدق بأحدتها على الآخر بيقاع مخصوص. انظر الفاقشندى: صبح الأعشى، ج 4، ص 9.

<sup>(5)</sup> الطلخانات: وهي ما نسميه في عصرنا الحالي موسيقى الجيش وهي لفظ فارسي، كما كانت تستخدمن في الحروب ولاستقبال ضيوف السلطان. انظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص 106. وانظر: سالم، سحر، دراسات في تاريخ مصر، ص 259.

وهنا لابد من تثبيت عدة حقائق، وهي أن المماليك حرصوا على إظهار قوتهم من خلال إظهار أعداد كبيرة بواسطة عرض الجيش، على الرغم أنهم ليسوا بأكثر من أعدائهم، ففي طريقة نزول الجيش إلى أرض المعركة يمكن التمويه. وحقيقة أخرى هي حرص المماليك على أن ينزلوا من مكان عال، فيظهرروا بشكل مرعب ودائماً من الأسفل يرى من بالأعلى أكثر عدداً وأكبر حجماً، ولذلك في فن التصوير التلفزيوني حينما يريدون تحثير شيء يصورونه من أعلى إلى أسفل وإذا أرادوا تفخيم وتكبير شيء وإظهاره بأكبر من حجمه وبالعزم يصورونه من أسفل إلى أعلى، وبذلك فقد استطاع المماليك استغلال هذا الفن، كما حرصوا على إظهار الزينة من خلال ليس أفضل الثياب، حتى وهم في المعارك، إضافة إلى استخدام الموسيقى العسكرية التي سيتمتناولها بالتفصيل في المكان المخصص لها بالبحث، وقد تجلت الموهبة القتالية المملوكية في كثير من المعارك، من بينها وقعة حمص سنة 680هـ/1281م، التي بلغ فيها عدد الجنديين خمسين ألفاً والتنتار مائة ألف، وحينما كاد التنتار ينتصرون حيثكسروا ميمنة الجيش المملوكي ،استطاع المماليك تغيير نتيجة المعركة (1) بفضل نظام الكرايس وبذلك تثبت الخطط المملوكية في أساليبها قيمة تقسيم الجيش إلى فرق. كما كان المماليك يحرصون على ضم العلماء وقراء القرآن مع كل فرقة عسكرية، وكان دور العلماء بارزاً في تشويق المقاتلين للجنة مما كان له عظيم الأثر في نفوس الجيش المملوكي . وكانت لمرافقه السلطان المملوكي للحملات العسكرية دوراً كبيراً في نفس الجندي المملوكي، حين يرى السلطان نفسه داخل المعركة، وكان أيضاً الخليفة العباسي يرافق الحملات العسكرية أحياناً ويبدو أن خروج الخليفة كان بأمر من السلطان المملوكي الذي كان له السلطة على الخليفة نفسه في القاهرة وقد كان الخليفة نفسه يقول

---

<sup>(1)</sup> الياقعي، مرآة الجنان، ج 4، ص 191.

"لِلْجَنْدِ: قاتلوا عن دين نبيكم وعن حريمكم" وكانت كلمات العلماء أيضاً تجعل من الفرسان من يسقط عن فرسه مغشياً عليه لتأثيره بالوعظ الديني، حتى أن ابن تغري بردي يصف الجنود والقادة داخل الجيش المملوكي بأنهم كانوا يسلمون أنفسهم للشهادة في سبيل الله من أثر كلام الدين، فكانوا يضعون نصب أعينهم إما النصر أو الشهادة<sup>(1)</sup> كما كان يحرص المماليك على رفع السنافق<sup>(2)</sup> على أسوار قلاع أعدائهم حتى يحطموا نفسيات أعدائهم، وللإعلام دور كبير في رفع الروح المعنوية، وتحطيم الروح المعنوية لدى أعداءه، ومثال ذلك حصار قيسارية<sup>(3)</sup> حيث تسلق بعض فرسان المماليك السور وتحلقوا كالنسور<sup>(4)</sup> كما حرص المماليك لإرهاب أعدائهم نصب المنجنيقات<sup>(5)</sup> وقصف المدن الممحونة بشكل مرعب وفي نفس الوقت تدور الخيول بفرسانها حول المدينة، كما يتم نصب السكاك على أسوار المدن المحاصرة لتصعد عليها الخيول التابعة للجيش الإسلامي ، وكانوا كل يوم يصدعون هجومهم أكثر من اليوم السابق، وذلك من خلال زيادة قصف المدن بالمنجنيقات حتى تستسلم<sup>(6)</sup>. ومن خلال تتبع المرحلة المملوكية نجد أن البيئة التعليمية في تلك المرحلة شهدت فكراً وتأليفاً عن الجهاد بشكل كبير فقد ظهر في ذلك العصر الكتابات المتعددة عن الجهاد وفضائله بشكل كبير والحرروب وفنونها وصناعة الأسلحة<sup>(7)</sup>

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 160.

<sup>(2)</sup> السنافق: جمع سنجق وهو لفظ تركي بمعنى العلم أو الرأي وبمعنى الرمح أو اللواء وقد كان لكل فرقة من الجيش راية تعلق على رأس الرمح سمي سنجق وأول من حملها سيف الدين غازى أخو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي. انظر: أبوشامة، أخبار الروضتين في أخبار الدولتين، ج 1، ص 228. انظر الشكل رقم 25 في الملحق ص 192.

<sup>(3)</sup> قيسارية: بلد من ساحل الشام بشمال فلسطين وهي من التمور وبينها وبين يافا ثلاثون ميلاً وإلى نابلس ثلاثون ميلاً ومنها إلى حيفا يومان. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 365. البكري، معجم ما استجمع، ج 3، ص 110...

<sup>(4)</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 227. ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 260. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص 93.

<sup>(5)</sup> المنجنيق: هو من جملة الآلات المنقولة المستعملة في الحروب وقيل أن أول من استخدمه جذيمة الأبرش ملك العرب وقيل في تفسير سورة الأنبياء أن المشركين لما عززوا على حرق سيدنا إبراهيم الخليل أضرموا النار ولم يدرروا كيف يلقونه فيها فجاءهم أبليس فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق وضع فيه فرموه انظر: اليعقوبي، تاريخه، ج 1، ص 24. ابن خلakan، وفيات الأعيان، ج 7، ص 45-46. ومنه أنواع: العربي المدين وهو أىقن مصنوعاته وأوثق معمولاته ومنه التركي وهو أقله كلفة واحصرها مؤنة ومنه الفرنجي وان افضل الأخشاب لصناعة المنجنيق خشب القراصيا فان عدم فخذب قريب العقد متوسط كالأرز وما شابه. انظر الطرسوسي، البصرة، ص 16. انظر الأشكال رقم (9-8-7-6) في الملحق ص 186-185.

<sup>(6)</sup> المنصورى، التحفة المملوكية، ص 53.

<sup>(7)</sup> انظر: ابن النحاس، مشارع الأشواق في مصارع العشاق (في فضائل الجهاد)، العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، الطرسوسي، تبصرة الألباب في كيفية النجاة من الحروب، كتاب علل الرمي وفساده، كتاب الفروسيّة لابن القيم الجوزية.

وغيرها من الكتب الكثيرة، التي من شأنها تفعيل الجهاد في سبيل الله وإتقان الفروسية، ويتبين من خلال تتبع العصر المملوكي دور الكثير من العلماء في تحريض المسلمين على القتال وكان ذلك من أهم أساليب التعبئة العسكرية والقتال، وموافق الشيخ العز بن عبد السلام كانت ظاهرة بشكل كبير (1) حتى في أواخر العصر المملوكي حينما تراخي الجنود المماليك في قتال أعدائهم كان للعلماء دور بارز في التعبئة العسكرية حيث كانوا يذكرونهم بانتصارات الجيل الأول من المماليك وخاصة بطولات بيبرس (2). ومن أساليب المماليك العسكرية استخدامهم للحرب النفسية حيث عمدوا إلى إسر مجموعات صليبية، وحملوهم على الإبل وساروا بهم بجوار المدن المحتلة من قبل الصليبيين، كما حدث في الهجوم على مدينة صفد حيث أصيب سكان صفد من الصليبيين وحميיתה بالذعر مما كان له عظيم الأثر في الهزيمة النفسية للصليبيين ومن ثم استسلامهم ليتم تحرير صفد (3) وبطبيعة الحال كان لكل معركة خطة منفصلة، بحسب المكان والزمان ولكل سلطان أسلوبه في المعارك، لكن عنوانهم جميعاً التميز والتنوع والتقدّم والإبداع بوضع أفضل الطرق للاقاء الأعداء، وقد نجح النظام العسكري المملوكي إلى حد كبير في خوض المعارك الفاصلة وتحرير المدن وطرد المحتلين، سواء من التتار أو الصليبيين وسيتم تناول الخطط العسكرية والدفاعية وإدارة المعارك والفرق الاستطلاعية في الفصل الثالث كما سيتم تناول التطبيقات العسكرية للخطط وفنون القتال في الفصل الرابع.

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي،*النجم الزاهر*، ج 7، ص 72. الحنبلي،*شذرات الذهب*، ج 5، ص 291. الشيرازي،*طبقات الفقهاء*، ج 1، ص 267.

<sup>(2)</sup> اليوسفي،*نزهة الناظر*، ص 207.

<sup>(3)</sup> المنصورى،*التحفة المملوكية*، ص 57.

## الأطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف:

كان الجيش المملوكي قد عرف نظام الأطلاب، وهو قائم على أساس تقسيم الجيش إلى كتائب، يكون على رأس كل كتيبة أمير مقدم و الكتيبة الواحدة منها مكونة من سبعين إلى مائتي فارس (1) والطلب هو الفرقة من الجيش(2) و الأطلاب بلغة الترك، الأمير أو المقدم له علم معقود وبوق مضروب(3) وقد كان يقصد بالأطلاب تنظيم الجيش وتقسيمه إلى فرق، تقدم إلى المعركة حسب الخطة، وكان لكل طلب خواص تتميز بها، وهذا التميز يظهر باختلاف نوع السلاح التي يتجهز بها الطلب، ولا يمكن لأي جيش التحرك وممارسة العمليات العسكرية ما لم يتم التنسيق والتنظيم، ويتبين ذلك من خلال أول معركة خاضها المماليك ضد المغول وهي معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م ،حيث كان بيبرس على خيل الطلب(4) وكان التنسيق بين الأطلاب في تلك المعركة من خلال خطة تقضي أن يتوجهون التتار بأن الجيش المملوكي هو طلب بيبرس فقط، مما جعل المغول يشتبكون مع طلب بيبرس بلا تفكير اعتقاداً منهم أن الجيش كله فقط من هم تحت قيادة بيبرس، وبذلك استطاع طلب بيبرس استدراج التتار إلى المكان المتفق عليه مع باقي الجيش المملوكي بقيادة قطز، فلما وقع التتار في الشرك تدافعت أطلاب الجيش المملوكي من كل صوب محاصرة الجيش المغولي، فكان النصر حليف المسلمين(5). وقد كان النظام العسكري المملوكي يحدد حجم الجيش بعدد أطلابه فقد روى المنصورى أن الجيش المملوكي الذي خرج لمقابلة التتار في عهد الملك السعيد ابن بيبرس (6) بأن عدته اثنى عشر

(1) المقريزي، الخطط، ج 2، ص 213-214.

(2) ابن أجا، العراك، ص 45.

(3) المقريزي، الخطط، ج 1، ص 85.

(4) المنصورى، التحفة المملوكية، ص 44.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 259. الملك المكي، سبط النجوم العوالى، ج 4، ص 24.

(6) الملك السعيد: هو محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس سمي بركرة خان نسبة لجده من أمه ملك التتار، تسلط في حياة أبيه بيبرس يوم الخميس العاشر من شوال سنة 662هـ وبعد وفاة أبيه حكم سنتين وشهرين وكان متزوجاً من ابنة المنصور قلاون. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 259. الملك المكي، سبط النجوم العوالى، ج 4، ص 24.

طلباً<sup>(1)</sup> وهنا إذا افترضنا أن الطلب عدته مائتي فارس، يكون عدد الجيش المملوكي ألفين وأربعمائة فارس فقط، وهذا عدد قليل مما يرجح أن الأطلاب غير محصورة بعدد، لأنه لا يعقل أن يكون الطلب من سبعين إلى مائتي فارس فقط ، وإنما الطلب مرتبط عده بالخطة المعدة، فيمكن أن يكون قليل العدد أو كثير العدد بحسب إعداد الخطة المقترحة لخوض الحرب، ومما يرجح هذا الرأي أن الطلب عبارة عن تقسيمة للجيش، بحيث كان النظام العسكري المملوكي يعتبر الميمنة طلب والميسرة طلب والقلب طلب والمؤخرة طلب، وهكذا مما يعني عدم ارتباط الطلب بعدد معين، حتى أن كل فرقة تابعة للنظام العسكري المملوكي تعتبر طلباً ، فأجناد الأمراء أطلاباً والفرقة الهندسية طلب، فالنظام العسكري المملوكي كان يعتمد على نظام الأطلاب في تقسيمه الجيش<sup>(2)</sup> حيث من خلال هذا النظام يستطيع السلطان تحديد انجازاته وإخفاقاته أو لا بأول خلال الحرب من خلال متابعة كل قائد طلب على حدة، إضافة إلى فتح باب المنافسة بين أمراء الأطلاب، وبذلك يكون من الممكن أن يظهر طلب إذا انتصر . وما يتضح من خلال تتبع المعارك الحربية المملوكية أن النظام العسكري المملوكي لم يدخل أي معركة بكل أطلابه، وإنما كان يتم استدعاء الأطلاب حسب الحاجة خلال المعركة نفسها<sup>(3)</sup> وبيدو ذلك من باب الحرص والحفاظ على القدرة الوقائية للجيش وحماية العاصمة من أي التفاف للعدو، كما أنه صمام أمان ضد أي محاولة انقلاب داخل النظام العسكري المملوكي، كما أن النظام العسكري المملوكي يعمل ضمن إستراتيجية تعتمد على الكفاءة القتالية والخطط العسكرية في إدارة المعارك، وليس على أعداد الأطلاب المشتركة في المعركة فقط، ولذلك نجد أن قائد المماليك في المعارك يطلب الأطلاب إذا لزم الأمر. وفي نظام الأطلاب كان كل طلب له خصوصية وعدة

<sup>(1)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص84.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج7، ص296.

<sup>(3)</sup> ابن أجا، العراق، ص91.

خاصة ويسير وفق خطة جانبية منفصلة يقودها قائداتها المباشر، وكل طلب يعرف أفراده وجنوده بعضهم البعض وبينهم تفاهمات لا يدركها إلا هم للحفاظ على السرية<sup>(1)</sup> وأيضا كل طلب له أسلحته ومهامه المنوطة به، فقد كان من ضمن الأطلاب على سبيل المثال طلب النشابة وكانت من أقوى الأطلاب في الجهاد<sup>(2)</sup> وبشكل عام فإن الجيش المملوكي له صنفان أساسيان إضافة إلى

أصناف أخرى كالفرق الهندسية:-

**الصنف الأول: الفرسان (الخيالة)<sup>(3)</sup>** وهو عصب الجيش ومهمته القتال والاستطلاع والاستكشاف، ويتميز بسرعة الحركة كفرقة بيبرس في معركة عين جالوت والتي كان له الدور البارز في إحراز النصر، وهذه الفرقة لا يشترط فيها أن تقابل العدو وجهاً لوجه لأنها تعتبر فرقة خاصة لها مهام خاصة لا يجوز التضحية بها أو دخولها في مغامرة حربية قد تخسر فيها فرساناً مدربين، ولذلك فهم ينفذون مهماتهم بدقة وينسحبون إلى قواudem و هذه الفرقة يمكنها تقديم معلومات دقيقة عن الأعداء من شأنها أن تبني عليها الخطة للجيش، مما يؤهل النظام العسكري المملوكي أن يكون صاحب المبادرة ببدء الحرب بناء على المعلومات المتوفرة والتي تعطي المماليك قوة معلوماتية يمكن أن تؤثر على سير المعركة ونتائجها.

**الصنف الثاني: المشاة (الرجالات)** وهم القسم الأكبر من الجيش وهم الذين يقومون بأعباء القتال وتحمل مشاقه ونتائجها<sup>(4)</sup>.

وبالنسبة للصفوف الأخرى فاسمهم مرتبط بالأسلحة التي يحملونها، وسيتم التفصيل في ذلك في الفصلين الثالث والرابع.

<sup>(1)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص49.

<sup>(2)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص75.

<sup>(3)</sup> انظر: الشكل رقم 26 في الملحق ص 192.

<sup>(4)</sup> ابن منكى، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، مخطوط، ورقة 13-14-15. انظر: فهيم، الفن الحربي، ص150-151.

## **المتطوعون في الجيش المملوكي:**

إضافة إلى المقاتلين من الفرسان والمشاة النظاميين المسجلين في ديوان الجيش المملوكي ، و إلى جند الإقطاع التابعين للأمراء ، إضافة إلى أجناد الحلقة و المماليك السلطانية ، و فرسان الأمراء ، ثمة متطوعين <sup>(1)</sup> مقاتلين و خاصة من أهل مصر والشام ، ولو رجعنا إلى بداية الحروب الإسلامية في عهد الرسول "ص" سنجد أن كافة الجنود كانت متطوعة ، حتى عهد عمر بن الخطاب فهو أول من أسس ديوان الجند<sup>(2)</sup> ، وأصبح الجيش نظامياً ، وان الأمر بالجهاد الذي جاء في القرآن و السنة إنما خاطب كافة المسلمين ولم يخاطب الجيش النظامي فقط ، وأن الجهاد يصبح فرض عين على العبد والمرأة بدون إذن إذا دخل الكفار بلد من بلاد المسلمين<sup>(3)</sup>، ولكن في العهد المملوكي ثمة مشكلة حقيقة ، فالجيش المملوكي عبارة عن عبيد اشتراهم السلاطين الأيوبيون و سيطروا على الحكم ، وقد كانوا من أصول ذات قوميات تركية و جركسية و رومية و كردية و تركمان<sup>(4)</sup> ولم يكن يسمح للعرب و أهالي البلاد بالانخراط في الجيش المملوكي ، وكيف يندمج أي عنصر ضمن هذا الجيش المدرب تدريباً عسكرياً محكماً ، فالمماليك تربوا منذ كانوا صبية ، فالفرق العسكرية المملوكية تميزت بتدريبات عسكرية مميزة ، لم يكن بمقدور أهالي البلاد مواكبة تلك التدريبات ، بالإضافة إلى عدم سماح السلاطين بدخول أهالي البلاد إلى الجيش المملوكي ، وحرص أهالي البلاد أنفسهم على متابعة أمور حياتهم و صنائعهم إضافة إلى تحيز السلاطين المملوكين إلى أبناء جنسهم و نظرتهم الدونية إلى أهالي البلاد. و على الرغم مما سبق إلا أن المخلصين و المحبين لفريضة الجهاد كانوا دائماً على

<sup>(1)</sup> متطوعون : الفعل منها تطوع أي تبرع و المطوعة الذين يتطوعون بالجهاد ، انظر الرازي ، مختار الصحاح ، ج 1 ، ص 168. ابن منظور لسان العرب ، ج 8، ص 243.

<sup>(2)</sup> الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 436.

<sup>(3)</sup> المعيرى ، زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص 51

<sup>(4)</sup> المقريزى ، الخطط ، ج 2 ، ص 215 ، انظر الفصل الأول .

استعداد لتقديم التضحية ، على الرغم من العامل النفسي السيئ الذي يتلخص في أن أي إنجاز عسكري سيكون للمماليك أنفسهم ، وليس للمتطوعين ، إلا أن هؤلاء المتطوعين رجوا الشواب من الله عز وجل ، وفي النهاية المتطوعة يدافعون عن أرضهم وعرضهم ، وقد عرف من المتطوعين المساندين للمماليك في حربهم ضد المغول آل مهنا<sup>(1)</sup> وآل فضل<sup>(2)</sup> وآل مرة<sup>(3)</sup> وهذه القبائل كانت تقيم بين بادية الشام والعراق والجزيرة<sup>(4)</sup> ومنذ اللحظة الأولى لحروب المماليك انضمت قوافل المتطوعين لملاقة الأعداء ، فالمسلمون لا يقبلون إلا المشاركة ، و بذلك النفس والمال طمعاً في مرضاة الله عز وجل ، وحين تتبع معركة عين جالوت التي انكسر فيها التيار نجد أن من أسباب النصر انضمام المتطوعين من سكان فلسطين إلى جيش المماليك ، فقد التحق بجيش المماليك عسكر الشام المتطوعين من العرب<sup>(5)</sup> كما خرجت عساكر مصر مع متطوعي الديار المصرية أيضاً وحاربوا في معركة عين جالوت<sup>(6)</sup> و بالانتقال من عهد قطز في معركة عين جالوت إلى عهد بيبرس نجده يدرك قيمة المتطوعين ، فهم جند إضافيين لا يكلفون الدولة شيء ، فيقوم بيبرس بتجنيد العشائر العربية سنة 660هـ / 1261م، على حدود الفرات و يحثهم على قتال المغول بعد أن دعمهم بالأموال والهدايا وقاموا بالفعل بهذا الدور<sup>(7)</sup> وهنا لابد من الإشارة إلى ذكاء بيبرس العسكري حيث أنه فطن لمسألة هامة، ألا وهي أن مصر تحت رعايته المباشرة ، فهو يضمن حمايتها بمماليكه وجيشه، والشام في حماية أجناد

<sup>(1)</sup> آل مهنا: هم رحلة ما بين الشام والجزيرة ونجد وينسبون إلى طبي ويقال أنهم ينسبون إلى ربيعة، اشتهرו بتربية الخيول العربية الأصيلة أقاموا علاقات مع السلاطين المماليك الذين أكرمواهم مقابل جلب الخيول منهم ومشاركتهم في الحروب إلى جانب المماليك. انظر ابن تغري بردين النجوم الزاهرة، ج 9، ص 167.

<sup>(2)</sup> آل فضل: كانوا مقيمين ببوران بعد أن طردتهم آل مراد من حمص ونواحيها تقربوا إلى سلاطين المماليك فأقطعوا لهم الأقطاعات فاستظهروا بها ، ابن حذرون ، العبر ، ج 5 ، ص 498.

<sup>(3)</sup> آل مرة: هي إحدى القبائل العربية والتي تتنقل من مكان إلى مكان بين الجزيرة وأطراف العراق وبادية الشام وهي التي اشتهرت بالحرب التي قامت بينها وبين بنى تغلب قبل الإسلام. انظر ابن الأثير، الكامل، ج 1، ص 512. اليعقوبي، تاريخه، ج 2، ص 27.

<sup>(4)</sup> المنصورى ، تحفة المملوكية ، ص 99

<sup>(5)</sup> اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، م 1 ، ص 360 ، الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ص 162.

<sup>(6)</sup> أبو شامة ، ترجم رجال القرنين ، ص 270 .

<sup>(7)</sup> الياقعي ، مرآة الجنان ، ج 4 ، ص 236. الزبيدي ، التاريخ الإسلامي ، ص 34 .

الحلقة والأمراء والجنود الموزعين على القلاع والثغور . فكيف سيصد حملات المغول من الشرق، فمن الصعب على النظام العسكري المملوكي توفير حاميات ضخمة لصد عدوان المغول من الشرق على حدود الفرات، فوجد من مصلحته و مصلحة الدولة تجنيد العشائر العربية في تلك المنطقة، كما أن بيبرس في كل حملاته قاتل معه خلق كثير من المتطوعين <sup>(1)</sup>. وفي إحدى معارك بيبرس حينما وصل إلى الفرات وكسر المغول ، كان معه مهنا بن مانع بن حذيفة في ألفين من عربه ، ولما انتهت المعركة توسط قلاوون عند بيبرس ليعطي آل مهنا إقطاع مقابل خدمتهم في الحرب فرفض بيبرس وقال : "ويلك يا بدوي نحس وصلت أن تطلب إقطاع " <sup>(2)</sup> وهذا لابد من تحليل موقفان أولهم موقف العرب المتطوعين إذ أنهم حاربوا دفاعاً عن دينهم وأرضهم ولذلك لم يربطوا الجهاد بموقفهم تجاه المماليك أو بمقابل، وإن المنصور قلاوون هو الذي طلب للعرب إقطاعاً وربما كان ذلك بمبادرة منه، وأن رد بيبرس لم يؤثر على أداء العرب في التطوع، بدليل مشاركتهم باستمرار، وعلى مر العصر المملوكي بلا استثناء .

والثاني موقف بيبرس حيث أنه بالغ في إظهار رفضه ورده كان دلالة واضحة على التمييز العنصري بحق العرب، ويبدو ذلك غير مستغرب كون بيبرس مملوكاً، والمملوك لا يمكن أن يصبح ذا صفات السيد المتنزن الذي يعامل الكل سواسية لأن المترتبات النفسية أكبر من أن تنسى فالامر يبدو في إطار طبيعي، وفي أواخر عهد بيبرس ظهر جهاد المتطوعين بصورة جلية من خلال الدفاع عن صفد حين لم يكن بها حامية كافية<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 102 .

<sup>(2)</sup> المقريزي ، السلوك ، ج 3 ، ص 306

<sup>(3)</sup> طرخان، مملكة صفد، ص 239.

ويظهر مشاركة المتطوعين من العرب في تحرير عكا، حيث كان عدد المتطوعة يفوق عدد الجيش المملوكي نفسه (1) كما شارك المتطوعة من العرب في معركة طرابلس حين هاجمها الصليبيين بمائتي مركب، وكان نائبه المملوكي مسافراً فقتل الصليبيون حاميتها من الجند واجتمع من سمع من عرب الشام وتمكنوا من تحرير طرابلس، وقتل الكثير من الصليبيين (2) ويصف المؤرخ ابن أجا إحدى خسائر المعارك المملوكية بقوله : " و قتل من المماليك وعربان جبل نابلس و التركمان الكثير "(3) وهذا النص يتضمن دلالة واضحة على مشاركة العرب في المعارك المملوكية، وأنهم كانوا جزءاً لا يتجزأ من النظام العسكري المملوكي وإن كانوا قوات مساندة غير نظامية. وقد اشتهر من العرب المتطوعين قبيلتان وكانوا أشد العرب بأساً وأثثراً ناساً ولكلهم لا يديرون لأمير وهم بنى كلاب وآل بشار وكان الناصر محمد بن قلاوون قد أمر عليهم سليمان بن مهنا وأقطعهم جعبر وما والها<sup>(4)</sup>.

### **الفرق الملحقة بالجيش:**

#### **الفرق الهندسية:**

قديماً أو حديثاً فإن الجيوش والأنظمة العسكرية تحتاج إلى تقنيات تميزها عن أعدائها وبقدر كفاءة المستحدثات العسكرية بقدر ما يكون الانتصار، في الحرب السابقة واللاحقة كان للأسلحة وحداثتها دور كبير في تحقيق النصر لجهة على أخرى، والعصر المملوكي كباقي العصور لم تتغير فيه القاعدة ، حيث أن القتال يحتاج إلى معرفة بشئون الهندسة العسكرية لا سيما في قتال الأسوار والخنادق ونصب المعدات الثقيلة كالمنجنيدات التي عرفت كأفضل أنواع الأسلحة، وهي

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي ، النجوم الظاهرة، ج8، ص8. ابن خلدون، العبر، ج5، ص463.

<sup>(2)</sup> الحموي، التاريخ المنصوري، ج1، ص261. وانظر السيد، القثار والمغول ، ص147-0148.

<sup>(3)</sup> ابن أجا ، تاريخ الأمير يشبك ، ص33.

<sup>(4)</sup> جعبر: هي مدينة تقع بين العراق والشام وبها قلعة كبيرة، ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص28. الدمشقي، المواكب الإسلامية، ج2، ص97-98.

من الصناعات التي احترف بها الجيش المملوكي، حيث كان يتابع سلطان المماليك بنفسه صناعتها، ولأن المنجنيقات بأحجام مختلفة، كانت تصنع بجوار المدن التي سيتم قصفها وتحريرها<sup>(1)</sup> فكان ذلك من أهم ما هو منوط بالفرق الهندسية، التي كانت على علم تام بأماكن تواجد ما يلزم من مواد خام للتصنيع الحربي، وبعلم تام بكل المناطق في جميع أنحاء الدولة المملوكية ، ليتم تحديد سير الحملة العسكرية في الذهاب والإياب، حيث عملت تلك الفرق إضافة لعملها قبل وأثناء المعركة على زرع الأرض بالمثلثات<sup>(2)</sup> التي كيما تلقى على الأرض تصيب أرجل خيل الأعداء، فتدخل في قدم الفرس فينقلب هو وراكبه الذي حينما يقع ستصيبه إحدى المثلثات الملقاة على الأرض<sup>(3)</sup> وفي حصار قيسارية سنة 663هـ/1265م. على عهد بيبرس قامت الفرق الهندسية بصناعة سكاك لخيل على سور قيسارية وتحلقت الخيول فيها كالنسور وطلعت الفرق ونصبت السناجر<sup>(4)</sup> كما أنه من مهام الفرق الهندسية في الجيش المملوكي تكثيف العمل لتجهيز احتياجات الجيش، وخاصة المياه في المناطق العسكرية أو مناطق العمليات الحربية، وكان السلطان يتابع بنفسه عمل الفرق الهندسية<sup>(5)</sup> ونستدل من متابعة السلطان لعمل الفرق الهندسية على أن أفراد الفرق لابد أن يكونوا من ذوي الكفاءات العالية فهم دائماً تحت مراقبة السلطان نفسه، لذا لابد له من أن يكون من ذوي المهارات والكافئات العالية، فهم صمام أمان النظام العسكري، من حيث توفير المياه وتحصين المواقع العسكرية التي يقيم بها الجيش<sup>(6)</sup> وكانت أي قلعة يتم تحريرها كان يأمر السلطان على الفور الفرق الهندسية بإجراء المياه لها من إحدى العيون القريبة، كما حدث حينما حررت صفد في عهد بيبرس سنة

<sup>(1)</sup> المقرizi، السلوك، ج2، ص18.

<sup>(2)</sup> الطرسوسي، التبصرة، ص19-20.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(4)</sup> المنصورى، التحفة المملوكية، ص53.

<sup>(5)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص124.

<sup>(6)</sup> المقرizi، السلوك، ج2، ص20.

666هـ/1268م<sup>(1)</sup>. ومن مهام الفرق الهندسية أنهم كانوا يقومون بثقب أسوار المدن المحاصرة<sup>(2)</sup> وأحياناً كان يركب السلطان بنفسه في الدبابات ذات العجلات مع الفرق الهندسية وتجري لنصل إلى سور المعادي، ليرى السلطان بنفسه سور ونقوب التي تقبها أفراد الفرق الهندسية<sup>(3)</sup> كما أن الفرق الهندسية كان مطلوب منها استخراج النفوط، التي تستخدم في الصناعات العسكرية، وخاصة النفط الذي يستخدم في حرق مراكب الأعداء<sup>(4)</sup> كما أن المنجنيق نفسه لا يمكن أن يصنعه إلا ذوي الخبرة من الفرق الهندسية الخاصة بالجيش المملوكي ، إضافة إلى مكاحل البارود التي كان يلقى بها النفط . ومن التقنيات التي وصلت إليها الفرق الهندسية العسكرية في الجيش المملوكي صناعة المدفع النحاسية، التي تُقذف القذائف البارودية<sup>(5)</sup> ويبدو أن هذه المدفع ظهرت في أواخر العهد المملوكي، كما سيتم ذكره خلال الحديث عن الأسلحة في الفصل الثالث، ويدرك أن المكاحل أي المدفع ذُكرت بتاريخ 840هـ/1437م<sup>(6)</sup> وقد عرف الناس هؤلاء العاملين بالفرق الهندسية شهرة تطلق على الواحد منهم بالمهندس<sup>(7)</sup>.

### **الفرق الطبية:**

إن روح الجندي المقاتل هي أهم ما يحرص عليه أي نظام عسكري قديماً أو حديثاً، ومن أجل ذلك حرص النظام العسكري المملوكي على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح الجنود المماليك، فالجندي المملوكي قد خسرت عليه الدولة الكبير، فقد اشتربه طفلاً من الأسواق وفرضت له الجوامك وأطعمته وكنته وعلمه وأنزلته بطريق القلعة، ولا يمكن حصر تكاليف الجندي

(1) ابن الجيعان، القول المستطرف، ص 92.

(2) المنصوري، التحفة المملوكية، ص 54.

(3) المقربي، السلوك، ج 2، ص 19-20.

(4) الطرسوني، البصرة، ص 21.

(5) الفلاشندى، صبح الأعشى، ج 2، ص 53.

(6) ابن أجا، العراق، ص 88.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 11، ص 34، ج 3، ص 243. المكي، سبط العوالى، ج 4، ص 365.

المملوكي ، وبعد كل ذلك حرصت الدولة على توفير العلاج لهذا الجندي سواء وقت السلم أو الحرب، وفي احدى الكوارث أصيب المئات من جند المماليك المقيمين في طباق القلعة بأمراض معدية، لدرجة أنه كان يظهر أربعين مريض في اليوم الواحد فكانت الفرق الطبية على أهبة الاستعداد، وكانت تتقى ثلاثة وخمسين مريضاً من المماليك من الموت<sup>(1)</sup> ومن أوائل السلاطين الذين اهتموا بإنشاء فرق طبية كان الظاهر بيبرس، حيث خصص اهتماماً بالغاً بالأطباء وتنميتهم مهنياً<sup>(2)</sup> وقد كان منصب رياضة الطب يقلد بتشريفة كبيرة، وكان يتم اختياره بعناية فائقة من النواحي العلمية والخلقية، وكان بمثابة وزير الصحة، وهو المسؤول بدوره عن اختيار الأطباء، وحتى اختيار طلبة الطب، وكان مسؤولاً عن البيمارستان في القاهرة، كما شملت مسئoliاته كافة الأطباء في كافة أرجاء الدولة المملوكية من جراحين وصيادلة وغيرهم من العاملين في الحقل الطبي<sup>(3)</sup> ومن هنا يتضح مدى اهتمام الدولة بالطب وحرصها على عدم مشاركة أي راغب في العمل بمهنة الطب وإنما حسب الكفاءة والمقدرة ومراقبة أداء الأطباء فأرواح العباد أمانة الدولة. ويتبين من تفحص العمل بمهنة الطب في العصر المملوكي وجود تخصصات في مهنة الطب وليس مهمة كل طبيب علاج أي مرض أو خلل صحي فجد الجراحين والصيادلة وأطباء العظام حيث كانت التخصصات المختلفة ترافق الحملات العسكرية ومعها كافة المعدات و التجهيزات اللازمة من أدوية وأدوات ونقالات لحمل الجريح أو المريض، وكان ينصب مستوصف متنقل داخل خيام العسكر، ويمكن لأي مريض أو جريح النوم فيها بأمان وتحت مراقبة الفرق الطبية، وفي ذات مرة كسرت رجل بيبرس وهو على فرسه فجلس

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 14، ص 340.

<sup>(2)</sup> ابن أبي أصيبيع، عيون الأنباء، ج 1، ص 586.

<sup>(3)</sup> ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج 8، ص 22-25. ١. الحنفي، شذرات الذهب، ج 4، ص 239.

في خيمة وتم تجibir وركه وكان ذلك سنة 664هـ، 1266م<sup>(1)</sup> وقد عرفت دولة المماليك أطباء موهوبين، لدرجة أن الطبيب منهم كان له نظرة ثاقبة في الشخص قبل فحصه ويروى عن طبيب اسمه فتح الدين فتح الله بن المعتصم بن نفيس الداودي التبريزى الحنفى<sup>(2)</sup>. أنه كان بمنصب رياسة الطب في دولة المماليك، ويروى أنه ذات مرة كان ماراً في السوق فرأى شخصاً ينسخ في كتاب وليس فيه مرض فتأمله وقال هذا يموت اليوم فكان كذلك<sup>(3)</sup>. ومن أهم السلاطين الذين اهتموا بالطب في دولة المماليك ، السلطان قلاوون الذي بنى بيمارستان كبير في القاهرة<sup>(4)</sup> وقام بعمارته سنة 682 هـ، 1282م ، وأتمه سنة 684 هـ، 1284م<sup>(5)</sup> وكان بيمارستان حسن البناء طيب الثراء بهيج المنظر ، جميل المخبر ، ذا أفنين وزخرفات متنوعة ، ومياه متدايرة ، وعمائر متأيدة ،<sup>(6)</sup> وحقيقة أن أي نظام حاكم يتتسق تطوره أو تخلفه ، فدولة المماليك ومنذ اللحظة الأولى أنقنت العسكرية والعوامل المساعدة لها ومنها تقدم الطب، ولذلك فقد ارتبط الطب بحالة الدولة واستقرارها .

### **فرق الموسيقى العسكرية:**

إن الجيوش في العصر الحديث تستخدم الموسيقى العسكرية خلال عروضها العسكرية، وثبت أنه لها دور كبير في بث الروح الحماسية داخل الجندي، لكنها لا تستخدم حالياً في الحروب لأن الزمان والمكان اختلف كثيراً بعد أن ظهرت التقنيات العسكرية الحديثة، وأصبح بإمكان أي جيش حسم المعركة عن طريق سلاح الجو، أما في الحروب القديمة ووصلواً إلى

<sup>(1)</sup> المنصورى، التحفة الملوکية، ص59.

<sup>(2)</sup> هذا الطبيب ولد سنة تسع وخمسون وسبعيناً وقدم مع أبيه إلى القاهرة فمات أبوه وهو صغير فكفله عميه بديع وكان طيباً وفقيراً وقد عمل طيباً خاصاً للسلطان برقوق. انظر : الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص122.

<sup>(3)</sup> الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص122.

<sup>(4)</sup> ابن دفناق ، النفحۃ المسکیۃ ، ص79 . ابن الوکلیل ، تحفۃ الأحباب ، ص62

<sup>(5)</sup> ابن الوکلیل ، تحفۃ الأحباب ص 62 . المنصورى ، التحفة الملوکية ، ص111

<sup>(6)</sup> العسقلانی ، علي بن شافع الكاتب ، الفضل الماثور ص168

العهد المملوكي كان هناك دور كبير للطبول والأصوات المصاحبة لصوت الخيول والسيوف وتحديد وقت الهجوم، فالطبول كانت بمثابة إعلان الهجوم وإرهاب العدو، ومن أجل ذلك نجد الأهمية البالغة التي حظيت بها هذه المسألة، ويقول في ذلك ابن خلدون: "أن السر في استخدام الموسيقى العسكرية هو إرهاب العدو في الحرب فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالترويع وأنه أمر وجданى في مواطن الحرب يجده كل واحد من نفسه" ويقول: "أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه حتى الحيوانات تتأثر ومن ذلك أن خيل المعركة تتأثر بالأصوات والطبول فهذه الطبول تحرك نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة"<sup>(1)</sup> وقد استخدم المماليك مؤسسة كاملة داخل الجيش لهذا الغرض أطلق عليها الطلخانات، وقد كان النظام العسكري المملوكي يقضي بأن يصاحب كل فرقة من فرق الجيش طبلولاً، ويأمر الجنود بانطلاق المعركة وبدايتها إذا ضربت الطبول<sup>(2)</sup> أي كانوا يستخدمونها كإشارة لبدء الحرب، وفي معظم حروب المماليك وفي أي هجوم لهم كانت البداية عبارة عن دق الطبل<sup>(3)</sup> وكانوا يطلقون أيضا على الموسيقى العسكرية مصطلح كوسات، ويصفها ابن تغري بردي ويقول: بأنها زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها وأرهبت الأعداء وكانت الطبول والكوسات تلاحق الأعداء المنسحبين من أرض المعركة<sup>(4)</sup>. وربما أدى ذلك إلى استسلام الهازبين من الأعداء حتى أن ابن خلدون وصف المماليك بأنهم يكثرون من الطبول ويسمونها كوسات

<sup>(1)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 252.

<sup>(2)</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 21، ص 184.

<sup>(3)</sup> ابن تغري بردي، التنجوم الظاهرة، ج 8، ص 172.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 8، ص 162.

ويبخون لكل أمير أو قائد فرقة عسكرية أن يتخذ طبولا خاصة بفرقته<sup>(1)</sup> وكان المماليك إذا هزموا بمعركة يبطلوا الكوسات، وإذا انتصروا يأمر السلطان بدق الكوسات<sup>(2)</sup> وبعد انتهاء أي معركة كانت تسكن الكوسات وتبطل الطلخانات<sup>(3)</sup> وتعبر تلك الموسيقى العسكرية تعبيراً عن الواقع الموجود سواء بالنصر أو الهزيمة، وكأنها إعلان إذاعي يعرف من خلاله كل من يسمع ما هو حاصل من نصر أو هزيمة، في العصر المملوكي لم تكن الوسائل الإخبارية موجودة لإبلاغ الجيش وال العامة بما حدث، أو للتعبير عن الانتصارات ، فكانت الطلخانة هي المنشور الإخباري العاجل الذي ينشر خبر الانتصار وإن لم يدق فهو خبر الهزيمة.

### **حملة الأعلام والرايات:**

إن للراية دور كبير في المعركة فكم من جيش هزم لما داس الأعداء على الراية الخاصة به ، فالراية هو رمز للجيش يدافع عنه الجنود بكل بسالة وقد عرف المسلمون منذ بدء حروبهم الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قيمة الراية، وقد عقدت أول راية في الإسلام لعبد الله بن جحش وهو ابن عمّة رسول الله<sup>(4)</sup> وفي غزوة مؤتة كان للراية قصة طويلة، علمنا منها مدى أهميتها حين حرص زيد على حمل الراية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلته الروم لسقوط راية المسلمين، فاستلمها بسرعة جعفر ابن أبي طالب الذي استطاع الروم النيل منه وقتلوه، ليسقطوا راية المسلمين، وقد ورد أن جعفر كان يحمل الراية بيمنيه، فلما قطعوا يده اليمنى حمل الراية بيده اليسرى، فلما قطعت يده اليسرى احتضنها بعضايه حتى قتل،

<sup>(1)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 260.

<sup>(2)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 72.

<sup>(3)</sup> المنصورى، التحفة الملوکية، ص 101.

<sup>(4)</sup> الأصبهانى، حلية الأولياء، ج 1، ص 108. الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 151. ابن خياط، تاريخه، ج 1، ص 87. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 244.

وقد أبدله الله بدل من يديه بجناحين في الجنة، يطير بها حيث يشاء<sup>(1)</sup>، وفعل جعفر إنما يدل على الأهمية الكبرى لرفع الراية في المعركة، وكم أن الأعداء حريصون على قتل من يحمل الراية، فحملها عبد الله ابن رواحه واستبسّل في الدفاع عن الراية، حتى استشهد، ليحملها خالد ابن الوليد ويقود الحرب بطريقة عالية الدقة ليخرج الجيش الإسلامي من احتمال الفناء<sup>(2)</sup> وكانت الراية في الفتوحات الإسلامية هي إشارة القيادة فمن تسلم الراية فهو القائد للجيش الإسلامي<sup>(3)</sup> وقد عرفت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها سوداء، وكانوا يسمونها عقاباً<sup>(4)</sup> وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إعطاء الراية لمن يثق بهم ويعتمد عليهم، مثلاً فعل في فتح خيبر حيث قال عن الراية: من يأخذها بحقها فجاءه رجال واحد بعد الآخر فرفض الرسول تسليمها الرأية ثم أعطاها لعلي بن أبي طالب وقال :لأعطيتها لرجل لا يفر ففتح الله خيبر على يد علي بن أبي طالب<sup>(5)</sup> وفي مصادر التاريخ الإسلامي الكثير من القصص التي تدلل مدى أهمية الراية في انتصار الجيوش الإسلامية، ونجاح الفتوحات لا سبيل لسردها كلها، وقد سارت الدولة المملوكية على نفس الوتيرة من الاهتمام بالرايات، كجزء لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي و الاهتمام بالرايات في الحروب ليس فقط مرتبط بالتاريخ الإسلامي، بل إن الأمم الأخرى كانت على نفس المنوال من الاهتمام، بل أن التاريخ الحديث لا يخلو من مواقف تدلل على اهتمام الدول برفع علمها، واعتبار الموضوع من أهم أولويات الدولة، فقد اظهر النظام العسكري المملوكي رايته وسنانقه فهي رمز الانتصار وإشارة للجند بالاستبسال. فإن تعرضت إحدى فرقه للخطر والهزيمة كان يأمر القائد أن يلف سنانق هذه الفرقة، وأما في حالة الانتصار يأمر

<sup>(1)</sup> الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص108.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص120. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص220

<sup>(3)</sup> الحنبي، شذرات الذهب، ج1، ص32. انظر الملحق ص189.

<sup>(4)</sup> البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص119.

<sup>(5)</sup> ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص110. ابن حثل، فضائل الصحابة، ج2، ص583.

القائد بنشر الرايات إذانا بالنصر واستمراراً في ملاحقة باقي الأعداء<sup>(1)</sup> ودائماً ما كان لكثره الرايات وألوانها رموزاً معينة ودللات يفهمها أفراد الجيش<sup>(2)</sup> ولسلطان المماليك ثلاثة أعلام أحدها من الحرير الأصفر المطرز بالذهب ينعش عليه ألقاب السلطان واسميه ويسمى العصابة ويحمله العلم دار<sup>(3)</sup> والثاني كبير أبيض تعلق في أعلىه خصلة من الشعر ويسمى الشاليش<sup>(4)</sup> وكان المماليك يطلقون هذا اللفظ على طليعة جيشه والثالث راية صفراء صغيرة تسمى السنجد ويحملها السنجدار وفي حالة الحرب كان يخرج السلطان في جيشه بالأعلام الثلاثة معاً<sup>(5)</sup> كما عرف ما يسمى الشطفة وهي شارة ملكية تحمل كما يحمل اللواء على رأس أمير الجيش<sup>(6)</sup>

### **الأسطول البحري وتطوره:**

إن تطور الأسطول البحري مرتبط بتطور النظام العسكري ككل في أي زمان ومكان، فهو جزء لا يتجزأ من المنظومة العسكرية، وبذلك يتضح مدى وجود وأهمية وقوة الأسطول البحري المملوكي، فالمسلمون فدوا سيطرتهم على البحر المتوسط منذ قيام الحروب الصليبية وتمكن الغرب المسيحي من السيطرة الكاملة على البحر المتوسط فأصبح بحراً أوروبياً، ويتجلّ ذلك الأمر حينما استطاع صلاح الدين تحرير القدس وبعض المدن الساحلية، فأرسلت أوروبا إمداداتها عبر البحر المتوسط، مما اضطر صلاح الدين لصلح الرملة، وقد كانت قوة الصليبيين نابعة من قوتهم البحرية وقوّة أسطولهم، على الرغم من محاولات الأيوبيين إنشاء أسطول قوي

<sup>(1)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص72.

<sup>(2)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص259.

<sup>(3)</sup> العلم دار: يتراكب هذا اللفظ من كلمتين أولاهما العلم وهو لفظ فارسي معناه الراية والثاني دار فيكون علم دار وهو حامل العلم. انظر الفلاشندى، صبح الأعشى، ج5، ص456-457.

<sup>(4)</sup> المقريزى، الخطط، ج2، ص433.

<sup>(5)</sup> الشاليش: راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر وهي شعار السلطان المملوكي. انظر ابن خلدون ، المقدمة، ج1، ص260.

<sup>(6)</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص260. المنصوري، التحفة الملوكية، ص95.

<sup>(6)</sup> ابن أجا، العراق، ص94.

إلا أنه لم يستطع منع الأساطيل الغربية وظل الحال من سيء إلى أسوأ<sup>(1)</sup> وبذلك كان ميراث المماليك من البحرية الأيوبية ضعيفاً، واقتصرت القوة الإسلامية على المواجهة البرية كما حدث في عهد السلطان نجم الدين أيوب حينما استطاع جند المماليك صد الهجوم الصليبي في فارسكور<sup>(2)</sup> واستمر الضعف البحري ظاهراً واضحاً في عهد شجر الدر وعز الدين أياك، وأما في عهد قطز الذي لم تزد فترة حكمه عن عام، فقد قضاها في تجهيز جيشه البري ومواجهة التتار والانتصار عليهم في معركة عين جالوت شمال فلسطين، الذي حاول تحبيب الصليبيين من المواجهة الذين كانوا يعتقدون بأنهم هدف للتتار بعد المسلمين، ولذلك كان موقفهم غير واضح، وعلى الأقل لم يستغلوا الفرصة وترثروا حتى يروا ما ستسفر عنه نتائج المعركة وبعد المعركة انتهى حكم قطز بمقتله، وتولى بيبرس الحكم الذي كان يدرك قوّة الصليبيين البحريّة، التي كانت تهدّيًّا واضحاً للدولة المملوكية الناشئة إضافة لسيطرتها على التجارة بالبحر ومن هنا بدأ بيبرس تجهيز أسطولاً ضخماً كان يتبع إعداده بنفسه حيث كان يقضي معظم وقته بدار صناعة السفن، حتى أصبح للمماليك أسطولاً ضخماً تمكن من خلاله غزو جزيرة قبرص سنة 669هـ/1270م<sup>(3)</sup> وحين كان يأتي ضيوف بيبرس كان يستقبلهم وهو بدار صناعة السفن<sup>(4)</sup> وهذا يوضح مدى اهتمام بيبرس بإنشاء أسطول قوي إدراكاً منه لأهميته، وأصبح لدى بيبرس أسطولاً قوياً وضم أكثر من أربعين سفينة بحرية<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> سالم، العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 294.

<sup>(2)</sup> المنصورى، التحفة المملوكية، ص 25.

<sup>(3)</sup> المقريزي، السلوك، ج 1، ص 447. انظر عاشر، الظاهر بيبرس، ص 141-142.

<sup>(4)</sup> المقريزي، السلوك، ج 1، ص 577.

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 527.

وبالإضافة لذلك تم تدريب أفراد الجيش المملوكي على السباحة والغوص تحت الماء فأصبحوا غواصين ماهرين<sup>(1)</sup> وكان هدف ذلك استخدامهم كوحدات خاصة لتنفيذ مهام حربية بحرية على سواحل المدن الإسلامية المحتلة، فمعظم المدن الساحلية كانت تحت السيطرة الصليبية.

وفي عهد بيبرس تم تحرير معظمها، وحينما توجه الأسطول لغزو قبرص انكسرت الشوانى<sup>(2)</sup> الإسلامية بالقرب من قبرص وطلع رجالها إلى ساحل عكا، فأسرهم الفرنج فحاول المسلمون افتدائهم فتغلبوا عليهم وقتلوا هؤلاء جمرة البحار وفرصة الأعمار وأودعوهم حبسًا حصيناً في قلعة عكا، واستطاع نائب صفد إغراء سجانיהם بالمال ، وتم تحريرهم في مركب مهياً لهم وكان لهم خيل واقفة معدة فركبوها ووصلوا إلى القاهرة وقامت بسبب هروبهم فتنة بين الفرنج<sup>(3)</sup> ومن هذه القصة يتبيّن مدى اهتمام الدولة المملوكية برجال البحرية، واعتبارهم من الوحدات الخاصة التي من الصعب إيجاد بديل عنهم وبالتالي السعي لتحريرهم بكل السبل المتاحة وغير المتاحة، وبالفعل نجح المسلمين بتحريرهم بطريقة الحيلة، وفي الكتاب الذي ألفه الشيخ العز ابن عبد السلام في العصر المملوكي "أحكام الجهاد وفضائله" خصص مقالاً عن مشاق الغزو في سبيل الله، وقال الثواب على قدر النصب وشرح ذلك بأن المجاهد في البحر له ثواب كبير وأجر عظيم، واستشهد بقول النبي "غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر وإن ذنوب المحاهدين في البحر تغفر وحتى الديون تغفر لشهيد البحر بخلاف شهيد البر وأن من غزا في البحر كمن غزا مع النبي وإن فضل الغازي في البحر على الغازي في البر كفضل الغازي في البر على الجالس في بيته، وإن الله يقبض بنفسه روح شهيد البحر وأما شهداء البر فيقبض أرواحهم ملك الموت وإن أجر جهاد يوم في البحر كأجر جهاد شهر في البر، وإن للمجاهد الذي

<sup>(1)</sup> السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص119.

<sup>(2)</sup> الشوانى: هي سفن حربية كبيرة تشن الهجوم مجهزة بمدافع دهمان، معجم الألفاظ، ص88.

<sup>(3)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص52-53. التحفة المملوكية، ص80.

يغرق في البحر أجر شهيدين في البر وإن غزاة البحر لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيمة<sup>(1)</sup>  
وتكلم زيادة عما سبق في جهاد البحر، وهذا الكلام الذي تحدثه شيخ العصر المملوكي العز ابن  
عبد السلام، الذي كان يلقب بسلطان العلماء حينما يكتب فإنه يقصد تشجيع الجيش المملوكي على  
ركوب البحر، وقد كانت الدولة المملوكية تستدعي كل من له خبرة بالصناعة البحرية، ليتم بناء  
أكبر قدر ممكن من السفن البحرية وقد استطاعت دور بناء السفن أن تبني مائة مركب بحري  
في عام واحد<sup>(2)</sup> ومن شدة اهتمام المماليك ببناء الأسطول أنهم منعوا قطع الأشجار التي تصلح  
أعوادها لبناء السفن<sup>(3)</sup> كما حرص المماليك على بناء أبراج لحماية سواحلهم ونظموا الممرات  
البحرية، التي يمكن أن تدخل منها سفن الأعداء الكبيرة وبنوا أسوار ثغر الإسكندرية<sup>(4)</sup> وقد كانت  
أهم القطع البحرية التي يتتألف منها الأسطول المملوكي الشوانى والحراريق<sup>(5)</sup> والطرادات<sup>(6)</sup>  
والأغربة<sup>(7)</sup> والبطس<sup>(8)</sup> والقراقير<sup>(9)</sup> ومما سبق يتضح مدى اهتمام النظام العسكري المملوكي  
بالأسطول البحري من خلال تنوع السفن وتقدم الصناعة فيها وحضر العلماء على الجهاد  
البحري. ومن إنجازات البحرية المملوكية مهاجمة جزيرة رودس في عهد الناصر محمد  
والاستيلاء عليها و هدم أسوارها، كما تم السيطرة على جزيرة أرواد سنة 702هـ/1302م<sup>(10)</sup>

(1) العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وقضائه، ص 44-45.

(2) المقريزي، الخطط، ج 2، ص 213. العبادي، تاريخ البحرية، ص 320.

(3) المقريزي، الخطط، ج 2، ص 194.

(4) المنصوري، مختار الأخبار، ص 23-24.

(5) الحراريق: هي سفن حربية كبيرة تقل في الحجم عن الشوانى وتستخدم في حمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية وبها مواضع خاصة تلقى بها النيران. حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص 366.

(6) الطرادات: هي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة الحركة تستخدم في حمل الخيول وتتسع لثمانين فرساناً. حسن، تاريخ المماليك، ص 367.

(7) الأغربة: سميت بذلك لأن رأسها يشبه رأس الغراب وتمثل في الماء الطير في الهواء. حسن، تاريخ المماليك، ص 367.

(8) البطس يستعمل لحمل المجانيف والمقاتلة والسلاح وسائر آلات الحرب وقد أخذ المماليك هذا النوع من السفن عن الصليبيين. حسن، تاريخ المماليك، ص 367.

(9) القراقير: تستعمل في تموين الأسطول بالزاد والمنابع وأنواع السلاح. حسن، تاريخ المماليك، ص 367.

(10) المقريزي، الخطط، ج 2، ص 195. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 156.

### **الفصل الثالث**

**المؤسسات المساعدة في تنظيم الشؤون الحربية**

**الجيش المملوكي**

- **تنظيم البريد الخاص**

- **الفرق الاستطلاعية والاستكشافية**

- **الخطط العسكرية وإدارة المارك**

- **معاملة الأسرى**

- **المعاهدات والاتفاقيات**

- **تعيين القادة والرتب العسكرية**

- **أسلحة الجيش المملوكي أنواعها وصناعتها**

**الأسلحة الفردية**

**الأسلحة الجماعية**

**الخيل**

- **القلاء والخطط الدفاعية**

## **تنظيم البريد الخاص:**

إن من مقومات نجاح أي نظام عسكري هو مدى قدرته على الاتصال والتواصل بين القيادة والجند من جهة، وبين الفرق المختلفة للجيش من جهة أخرى، إذ لابد للجيش أن ينسق جهوده وينفذ خططه العسكرية من خلال متابعته لما تم تفديه وما سيتم، والنظام العسكري المملوكي اهتم بالبريد شأنه شأن أي نظام في الجيوش، لاسيما أن الدولة المملوكية مترامية الأطراف ويحيط بها الصليبيون والمغول من الجانبين، فالبريد ساعد كثيراً في نقل أخبار العدو وتحركاته و مواقعه وحجم قواته وسلاحه وأماكن قيادته ومناطق شؤون إدارته<sup>(1)</sup>، وقد عرف التاريخ البريد وتطوره ، وكان الفرس من بين الأقوام التي اهتمت بالبريد وتطوره ، بل يعتبرون أول من استخدم البريد بشكل منظم<sup>(2)</sup> وأما في دولة الإسلام فقد ثبت أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع البريد في الإسلام<sup>(3)</sup> وأما عبد الملك بن مروان فهو أول من حكم البريد ونظمه<sup>(4)</sup>، و مروراً بالتاريخ الإسلامي أدرك كل من حكم الدولة الإسلامية أهمية البريد ، فقام بنو بويه بقطع البريد كي تقطع الأخبار عن الخليفة العباسى ، وينكر أن الدولة الزنكية أعادت البريد و استمر خلال الدولة الأيوبية، إلى أن جاءت الدولة المملوكية التي زادت الاهتمام بالبريد<sup>(5)</sup> ومن شدة اهتمام السلطان المملوكي بالبريد أنه كان يجعل لكل مركز بريد والي<sup>(6)</sup>. و من الجدير بالذكر أن دولة المماليك اتسعت وشملت بلادناً كثيرة، حتى كانت حدودها من أسوان جنوب مصر إلى الفرات في العراق وقد حرست الدولة المملوكية على نشر أبراج

<sup>(1)</sup> ابن إياس، بدائع الظہور، ج 1، ص 108. انظر: ماجد، نظم سلاطين المماليك، ج 1، ص 61.

<sup>(2)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 413.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج 14، ص 414.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 14، ص 416.

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه ، ج 14 ، ص 417-419.

<sup>(6)</sup> الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص 23

الحمام في داخل حدودها<sup>(1)</sup> ومركز البريد في قلعة الجبل في القاهرة له أربعة فروع : الفرع الأول يتجه جنوباً إلى بلاد النوبة ، والفرع الثاني يتجه شرقاً إلى البحر الأحمر ، أما الفرع الثالث يتجه غرباً إلى الإسكندرية ، والفرع الرابع يتجه شمالاً إلى دمياط ثم إلى غزة ثم إلى باقي بلاد الشام<sup>(2)</sup>. وقد كان يراعى في محطات البريد أن تكون قريبة من مصادر المياه و القرى ، كما راعت الدولة المملوكية الكفاءة و الأمانة في اختيار العاملين بالبريد و أن يتحلى بالإخلاص و الذكاء كل من يتم اختياره بالعمل في البريد<sup>(3)</sup>. كما أنه روعي أن يتم اختيار أفضل الناس في البريد ، وكان لهم مكانة عالية في الدولة ، وقد خضع البريد لصاحب ديوان الإنشاء<sup>(4)</sup>، وقد سمي البريد في عهد الدولة المملوكية بالخبر<sup>(5)</sup> ومن السلاطين الذين أولوا البريد أهمية بالغة الظاهر بيبرس الذي رتب البريد فيسائر الطرقات، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق في أربعة أيام، و يعود في مثلها ، فصارت أخبار الملك ترد في كل جمعة مرتين ، وأنفق على ذلك مالاً عظيماً حتى تم ترتيبه بهذه الصورة<sup>(6)</sup>. وجدير باللحظة أن بيبرس كان له دور كبير في ترسير و ترتيب الدولة المملوكية سواءً في الوضع الداخلي أو الخارجي ، و سواءً في محاربة التتار أو الصليبيين، وما تتمتع به من شخصية قوية و إدارية و عسكرية ، و بحق فإن بيبرس يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك . ومن الأهمية التي حظي بها البريد في دولة المماليك أن السلاطين كانوا يتبعون بأنفسهم تجهيز و تهيئة الحمام الزاجل ،

<sup>(1)</sup> المقريزي ، الخطط ، ج 2، ص 231. انظر الخريطة ص 177.

<sup>(2)</sup> عاشور، الظاهر بيبرس، ص 140.

<sup>(3)</sup> المقريزي، الخطط، ج 2، ص 215.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 216-215. انظر طقوس ، سهيل ، تاريخ المماليك ، ص 103-102 ، عاشور، الظاهر بيبرس ، ص 140 ، 141

<sup>(5)</sup> المقريزي ، الخطط ، ج 2، ص 215.

<sup>(6)</sup> المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 527.

(١) واختيار الطيور الجيدة و المدربة حتى يصل الخبر من مصر إلى بلاد الشام في يوم واحد فإن كانت الرسالة هامة كتبت من نسختين، وأرسلت مع حمامتين حتى إذا ضلت إحداهما الطريق أو افترستها الجوارح، أمكن الاعتماد على وصول الرسالة الأخرى ، وبمجرد وصول الرسالة إلى قلعة الجبل تحمل إلى السلطان فوراً (٢) ومن خلال البريد الجيد و الدقيق تم السيطرة الكاملة على الدولة. وقد كان بيبرس يقول لصاحب البريد : " إن قدرت أن لا تبitti كل ليلة إلا على خبر و لا تصبّحي إلا على خبر فافعل " (٣) وقد اعنى الممالىك بمركز البريد في القلعة، حيث أنشأت أبراج الحمام وقد بلغت عدد الطيور في أبراج القلعة ألف و تسعمائة طائر . وكانت الرسالة تحمل في جناح الطائر لحفظها من الأمطار و لقوة الجناح ، وقد كانت الطيور السلطانية لها علائم و هي دائمات في أرجلها ، وان سقطت حمامه بريدية و ماتت تسلم للسلطان بيده عن غير واسطة، وكانت الدولة تعتمي عناية شديدة بالحمام الزاجل و الرسائل، حتى أن السلطان المملوكي حين يكون على سفرة الطعام، و جاءت رسالة لا ينتظر حتى يفرغ من الأكل، بل يحل الرسالة و يترك الأكل و هكذا، حتى إذا كان نائماً لا يمهل بل ينبعه و تؤرخ الرسالة بالساعة و اليوم لا بالسنين، و لا يوجد في أولها بسملة و تبعث الرسالة بنسختين و يطلع السلطان عليهما الاثنين (٤) و يبدو ذلك ليتأكد أنها لم تقع بيد غيره فيطلع على أسرار الدولة ، وليطمئن أن الرسالة غير مزورة، وكانت أخبار الحروب و اعتداءات الأعداء على التغور تصل بسرعة حيث يؤمر بإرسال البريد على الفور (٥)

(١) العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 120.

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج 2 ، ص 120 ، عاشر ، الظاهر بيبرس ، ص 140-141.

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 446

(٤) المقريزي ، الخطط ، ج 2 ، ص 231.

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الظاهرة ، ج 8 ، ص 100-101.

## **الفرق الاستطلاعية والاستكشافية:**

إن من أهم ما يميز أي نظام عسكري ناجح، هو كم المعلومات التي يمكن الحصول عليها عن الأعداء ، وبقدر المعلومات تكون الانجازات ، ولذلك اقتضت ظروف دولة المماليك و صراعاتها مع الصليبيين و المغول وجود مؤسسة تهتم باستطلاع أحوال العدو ، ومعرفة مدى قوته من حيث التعبئة و أنواع الأسلحة و العتاد ، و رصد تحركاته . كما حرصت دولة المماليك على سرية المعلومات بالإضافة إلى إخفاء أسرار الجيش المملوكي ، بل و إرسال معلومات خطأ بطريقة أو بأخرى . و لقد ظهرت انجازات الفرق الاستطلاعية العسكرية المملوكية منذ نشأتها قبيل معركة عين جالوت ، حيث كان رئيس الفرقة الاستطلاعية الظاهر بيبرس وقد عرف عنه مدى كفاءته و قدرته فوصل بفرقه إلى غزة و هي مكان متقدم وصلته قوات من جيش التتار<sup>(1)</sup> بالإضافة إلى الفرقة الاستطلاعية التي تسبق إعلان الحرب كانت تجهز فرقة خاصة كعيون على الأعداء في كل وقت و حين و حتى أثناء الحروب ، وكان لكل مقدم في الجيش المملوكي الحق في تشكيل فرق أمنية و استخباراتية تستطيع الدخول في موقع العدو و للمقدم الحق في التحرك فيما يراه مناسباً حسبما يظهره المتجسس له من المكان<sup>(2)</sup> كما أن الجيش المملوكي حرص على إرسال معلومات مزورة للأعداء ، وكانت من مهارات القائد في الجيش المملوكي أن يربك العدو بأخبار غير صحيحة من خلال أخبار مزورة تكتب على السهام تطابق ما وصل إليه من الجواسيس ويرمى بها في جيش العدو ، وعلى ما تقتضيه الحال و لا يدخل بما يصفه في ذلك فإنه إن كانت النصرة له فلا يضره ما أنفق، وإن كان عليه الغلبة فلا ينفعه ما خلف و إنفاق

---

<sup>(1)</sup> المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 515

<sup>(2)</sup> الطرسوسي ، التبصرة ، ص 24.

الأموال في الحيل والمكائد أولى من إنفاق الأرواح في الحروب والشدائد<sup>(1)</sup> و كانت فرق الاستطلاع والاستخبارات سياسة كل السلاطين ، و اهتم بها بشكل كبير الظاهر بيبرس حيث أنه بعد أن فتح قيسارية أرسل فرقة استطلاع إلى عثيت و كانت تتناظهر هذه الفرقة بأنها تريد الصيد و لكنها تريد الكيد حيث نزل أحد أفراد المجموعة الاستطلاعية وتسلل مشياً بين البساتين و استكشف الأمر وقتل فارساً صليبياً أثناء المهمة ورجع بالأخبار إلى قيادة الجيش المملوكي مما كان له أثر في تحرير هذه المدينة<sup>(2)</sup> و من أشهر السلاطين أيضاً الذين شجعوا و زادوا الفرق الاستطلاعية السلطان قلاون، حيث كان لا يخرج إلى معركة إلا بعد الحصول على معلومات استطلاعية دقيقة و خاصة في حربه مع التتار<sup>(3)</sup>. كما أن المماليك استغلوا أي طرف للحصول على المعلومات ، لكنهم كانوا حذرين من أي معلومة إذا كانت من طرف غير عامل ضمن المؤسسة الاستخباراتية المملوكية النظامية فقد استفادوا وأخذوا معلومات من أسرى وقعوا في يد المغول من أهل الشام، غير أنهم كانوا يتعاملون مع تلك المعلومات بحذر<sup>(4)</sup> و كان قائداً الجيش المملوكي بيبي الجواسيس الثقات عنده في معسكر عدوه، ليتعرف أخبارهم و ما عندهم من العدد والآلات ، ويعرف خططهم و أسماء قادة جيشه و شجاعتهم و يخدعهم بما تميل إليه طباعهم<sup>(5)</sup> و من الملاحظ أن هدف تلك المعلومات هو تصفية قادة جيش الأعداء و إخلال نظامهم و ترتيبهم وإضعاف معنويات جنودهم ، كما أراد المماليك من التعرف على شجاع أعدائهم لكي يتم تجنب قدراتهم و تصفية ما أمكن منهم، ومن خلال الحصول على تلك المعلومات و خطة الأعداء ليتمكن جيش المماليك من خوض المعركة بثقة عالية، ومما يدلل على قدرة النظام

<sup>(1)</sup> ابن النحاس ، مشاريع الأسواق ، ص 1077

<sup>(2)</sup> المنصورى ، التحفة المملوكية ، ص 54.

<sup>(3)</sup> العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 54.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ص 54 وانظر سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 258.

<sup>(5)</sup> ابن النحاس ، مشاريع الأسواق ، ص 1075

ال العسكري في جمع المعلومات عن أعدائهم، تجنيدهم للرعاية حيث أنهم لا يلفتون الأنظار وقد نجح هؤلاء الرعاة بما كلفهم به النظام العسكري المملوكي<sup>(1)</sup> وقد حرص النظام العسكري المملوكي على تأديب أي جماعة أو فرد يقوم بنقل المعلومات إلى الأعداء، ومن هؤلاء كان عرب زبيد<sup>(2)</sup> الذين كان لهم دور سلبي حيث خالطوا الفرنج وأطلاعوهم على عورات المسلمين، فجرد إليهم حملة عسكرية، فأغارت عليهم وقتلتهم من قتل، وعاد الجيش المملوكي سالماً بعد أن اعتقل أحد أفراد عرب زبيد وكان متهمًا بالجاسوسية لصالح الفرنج<sup>(3)</sup>. وقد نفذ حكم الإعدام بعدد من الجواسيس قبيل معركة عين جالوت وبعدها مع المغول مثل الملك السعيد بن عبد العزيز بن العادل، و ابن البغيل<sup>(4)</sup> كما أن النظام العسكري المملوكي كان يتبع سياسة خطف جنود مغول، كانوا يتطرفون للبحث عن المراعي والمروج لتنزود خيولهم وحيواناتهم بالغذاء ، وكان يتم التحقيق معهم ، والحصول على أكبر كم من المعلومات، و من ضمن المعلومات التي حرص المماليك على معرفتها، عدد جيش المغول والأسلحة التي يمتلكها وكميتها وتقسيمات جيش أعدائهم وخططهم العسكرية و أسماء قادتهم وأمراءهم وشجاعتهم، ومتى سينطلقون لغزو المدن<sup>(5)</sup> ، وكان هدف تلك المعلومات أخذ الحيوة والحضر ، وحتى يكون الجيش الإسلامي على استعداد تام لمواجهة أي تحرك من جانب الأعداء فقد كان المغول يتبعون نفس أسلوب المماليك في استلال المعلومات ، بل عرف المغول باعتمادهم على الجواسيس بشكل كبير ، وما سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية إلا بعد أن وصل جواسيس هولاكو للوزير

<sup>(1)</sup> المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص 98.

<sup>(2)</sup> عرب زبيد ، اسم قبيلة كانت مساكنها حول دمشق انظر القلقشندي ، صبح الأعشى و ج 4 ، ص 213-214.

<sup>(3)</sup> المنصوري ، بيبرس ، مختار الأخبار ، ص 20

<sup>(4)</sup> أبي شامة المقسي ، ترجم رجل القرنين ، ص 207-208 لم يذكر ترجمة لهؤلاء العملاء

<sup>(5)</sup> المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص 98.

نور الدين محمد بن العلقمي، الذي كان له دور كبير في انتصار المغول ودخولهم بغداد<sup>(1)</sup> وتمتعت الفرق الاستطلاعية العسكرية المملوكية برعاية خاصة من سلاطين المماليك، الذين لم يخلوا عليهم ، وأغدقوا عليهم بالأموال الطائلة ، ومن ذلك ما أنعم به بيبرس على أحد أفراد المؤسسة الاستخباراتية (بكتي) والذي جاء بأخبار مهمة عن المدن الساحلية قبل تحريرها ، فأنعم عليه بيبرس بخمسة آلاف درهم لإعجابه به و لتشجيع باقي الأفراد على العمل الأمني ، وكان ذلك الفارس قد قتل فارساً صليبياً أثناء تسلله داخل مدينة صليبية و نجح في مهمته<sup>(2)</sup> وكان بيبرس اهتمام كبير بالمدن الساحلية التي تواجد بها الصليبيون و أفرد لذلك أهمية كبيرة من حيث بث فرق استخباراتية على معظم المدن الساحلية<sup>(3)</sup>. والملاحظ حرص بيبرس على استهداف المدن الساحلية، و يبدو ذلك لقطع الإمدادات عن الصليبيين عبر البحر من أوروبا فحينما يسقط الساحل تسقط المدن الداخلية ضمناً .

### **الخطط العسكرية وإدارة المعارك:**

إن الحديث عن الخطط و إدارة المعارك لا ينفصل عما سبق الحديث عنه ، فهي بالتأكيد تعتمد على الفرق الاستطلاعية و الاستخباراتية و البريد ، وكل ما يصل من معلومات كما أنها تعتمد على الجيش بأقسامه و حجمه و الفرق الملحقة به و المتطوعين ، فكل ما سبق الحديث عنه له علاقة مباشرة بوضع الخطط و إدارة المعارك . و في الحقيقة إن الخطط العسكرية في العهد المملوكي لم تكن تختلف عما سبقها من العهود الإسلامية ، حيث إن الدين الإسلامي بين ما على الدولة من ضرورات تجهيز الجيش ، والإدارة الناجحة للجيش كانت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تميزت الخطط العسكرية بأنها كانت سر الانتصارات و الفتوحات ،

<sup>(1)</sup> المقرizi ، السلوك ، ج 1 ، ص 490

<sup>(2)</sup> المنصورى ، التحفة المملوكية ، ص 54

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 54 .

و يأتي النظام العسكري المملوكي في الإطار العام للجيش الإسلامي، و يمكن وصفه بأنه استمرار للمنظومة العسكرية الإسلامية، و خاصة في العهد الأيوبى حيث إن أرض المعركة والظروف كانت مشابهة ، فأرض الشام مسرح العمليات العسكرية كانت نفس المسرح للعهدين الأيوبى و المملوكي ، بل وأن العدو نفسه وهم الصليبيون الذين لم تتغير طرقوهم في القتال وبناء القلاع ومهاجمة المدن الإسلامية، فقد تعود الجيش الإسلامي سواء في العهد الأيوبى أو العهد المملوكي على المنطقة والأعداء ، وكان الاحتكاك مباشراً بخلاف ما سبق من العهود الإسلامية حيث كانت زمام المبادرة في أيدي المسلمين الذين انتشروا شرقاً وغرباً لنشر الإسلام، و إن وضع الخطط العسكرية كان على يد سلاطين المماليك من خلال مجلس شورى ينعقد كلما دعت الضرورة ، وكان السلطان و كبار الأمراء هم من يقرر الخطط متلماً فعل قطز قبيل معركة عين جالوت، حيث جمع الأمراء المماليك و استشارهم في أن يتقدم جيشه لملاقاة المغول أم ينتظرهم في مصر، وحتى كانت الشورى في البداية بأن يواجه المغول أم لا؟ فأجمعوا رأيهم على مواجهة المغول ، و من تلك الشورى انطلق قطز وبدأ بإعدام رسول المغول و أرسل الفرق الاستطلاعية بقيادة بيبرس ليأتي بأخبار المغول <sup>(1)</sup> ، كما أن بيبرس كان يجمع الأمراء و يشاورهم و نضجت مجالس الشورى و اتضحت بشكل أكبر في عهد المنصور قلاون، حيث كان يعقد مجلس شورى مع أمرائه قبل خوض أي حرب متلماً فعل في إحدى استعداداته لحرب المغول، فقرر مجلس الشورى أن يقاتلوها بالقرب من دمشق لاحتمال عدم النصر، وقد أدى كل أمير بذله ، فمنهم من اقترح تقسيم الجيش إلى قسمين يتقدم قسم و يتأخر قسم فإن خذل الأول أرده الثاني ، فرد أمير آخر أن ذلك خطأ و قال: "إذا أخذنا الجملة وأرداها كسرها لم تنكسر ولا

---

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي ، النجوم الظاهرة ، ج 7 ، ص 101. المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص 428

نلى الكل إلا بالكل و قال لو أخذنا حزمة نشاب و سلناها سهماً سهماً و كسرناها تكسر<sup>(1)</sup> ولم

يقتصر مجلس الشورى على أمراء الحرب، بل جمع العلماء و المشايخ حيث كان للشيخ العز بن

عبد السلام دور كبير في استعدادات الحروب، كما تم توضيح ذلك خلال البحث ، وإن الخطط

العسكرية المملوکية وضع نصب أعينها عدة مبادئ اعتمدت عليها في حروبها منها<sup>(2)</sup>

-التعرف على أخبار العدو قبل المعركة من خلال الفرق الاستطلاعية .

-الخدعة في الحروب.

-الاستعدادات المتعلقة بالجيش المملوكي و تقسيماته.

وكان النظام العسكري المملوکي يسير في خطين متوازيين و يبني خطته بناءً عليهما وهما:

نقاط القوة من خلال ما يملك النظام العسكري المملوکي من مقومات الجندي المملوکي

واستعداداته و تدريباته أو العتاد و الأسلحة بأنواعها الوقائية أو الفردية أو الجماعية و تنظيم ذلك

كله .

**ونقاط الضعف** التي كان يتم تحاشيها من خلال بث الجواسيس في صفوف الأعداء والحصول

على معلومات متعلقة بمعرفة قدرات العدو .

وبناءً على ما سبق كان المماليك يبنون خطتهم و يستدرجون العدو للمكان المناسب و في

الزمان المناسب ، مثلما كان قطز يفعل حيث أمر بيبرس أن يتقدم مجموعة من العسكر ليتعرف

أخبار العدو<sup>(3)</sup> و كيف أن بيبرس و قبيل معركة عين جالوت استطاع استدراج المغول و

ناوشهم و استدرجهم من خلال مهاجمتهم تارة، و بالإحجام تارة أخرى، حتى وافى بهم إلى

<sup>(1)</sup> العسقلاني ، شاقع ، الفضل المأثور ، ص 67

<sup>(2)</sup> شلبي ، أحمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 88

<sup>(3)</sup> المقرizi ، ج 1 ، ص 43 انظر : عبد المنعم ، صبحي ، الشرق الإسلامي ، ص 32.

المكان الذي أراده السلطان قطز فكانت الواقعة<sup>(1)</sup> و التي حقق فيها النظام العسكري المملوكي نصراً كبيراً .ومما حرص عليه النظام العسكري المملوكي إظهار قوة الجيش لإرهاب العدو ، والتأثير على نفسية الأعداء حتى خلال فترات السلم ، فقد حرص السلطان على إظهار جيشه من خلال لبسهم لأفخر الملابس والأسلحة، و العروض عند مجيء أي ضيف من خارج البلاد<sup>(2)</sup> حتى تتحدث عن ذلك البلد و العباد فيعرف العدو والصديق قوة المماليك، مما يقرب الأصدقاء بحيث يكونون عوناً للمماليك، و يرعب الأعداء بحيث يكونون جبناء في المعارك .و مما يلفت النظر أن سلاطين المماليك حرصوا على إعطاء المعارك و الحروب الصفة الدينية، لخلق فارس مملوكي معتقد تماماً أن أمامه خياران، إما النصر أو الشهادة .وان أهم ما يقرره النظام العسكري هو أن الإنسان هو العنصر الحاسم في الكفاءة القتالية للقوات العسكرية ، كما حرص المماليك على تعين القادة و الأمراء من ذوي الكفاءات ، فدائماً هناك قاعدة عسكرية تقول " لا توجد وحدة رئيسية ، بل قائد رديء"<sup>(3)</sup>.و كان الجيش المملوكي يدخل المعركة و معه العلماء و الوعاظ الذين يذكرونهم بالشهادة و التضحية<sup>(4)</sup>.ومن خلال كتب العصر المملوكي يتبيّن مدى الاهتمام بالجهاد كما ورد في كتاب "مشاريع الأسواق في فضائل الجهاد" لابن النحاس و كتاب الجهاد للشيخ العز بن عبد السلام ، وعندما تولى قطز السلطة و أعلن الحرب ضد المغول أعلن أنها حرب مقدسة<sup>(5)</sup> أما بالنسبة لترتيب الجيش المملوكي فإن منها أصول عليها إجماع و منها فروع اختلف فيها ، والأصول كالفروض الواجبة منها أن يعبأ الجيش له قلب وميمنته و ميسرة أما

<sup>(1)</sup> اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ، ص 366

<sup>(2)</sup> ابن تغري ، النجوم الظاهرة ، ج 8 ، ص 135

<sup>(3)</sup> محفوظ ، محمد ، العسكرية الإسلامية ، ص 29

<sup>(4)</sup> ابن تغري ، النجوم الظاهرة ، ج 8 ، ص 160

<sup>(5)</sup> سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 255

الفروع كالأجنحة و الطلائع و الكمان<sup>(1)</sup> وقد كان يقسم الجيش المملوكي في معظم معاركه إلى ثلاثة فرق و كان يخصص فرقة خاصة لتنفيذ مهام خاصة، مثل تسلق الجبال و فتح الحصون و اختراف الصفوف الأولى للعدو<sup>(2)</sup>. كما استخدم المماليك الوحدات الخاصة، التي كانت تتذكر كما فعلت إحدى مجموعات الجيش المملوكي حينما تتذكرت بزي فرسان الداوية و الاستبارية الصليبية<sup>(3)</sup> ونتج عن هذا الهجوم نجاح المهمة، مما أجبر الصليبيين في عكا بعد هزيمتهم على توقيع اتفاقيات و معاهدات مذلة<sup>(4)</sup>. كما اعتمد سلاطين المماليك على فرق خاصة من المتميزين في القتال مثلاً فعل بيبرس حين أرسل سنة 670هـ / 1271م فرقة من فرسان الجيش مكونة من ثلاثة ألف فارس مجهزين بكامل العدة والعتاد إلى دمشق، ووصلوا خلال اثنى عشر يوماً و تصدوا للمغول و تمكنوا منهم<sup>(5)</sup> وهي ما يمكن أن نطلق عليه اسم قوات التدخل السريع و هنا يتضح أهمية الفرق الخاصة، حيث إن الجيش المملوكي لا يمكنه الوصول بهذه السرعة من مصر إلى دمشق. كما استخدم الجيش المملوكي حيلة التمويه في معظم حروبهم، و يتضح ذلك قبل معركة عين جالوت، حيث كان هدف الفرقة التي قادها بيبرس إخفاء تحركات الجيش الرئيسي بقيادة قطر عن أعين المغول<sup>(6)</sup>

ومن عقريمة بيبرس خلال معاركه مع الصليبيين من بدايتها إلى نهايتها حرصه و قيامه بتحرير المدن الساحلية على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثل المدن: قيسارية و أرسوف و عتليت و حيفا و يافا و ذلك بهدف قطع الإمدادات العسكرية والبشرية من أوروبا للمدن الصليبية

<sup>(1)</sup> الطرسوسي ، التبصرة ، ص 24. المنصوري ، بيبرس ، مختار الأخبار ، ص 20

<sup>(2)</sup> المنصوري ، التحف الملوكيّة ، ص 61

<sup>(3)</sup> قوم من الفرنج يحبسون أنفسهم لحرب المسلمين و يمنعون أنفسهم من النكاح و غيره ، و لهم أموال و سلاح و يتعاونون القوة و يعالجون السلاح و لا طاعة لأحد عليهم ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج 2، ص 246

<sup>(4)</sup> باسم ، الأيوبيون و المماليك ، ص 161

<sup>(5)</sup> المنصوري ، التحفة الملوكيّة ، ص 73

<sup>(6)</sup> سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 257

في الشام<sup>(1)</sup> وكان نظام الجيش المملوكي يقضي بأن يجعل المشاة أمام الفرسان الخيالة ليكونوا له كالحصن المنيع و ينصب أمام كل راجل ستارة<sup>(2)</sup> تكف عنه شر من يرميهم بسيف أو رمح أو سهم و يجعل لكل واحد من اثنين في الراجلة نبالة(فناص) ليرمي سهم حين تنسح له الفرصة<sup>(3)</sup> و كان النظام العسكري المملوكي يقضي بإعلان حالة النفير العام في الحروب الكبرى وخاصة في حملات التتار حيث كانت الدولة المملوكية تأمر باستدعاء العساكر من كل أنحاء الدولة و كل من له فرس لمواجهة الغزاة ، و أن يخرج رجال قرى الشام و يجهزوا أنفسهم<sup>(4)</sup> و من سيرة السلطان الظاهر بيبرس يتبيّن مدى اهتمام النظام العسكري المملوكي بأن يكون السلطان قبل الجنود في ميدان المعركة حتى أنه عرف عن بيبرس أنه كان يركب الدبابة ذات العجلة و تجري به لتصل إلى سور الأعداء ليمر السلطان السور بعينه، و يرى التقوب التي حفرها مهندسو الجيش ، ومن مظاهر إقدام السلطان أنه ذات مرة أخذ فرساً وقاتل بنفسه فرجع و في ترسه عدة سهام . و في يوم واحد ، في إحدى المعارك رمى السلطان ثلاثة سهام ، و كان يهدى و يحرر الخنادق و يجر المنجنيقات و ينقل الأحجار ليكون قدوة لغيره من المسلمين<sup>(5)</sup> من خلال ما سبق يتبيّن مدى اهتمام المسلمين بالجهاد ووضع أنفسهم بنفس مراتب الخطورة على أفراد الجيش مما يجعل الجندي المملوكي و المسلم في وضع نفسي مهيأً لخوض الحروب فهو سيعتقد جازماً أن الجهاد واجب و سيقتدي بسلطانه و قائده، و سيقدم روحه رخيصة في سبيل الله . وتميز الجيش المملوكي في معظمها أنه كان يتقن السباحة، كما أن السلطان كان يتقن السباحة، و ذات مرة نزل

<sup>(1)</sup> المنصوري التحفة المملوكية ، ص 54

<sup>(2)</sup> الستارة: يقام على أعلى السور لتستر المقاتل من السهام والذخائف وتبني من الحجارة وتظهر بشكل جلي في قلعة أرورد وهي كالدعامة الصغيرة بارتفاع مترين يمكن أن يجلس تحتها ثلاثة أشخاص ولها قتحة للرمي، فهي الواقيات من الإصابة. انظر: دهمان، معجم الألفاظ المملوكية، ص 88. ويبعد أن المقصود بالستارة التي تنصب أمام المشاة في الجيش المملوكي نفس الفكرة لكنها تكون متقللة بحسب تحركات الجيش

<sup>(3)</sup> الطرسوسي ، التنصرة ، ص 24

<sup>(4)</sup> المنصوري ، مختار الأخبار ، ص 51

<sup>(5)</sup> المقرizi ، السلوك ، ج 2، ص 19-20

السلطان بيبرس النهر وجر فرسين داخل النهر أثناء سباته، مما جعله قدوة بين جيشه وملكته<sup>(1)</sup> و استخدمت الجيوش المملوكية نظام المفاجأة في حروبها ، ومن ذلك الهجوم على يافا و تحريرها . ففي سنة 663هـ/1265م سار بيبرس إلى الساحل ونزل على قيسارية، ونازلها بمن معه من العساكر المتكاثرة المتواترة، ونصبوا المجانق الكثيرة، وأحاطت الخيول بفرسانها بالمدينة وبدأت بقصف المدينة بالمنجنيقات، وأطبقوا الحصار حتى ضفت قلوب أهل قيسارية من الصليبيين، وقد صنع المسلمون سكاك للخيل كالأوتاد، على سور قيسارية و انهالت الخيول بفرسانها تقتسم قيسارية من خلال الجسور التي ضربها المسلمون على سور المدينة، وبذلك دخل الوهن والضعف على أهل قيسارية، حتى أذعنوا وسلموا<sup>(2)</sup> وأحياناً كانت تصل الأمور بالنظام العسكري المملوكي أن يدمر المدينة على أصحابها، حتى تظل نفوس الصليبيين تخشى المسلمين في سنة 683هـ/1289م وبعد حصار لطرابلس دام أربعة وثلاثين يوماً تم إحراق المدينة بالكامل، ومن ثم عمرت مدينة غيرها بالقرب منها<sup>(3)</sup> وكان ذلك في عهد المنصور قلاون ومن الملاحظ أن النظام العسكري المملوكي كان يحرص على تدمير القلاع الموجودة في المدن بعد اقتحامها، حتى لا يتحصن فيها الصليبيون إن احتلوا المدينة مرة أخرى<sup>(4)</sup> ويبدو أن هدم المدن والقلاع أحياناً يشير إلى طبيعة المكان والسكان، وهو ما يطلق عليه اليوم الوضع الديمغرافي، حيث إن المناطق التي كان بها الصليبيون لعشرين سنة هجرها العرب من السكان الأصليين، ولم يكن بإمكان النظام العسكري المملوكي أن يبقى على هذه القلاع بدون وجود أغلبية عربية تستطيع الحفاظ عليها في حال عدم هدمها، لأن طبيعة الساحل يجعلها في مهب عواصف

<sup>(1)</sup> المقرنزي ، السلوك ، ج2،ص 83

<sup>(2)</sup> المنصورى،التحفة المملوكية،ص 53.

<sup>(3)</sup> القرمانى،أخبار الدول،ص 274.

<sup>(4)</sup> بيبرس المنصورى،التحفة المملوكية،ص 53.

الحملات الصليبية عبر البحر، لذلك كان قرار الهدم نابعاً من إستراتيجية محددة وليس تصرفاً عبيطاً وبعد فتح مدينة قيسارية أرسل بيبرس حملة عسكرية متكررة ترتدي لباس الصيد إلى عتليت وحصلت مناوشة بين أهل المدينة والعساكر المملوكية، وفي تلك الحملة تسلل أحد الفرسان واسمه بكتي وقصد بين البساتين، وقتل أحد أفراد الحامية الصليبية أثناء تسلله ورجع بعد أن حصل على المعلومات التي أرادها قائد الفرقة العسكرية المملوكية، فاستدعاه السلطان بيبرس وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم وأعجبه فعله<sup>(1)</sup> ومن الملاحظ أن الجيش المملوكي كان يحاصر المدن الساحلية ويترك الناحية الغربية على البحر دون حصار بحري، ويبدو ذلك متعمداً لإفساح المجال لهروب الصليبيين عبر البحر، كما حدث في حصار حيفا وأرسوف<sup>(2)</sup> وكان ذلك سنة 663هـ/1265م.

### معاملة الأسرى:

إن الإسلام كان قد عمل على إلغاء الرق وتحرير البشرية من استعباد الإنسان ، فأغلق الإسلام أكثر الطرق التي كانت تؤدي إلى الرق في الأديان و النظم السابقة ، ولكن قفل باب الرق عن طريق الأسر في الحروب كان يحتاج لموافقة غير المسلمين عليه، حتى لا يسترق المسلمين من غير المسلمين ،ولا يستطيع المسلمون أن يعاملوهم بالمثل، فترك الإسلام هذا الباب مفتوحاً بعد أن ضيقه ونظمه حتى ترتضي البشرية حكم الله وحكم العقل في قوله تماماً<sup>(3)</sup> ومن ذلك تميزت معاملة الأسرى في الدول الإسلامية المتعاقبة بالرفق و الرحمة و الإنسانية و التكريم و البر و الإحسان و الإنقاذ و العلاج و صون الكرامة نظرياً وواقعاً، عملاً بوصية النبي للقادة

" استوصوا بالأسرى خيراً "

<sup>(1)</sup> بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص 54.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 54.

<sup>(3)</sup> شلبي ، أحمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 124

و قوله تعالى: " و يطعون الطعام على جبه مسكيناً و يتيمًا و أسيراً<sup>(1)</sup> و مصير الأسرى شرعاً، عادة في الغالب إما المن عليهم، بإطلاق سراحهم بدون مقابل أو مفاداتهم أي تبادل الأسرى و إطلاق سراحهم بمقابل، لقوله تعالى: " فشدوا الوثاق فإما منا بعد و إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها "<sup>(2)</sup>.

و لذلك فإن الدولة الإسلامية عبر دورتها التاريخية، أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك بأنها أحسنت معاملة الأسرى و الجرحى و المرضى و القتلى <sup>(3)</sup>. والدولة المملوكية كدولة إسلامية اتبعت الشريعة الإسلامية، و ما تقضيه من كيفية معاملة الأسرى ، و حسب المصالح التي تقضيها المرحلة ، وفي تاريخ المماليك كجند لدى الدولة الأيوبية تمكنا من أسر الآلاف من الصليبيين في معركة المنصورة، الذين تم الإفراج عنهم و ملكهم لويس التاسع بالفدية <sup>(4)</sup> ، ولكن منذ تولي المماليك الحكم كانت أول مواجهة حقيقة في عهد قطز حين جاءه رسول المغول برسالة هولاكو الشهيرة ، فاعتبرهم أسرى و نفذ في الأربعة حكم الإعدام و علق رؤوسهم على أبواب القاهرة، و أبقى على الخامس ليصبح من مماليكه <sup>(5)</sup>، وهنا اقتضت الظروف و المصلحة بفعل ذلك و لو لا الظروف الخاصة بطبيعة المرحلة لما قتلهم قطز، لكنه أراد رفع الروح المعنوية لدى الدولة المملوكية كلها بجيشه و أفرادها ، كما أراد تحطيم معنويات المغول الذين لم يعرفوا تلك الطريقة من قبل ، و كان قد أعماهم الغرور و أصابتهم عنجهية انتصارتهم السابقة على الدوليات الإسلامية و الخلافة ذاتها ، فأراد قطز أن يحطم هذه العنجهية و يحيط بهذه المعنويات ، و فعل قطز بذلك الكيفية و تلك المرحلة يذكرنا بأسرى بدر حين سخروا لتعليم المسلمين القراءة

<sup>(1)</sup> سورة الإنسان ، آية رقم 9.

<sup>(2)</sup> سورة محمد ، آية رقم 4.

<sup>(3)</sup> الزحيلي ، وهبة ، أحكام الحرب في الإسلام ، ص 39. شلبي ، أحمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 124.

<sup>(4)</sup> قيل أنه بلغ عدد الأسرى ثلاثة ألف في معركة المنصورة ، انظر المقرizi ، السلوك ، ج 1، ص 455

<sup>(5)</sup> المقرizi ، السلوك ، ج 1 ، ص 429. انظر ، سالم ، سحر ، دراسات في تاريخ مصر ، ص 255

و الكتابة. و كان رأي عمر بن الخطاب قتلهم ، فنزل قرآن يتلى إلى يوم الدين يحث الرسول على قتلهم لأن المسلمين يحتاجون في بداية أمرهم إرهاب عدوهم " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض "<sup>(1)</sup> و من تكريم الإسلام للأسير أنه إذا أسلم وهو رجل حر مكلف عصم دمه، و في مذهب الإمام أحمد أن الأسير إذا أسلم صار رقيقاً<sup>(2)</sup>. و هناك أسرى من الأعداء لا يجوز التردد في قتلهم على الفور، خاصة إذا كانوا من ذوي الإجرام الذين لهم رهبة في نفوس المسلمين كالداوية و الاستبارية، وهي فرق خاصة صليبية كانت تقتل و ترتكب المجازر بحق المسلمين المدنيين، مما أرهب نفوس المسلمين . و لذلك حرص الأيوبيون و المماليك على حد سواء على قتلهم<sup>(3)</sup> وفي قتل هؤلاء عزة و رفعة للمسلمين ورفعاً لروحهم المعنوية وانتقاماً لمن قتل من المسلمين، وفي نفس الوقت إرهاب تلك العصابات وبث الوهن في قلوبهم، لربما يمتنع الكثير من الانضمام لتلك العصابات من الصليبيين لمعرفتهم ما يحل بمن يقبض عليه منهم، وورد عن بيبرس أنه أمر بضرب رقاب خيالة الداوية والاستبارية على تل قريب من صفد، وقد كانوا يضربون رقاب المسلمين عليه ولم يسلم منهم أحد إلا اثنان، الأول وهو الرسول الذي كان حضر إلى السلطان، والأخر شفع فيه الأتابك ليخبر الفرنج بما جرى<sup>(4)</sup> ويلاحظ هنا مدى اهتمام المماليك بالعامل النفسي، حيث أرادت رفع معنويات المسلمين وقهر معنويات الصليبيين من خلال ترك فارس حي ليخبر بما جري لجماعته وبالإضافة إلى ذلك كانت معاملة بالمثل وفي إحدى المرات تمكن المماليك من أسر مجموعات صليبية فتم حملهم على جمال وأمر بهم أن يمشوا بجوار صفد ليراهم الصليبيون الذين كانوا يسيطرون آنذاك على

<sup>(1)</sup> سورة الأنفال ، الآية رقم 67

<sup>(2)</sup> ابن النحاس ، مشارع الأشواق ، ص 1046.

<sup>(3)</sup> ابن الأثير ، الكامل ، ج 10، ص 176. الفلشندي ، مأثر الانفاف ، ج 3 ، ص 306. ابن ثغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ،

ص 223. ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 12 ، ص 321.

<sup>(4)</sup> المنصورى، مختار الأخبار ص 32-33.

صد وتم المراد، فقد أصيب صليبيي صد بالذعر والفرج مما جعلهم يهزمون في أول مواجهة مع القوات المملوكية<sup>(1)</sup> وقد تعامل النظام العسكري المملوكي بحزم مع الأسرى حتى يكسرؤا شوكتهم ويشفوا صدور جنودهم، كما تم استغلال هؤلاء الأسرى في هدم أسوار المدن التي حررها الجيش المملوكي حتى لا يتحصن فيها الصليبيون<sup>(2)</sup> وقد أحسن النظام العسكري المملوكي سياسة المفاوضات من أجل الأسرى، و خاصة حينما يأسرون قادة و أفراد من الصليبيين ، حيث استغلوا هذا الأمر جيداً ، فقد تمكن المماليك مقابل أسير واحد و هو ملك سيس " ليتون بن التكفور هيثوم " ، أن يستردوا القلاع التالية " بهنسا - درباق - مزربان - عبان - شبح الحديد" إضافة لذلك تم الإفراج عن سنقر الأشقر أحد أمراء المماليك<sup>(3)</sup> وبذلك يكون النظام العسكري المملوكي قد استغل الأسرى الصليبيون أحسن استغلال فبدل أن يقتالهم أو أن يتتعجل بالإفراج عنهم أو أن يطلب الفدية المالية ،استحسن أن يحرر القلاع والتي كان من الممكن أن تكون وسيلة لانطلاق الصليبيون منها وتمكنهم من احتلال مدن أخرى أو أسر مسلمين ، فكل هذه الإنجازات التي سبق ذكرها كانت مبادلة بأسير واحد، وما سبق يتضح مدى استغلال النظام العسكري المملوكي للأسرى، خاصة إن كانوا من أمراء الصليبيين وممن لهم وضع خاص، كما شدد النظام العسكري المملوكي على مراقبة السجون التي سجن فيها الصليبيون و التinar حتى لا يتم تهريبهم ، فقد اعتبرتهم الدولة المملوكية فرصة لتحرير أسرى المسلمين أو القلاع أو فرصة للاستفادة منهم<sup>(4)</sup> و قد عرف سجن الكرك من أكثر السجون إحكاما حيث اختصه المماليك لإبقاء الأسرى الصليبيين فيه و كانت الكرك معروفة أنها من أحسن المدن<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص 57.

<sup>(2)</sup> المقرنزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 21

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 21

<sup>(4)</sup> العسقلاني ، شافع، الفضل المأثور ، ص 119

<sup>(5)</sup> المنصوري و التحفة المملوكية . ص 54

و كانت الدولة المملوكية تخصص وحدة طبية لفحص السجناء الأسرى، ليتم الحفاظ على حياتهم و علاجهم من أي جروح أو أمراض<sup>(1)</sup> و مما يلفت الانتباه أن بعض سلاطين المماليك استخدموا أسرى صليبيين كدروع بشرية في تنقلاتهم<sup>(2)</sup> ويمكن تفسير ذلك بعدة احتمالات وهي إما استخدامهم كأدلة للطرق خاصة وإن المناطق الشامية كثيراً ما كانت في يد الصليبيين، وإما للتهديد بقتلهم إن تعرض موكب السلطان المملوكي لهجمات غادرة، وإما لاستغلالهم من قبل السلطان في إرسال البعثات والسفارات للإمارات الصليبية فيكونوا ضمن المبادرات وعلى كل الأحوال فإن اصطحاب موكب السلطان لبعض الأسرى يدلل على أهمية الأسرى الصليبيين بالنسبة لقيادة المملوكية. و حين يتباطأ الصليبيون بالمبادرة كانت الدولة المملوكية تستغل هؤلاء الأسرى في العمل و البناء، مثلاً فعل المماليك حينما أرسلوا أسرى صليبيين إلى دمشق لاستعمالهم في العمائر<sup>(3)</sup>. و في بعض الأحيان كان الصليبيون يرسلون هدايا لسلاطين المماليك كمبادرة حسن نية و لتجنب الحملات المملوكية على الإمارات المحتلة، لكن السلطان المملوكي لم يعاملهم بالمثل في تلك المسألة<sup>(4)</sup> ففي عهد الظاهر بيبرس أرسل بعض الأمراء الصليبيون هدايا من ضمنها أسرى مسلمين لكسب ود الظاهر بيبرس، الذي لم يأبه كثيراً لذلك ولم يبادرهم نفس الأسلوب و يعتبر ذلك منطقياً حيث لم يكن متقدماً على صفة تبادل أسرى فلماذا يتبرع بإطلاق سراحهم ، كما أن حرص الصليبيين على رضا بيبرس لا يعني بالضرورة تبادل ذلك الحرص ، فالسلطان بيبرس هو الطرف الأقوى فهو غير مضطر لإرضاء الصليبيين، بالإضافة إلى أن الصليبيين هم المعتدلون و هم المحتلون فلا يعتبر ذلك هدية منهم إنما جزء من الحق المسلوب.

<sup>(1)</sup> العسقلاني ، شافع ، الفضل المتأور ، ص 129

<sup>(2)</sup> الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص 14

<sup>(3)</sup> المنصورى ، مختار الأخبار ، ص 20

<sup>(4)</sup> عطا الله ، محمود خليل ، نيابة غزة في العهد المملوكي ، ص 189

و من الجدير بالذكر أن بعض أسرى التتار كان يرجع أصلهم إلى التركمان هم ذوو صلة مع المماليك ، ولذلك نجد أن الدولة المملوكية استخدمت بعض التركمان في جيشها بعد إسلامهم و منهم من وصل إلى مراتب عليا في الجيش <sup>(1)</sup> مثل كاتبغا الذي تم الحديث عنه ومما يمكن أن يذكر هنا أن للقرابة بين المماليك وال.ttار دور كبير في إنهاء الصراع وحسمه لصالح المماليك المسلمين، من خلال أول انتصار في عين جالوت، حيث تلاشت قوة التتار أمام المماليك التتار بأفضلية المماليك المسلمين، فالانتصار ليس بالسيف فقط إنما انتصار عين جالوت كان انتصاراً للقيم الإسلامية التي تربى عليها المماليك، فالحضارة الإسلامية قادرة في كل وقت وحين أن تستوعب أي نوع من الأجناس لأن الإسلام جاء للناس كافة "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" <sup>(2)</sup>

### **المعاهدات والاتفاقيات:**

إن مصطلح استراحة المقاتل يتบรร إلى الذهن حينما نبدأ بهذا الموضوع ، فأي نظام عسكري في العالم قديماً أو حديثاً، يحتاج إلى الراحة وترتيب أوراقه ومراجعة عملياته وقواته ، وفي الإسلام الأمان نوعان مؤقت و دائم ، و الأمان المؤقت قسمان خاص و عام . فالأمان المؤقت الخاص يمكن أن يقوم به جندي مسلم إذا استسلم له أحد جنود العدو، و طلب منه الأمان أو إذا استسلمت جماعة من جنود العدو إلى جماعة من جنود المسلمين، ففي هاتين الحالتين يجوز للجندي المسلم أو لقائد جماعة من المسلمين أن يمنحوا الأمان إذا رأوا مصلحة المسلمين كالحصول على أسلحة أو أسرى أو الحفاظ على عتاد المسلمين و أرواحهم .

<sup>(1)</sup> ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج 1 ، ص 461-462

<sup>(2)</sup> الانبياء، آية 107.

أما الأمان المؤقت العام فلا يبذل إلا الإمام أو نائبه و يكون لكل الجيش و هو جائز، ما دام الإمام قد رأى فيه مصلحة المسلمين و هو الذي يسمى الهدنة ، مثل الهدنة التي وافق عليها

الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية<sup>(1)</sup>

وقد كانت معاهدات الصلح بين الصليبيين و المماليك تشمل الحدود الجغرافية و المدة الزمنية و الأماكن الخاصة، و أملاك المناصفات و بناء التحصينات و المياه و المزارع ، و الضرائب و الرسوم و حرية الملاحة و محاربة القرacsنة و حرية تقل الأفراد و حرية التجارة بين الطرفين براً و بحراً، و مقاومة الأخطار الأوروبية و التترية و حرية العبادة، و التعاون في مجال القضاء على الجريمة<sup>(2)</sup>.

و المعاهدات المبرمة بين المسلمين و الصليبيين كانت تدل على مدى توافق القوة، حيث أجبر الطرفان على تلك المعاهدات ، ولو استطاع أحدهم التغلب على الآخر لما اتفق و عاهد و لكن المماليك كانوا يحددون تلك المعاهدات بزمن معين، ريثما يستعدوا بشكل أفضل ، كما فعل بيبرس سنة 665هـ/1266م، حينما كان في دمشق وحين عاود الهجوم على صفد حيث حضر إلى أبوابه رسل الفرنج يطلبون الصلح، فأجابهم وكتب لهم الهدنة إلى عشر سنين<sup>(3)</sup>.

و من خلال تتبع المعاهدات و الاتفاقيات التي أبرمها المماليك مع الصليبيين من جهة، و التمار من جهة أخرى، ومن خلال بنود تلك الاتفاقيات يتبين أن المماليك كانوا الطرف الأقوى ، وأن معظم المعاهدات كانت لصالح المماليك المسلمين، حيث كان المماليك يوافقون على الهدنة حين تكون في مصلحتهم مثل الهدنة التي وقعتها المماليك مع الصليبيين سنة 661هـ/1262م<sup>(4)</sup>

<sup>(1)</sup> شلبي ، احمد ، الجهاد و النظم العسكرية ، ص 124

<sup>(2)</sup> غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح ، ص 131

<sup>(3)</sup> المنصورى ، التحفة الملوکية ، ص 60

<sup>(4)</sup> المنصورى، مختار الاخبار، ص 26.

وفي عهد الملك السعيد ابن الظاهر بببرس طلب الفرنج الهدنة وتردد المماليك في قبول الطلب ثم وافقوا مقابل أن يطلق الصليبيون سراح أسرى المسلمين<sup>(1)</sup> ، و في معظم الحالات كانت الممالك الصليبية و الجيوش المغولية هي التي تطلب الصلح، مثل الرسالة التي أرسلها أبغا بن هولاكو ملك التatar لببرس، يطلب فيها الصلح فرفض بببرس<sup>(2)</sup> و كان ذلك نتيجة للضربات الموجعة التي وجهتها لهم القوات المملوكية، وأيضاً في عهد المنصور قلاوون أجاب الفرنج إلى الهدنة التي طلبواها منه، وكان ذلك الطلب الصليبي بناءً على النصر الذي حققه قلاوون على التatar<sup>(3)</sup>، ومن الملحوظ أن المعاهدات في العصر المملوكي كانت على الأغلب بطلب من الأعداء الصليبيين و المغول، وخاصة أثناء فترات قوة المماليك وانتصاراتهم.

فنجد صاحب عكا يطلب الصلح من قلاوون سنة 680هـ/1281م فأجابه و حدد شروطه<sup>(4)</sup> وقد تضمنت شروط المماليك كل الجوانب من النواحي الاقتصادية و الأمنية و العسكرية و الجغرافية و المدة الزمنية و التحالفات، إلا أن هذه الاتفاقيات لم تشمل التطبيع الثقافي<sup>(5)</sup> وفي ذلك مراعاة لمصالح المسلمين وخاصة أن المنطقة وسكانها يحتاجون إلى الأمان في حال الحصاد فحياتهم تتطلب وقتاً من الأمان كي يجمعون ما يعينهم خلال العام كله، فلابيمكن لأي امة أو شعب الاستمرار في القتال بدون اقتصاد قوي وتوفير الأمن الغذائي، ففي سنة 661هـ/1262م أرسل طلب الصليبيون هدنة إلى أيام الحصاد فأجابهم المماليك<sup>(6)</sup> و في سنة 665هـ/1266م أرسل الصليبيون يطلبون الصلح، فاستجاب بببرس بالهدنة لمدة عشر سنوات فقط<sup>(7)</sup> كما سبق ذكره و

(1) المنصورى، التحفة المملوكية، ص 96.

(2) ابن الجيعان، القول المستظرف، ص 105. العسقلاني ، علي بن شافع ، الفضل المأثور ، ص 93

(3) المنصورى، التحفة المملوكية، ص 106.

(4) المصدر نفسه، ص 105

(5) غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح ، ص 131

(6) المنصورى ، مختار الأخبار ، ص 26

(7) المنصورى ، التحفة المملوكية ، ص 60

يظهر من نصوص معاهدات الصلح مدى قوة المماليك و ضعف الصليبيين، مما يدل أن المماليك كانوا يشترطون على الصليبيين أن يقسموا في المعاهدة و كان الصليبيون يقسمون<sup>(1)</sup> وفي عهد الملك السعيد بن الظاهر بيبرس سنة 679هـ/1279م طلب الفرنج الهدنة و اشترط المماليك لموافقتهم على عقد هدنة إطلاق سراح أسرى المسلمين، فوافق الصليبيون و تمت الهدنة<sup>(2)</sup> و قد استفاد المماليك من عقد الهدن مع الصليبيين كثيراً من حيث استقرار الأوضاع و تجهيز أنفسهم و انتعاش التجارة و ازدهارها و تبادل التجارة و مسیر القوافل بين المدن الإسلامية ، و توفر المحصول و مسیر الفلاحين بمزروعاتهم ، وخاصة في فلسطين وكان ذلك نتيجة للهدنة التي عقدها السلطان قلاوون مع الصليبيين سنة 688هـ/1289م<sup>(3)</sup> و بعد هذه الهدنة لجأ السلطان قلاوون إلى الفقهاء لاستفتائهم في قضية نقض الهدنة، حتى لا يخالف الشرع وهذا دليل على التزام القادة المماليك بأحكام الشريعة الإسلامية، و جرت مناظرة صدر بعدها الإفتاء الشرعي الذي يسمح للسلطان بنقض الهدنة ، لما تكررت اعتداءات الصليبيين على المسلمين وأخذ قلاوون بالاستعداد للحرب لكنه أحاط على هذه الاستعدادات ستاراً من السرية حتى تجهز بجيشه<sup>(4)</sup> كما أن السلطان قلاوون بعد هدنة قبرص عقد هدنة أخرى مع عكا، كما عقد هدنة مع طرابلس<sup>(5)</sup>. ومن خلال تتبع سيرة قلاوون في إبرام الهدن نلاحظ شيئاً مهماً، وهو أنه كان يعقد الاتفاقيات مع كل إمارة صلبيّة على حدة، ليسهل حرب غيرها من الإمارات ، و حين يحاربها نفسها لا يدافع عنها غيرها، وهي سياسة قديمة حديثة " فرق تسد ". و كانت الهدنة

<sup>(1)</sup> غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح ، ص 164-165

<sup>(2)</sup> المنصورى ، التحفة الملوكية ، ص 96

<sup>(3)</sup> العسلي ، يسام ، الظاهر بيبرس ، ص 102

<sup>(4)</sup> المرجع السابق ، ص 104

<sup>(5)</sup> العسقلاني ، شافع ، الفضل المأثور ، ص 143

التي عقدها قلاؤن إنما هي نتيجة لانتصاراته الساحقة على المغول، حيث انتبه الصليبيون لقوته فارتاؤ تجنبها من خلال عقد الاتفاقيات معه<sup>(1)</sup>

## تعيين القادة والرتب العسكرية:

حرص المماليك على تنظيم أنفسهم من خلال الترقيات، فلابد لأي نظام هيكلاً أفراده كي تسهل عملية الإداره، وقد كانت الإمرة لجيش المماليك من حق أي مملوك من خلال التدرج في الترقي<sup>(2)</sup> ومن خلال البحث نجد أن نظام الترقية في دولة المماليك لم يخضع لقاعدة معينة ويستفاد من أحداث الترقية لأغلب المماليك على أن هناك طريقتين للترقية، أحدها بالطريق العادي المأثور وهو التدرج الطبيعي من رتبة إلى ما فوقها والثاني طريقة الطفرة<sup>(3)</sup> على حد تعبير الكاتب<sup>(4)</sup> وتحيط بها الشبهات والتساؤلات، وحين نعرف أن سلاطين المماليك كانوا ينعمون على بعض المماليك بإمرة مائة<sup>(5)</sup> أو ألف حسب رضي السلطان عن المملوك<sup>(6)</sup> نفهم تلك المسألة من مزاجية السلطان في ترقية الجندي، وتلك مسألة تستحق الدراسة ووضع علامات استفهام كثيرة، من شأنها أن تكون سمة من سمات العصر المملوكي، ولو أنه من الممكن تجاوز ذلك حين نتمعن في التربية والتنشئة للمماليك منذ كانوا أطفالاً، فكل مملوك كان قائداً في حد ذاته نتيجة لكيفية تدريبيه وتربيته، وكان قد تم الحديث عن تربية المملوك منذ أن يتم شراءه وحتى وصوله، إلى أن يصبح فارساً مهيباً له من الشجاعة والقوة ما لا يوجد بغيره ،فالملوك ومنذ نعومة أظافره يمارس الفروسية والقوة والتربية النفسية والجسدية، وتبقى المفضلة بينهم بيد

<sup>(1)</sup> المنصوري ، التحفة المملوكية، ص106

<sup>(2)</sup> المقرizi، الخطط، ج2، ص220.

<sup>(3)</sup> الطفرة: هي ترقية الجندي من درجة إلى أعلى بناء على رغبة السلطان دون إتباع أسلوب محدد وهو ما يطلق عليه في عصرنا الحالي المحسوبية.

<sup>(4)</sup> طرخان، النظم الإقطاعية، ص163.

<sup>(5)</sup> أمير مائة: هو الأمير المقدم وهو أعلى منصب بعد الأتابك في الجيش المملوكي بخدمه مئة مملوك وفي أمرته ألف جندي. دهمان، معجم الألفاظ المملوكية، ص22.

<sup>(6)</sup> السحاوي، الضوء الالمعنوي، ج3، ص286.

السلطان، ففي عهد المنصور قلاؤون كان يمكن للجندي البسيط الانتقال بأمر من السلطان إلى الـطبخـانـاه<sup>(1)</sup> أي أن يكون أميرا لأربعين، ومن ثم يمكن لأمير الـطبخـانـاه أن يصبح أمير سلاح ليقود فرقة كاملة من الجيش كالـمـيـنة أو المـيـسـرة، أو على مستوى الجيش المـمـلوـكي كـله<sup>(2)</sup> ولابد من تفهم ذلك وهو أن السلطان بالدرجة الأولى قائد عسكري وله دراية بكل جندي، بمدى شجاعته وقدراته وكفاءته، ولا غرابة في أن يتـخذـ السـلـطـانـ أمـراـ بـتـرـقـيـةـ جـنـديـ ، والـسـلـطـانـ المـمـلوـكيـ كان يـدقـقـ فيـ اـخـتـيـارـ الـأـمـرـاءـ ، منـ هـنـاـ نـسـتـطـيعـ أـنـ نـدـرـكـ فـهـمـهـ لـمـسـأـلـةـ التـرـقـيـاتـ فقدـ كانـ السـلـطـانـ يـأـمـرـ بـمـرـسـومـ سـلـطـانـيـ بـتـأـمـيرـ النـائـبـ أوـ المـقـدـمـ بـنـاءـ عـلـىـ مـرـاـقـبـةـ مـسـتـقـيـضـةـ لـذـيـ يـتـمـ اـخـتـيـارـهـ ، فـقـدـ وـرـدـ أـنـ الـذـيـ يـتـمـ اـخـتـيـارـهـ يـكـوـنـ مـنـ أـفـضـلـ الـقـادـةـ وـخـاصـةـ فـيـ الـمـاـنـصـبـ الـهـامـةـ كـنـائـبـ التـغـورـ<sup>(3)</sup> لـأـنـ التـغـورـ هـيـ بـوـاـبـةـ الـمـواـجـهـةـ مـعـ الـأـعـدـاءـ ، وـمـنـ خـلـالـ رـوـاتـبـ الـجـيـشـ حـسـبـ الـرـتـبـ يـمـكـنـ فـهـمـ مـدـىـ أـهـمـيـةـ الـمـنـصـبـ نـفـسـهـ فـالـنـفـقـاتـ كـانـتـ لـلـأـتـابـكـ 4000 دـيـنـارـاـ ، وـلـكـلـ مـنـ الـأـمـرـاءـ الـمـقـدـمـينـ 3000 دـيـنـارـاـ ، وـلـكـلـ مـنـ الـأـمـرـاءـ الـطـبـخـانـاتـ 500 دـيـنـارـاـ ، وـلـلـأـمـرـاءـ الـعـشـرـاتـ لـكـلـ وـاحـدـ 200 دـيـنـارـاـ ، وـلـكـلـ جـنـديـ 100 دـيـنـارـاـ ، وـالـأـتـابـكـ هـوـ الـقـائـدـ لـلـجـيـشـ المـمـلوـكيـ كـلـهـ وـالـأـمـيرـ الـمـقـدـمـ(ـأـمـيرـ مـئـةـ)ـ أـعـلـىـ مـنـصـبـ بـعـدـ الـأـتـابـكـ فـيـ الـجـيـشـ المـمـلوـكيـ ، وـتـحـتـ إـمـرـتـهـ مـائـةـ مـمـلـوكـ كـخـدـمـ وـأـلـفـ جـنـديـ<sup>(4)</sup>ـ وـيلـيـهـ أـمـيرـ الـطـبـخـانـاهـ ، وـمـنـ ثـمـ الـأـمـرـاءـ الـعـشـرـاتـ وـهـمـ الـأـمـرـاءـ الصـغـارـ فـيـ الـجـيـشـ المـمـلوـكيـ وـيـكـوـنـ تـحـتـ أـمـرـةـ الـوـاحـدـ مـنـهـمـ عـشـرـةـ جـنـودـ<sup>(5)</sup>ـ.

<sup>(1)</sup> المقريزي، الخطط، ج 2، ص 315. وانظر دهمان، معجم الألفاظ، ص 22.

<sup>(2)</sup> ابن حجر السقلاني، الدرر الكاملة، ج 2، ص 16.

<sup>(3)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 11، ص 401-400.

<sup>(4)</sup> ابن أجاء، العراق، ص 38-39.

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه، ص 38-39.

وقد حرص السلطان بالإغراق على جيشه كلٍ حسب مكانته ورتبته في كل شيء ، في الألبسة والسيوف المميزة<sup>(1)</sup> ومما يحسب للسلطان المملوكي متابعته للعلاقات داخل المؤسسة العسكرية المملوكية بنفسه، وتأكيده دوماً على عدم الإهمال والتغريط أو المحاباة أو تغلب قوي على ضعيف أو أمير على جندي، وساوى بينهم كل على قدره ولم يدخل عليهم بحسب أعطياتهم<sup>(2)</sup> وبعد الجندي كان يأتي في العلوِّ أمير خمسة، وهو مسئول عن خمس جنود وكان أحياناً من يأتمر خمسة بناء على مكانة أبيه من قبله<sup>(3)</sup> وتلاحظ مسألة هامة هنا انه كان يتم اختيار أمير الخمسة من أكابر الناس أو المالكين، وهي رتبة بسيطة لكنها كانت تقدير لجهود بعض الأمراء من خلال مكافأة أبنائهم، ومن بين الرتب المعروفة في العصر المملوكي أمير الحج وهي مرتبة حربية خاصة بأرباب السيوف، وتقرن عادة بلقب مقدم ألف فيقال أمير مئة مقدم ألف والمقصود بذلك التسمية المركبة وظيفة واحدة أن يكون في حوزة هذا الأمير مائة مملوك، وهو في نفس الوقت مقدم في الحرب على ألف جندي<sup>(4)</sup> وكأي نظام في العالم يصيبه المرض بعد فترة زمنية فقد أصبح النظام العسكري المملوكي متدهوراً نتيجة للبذل والبرطلة أي الرشوة، فقد روى السخاوي أن أحد أمراء المالكين صار بالبذل أحد المقدمين ووظيفة أمير سلاح صارت تمنح بالهدايا والأموال<sup>(5)</sup>.

### الرتب العسكرية في الدولة المملوکية

أتاباك	أمير مائة	أمير عشرة	أمير	أمير مائة	أمير	أمير خمسة
العسكر	مقدم ألف	مقدم ألف	أربعين	طبخانة	أربعين	

<sup>(1)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص 54-55.

<sup>(2)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 124-125.

<sup>(3)</sup> المقريزي، الخطط، ج 2، ص 220.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 215.

<sup>(5)</sup> الضوء الامامي، ج 3، ص 44. انظر: عبد الرزاق، البذل والبرطلة زمان سلاطين المالكين، ص 53.

## **أسلحة الجيش المملوكي أنواعها وصناعتها**

إن البحث في أسلحة أي نظام عسكري مهم جداً، لأنه يعكس الوضع الميداني لهذا النظام ويعكس مدى قوته، ومدى تقدمه، فقد ارتبط الانتصار بقدرة الجيش على التصنيع، ومن المعروف أن التصنيع يخضع لمدى توفر المواد الخام الازمة لذلك، وقد توفر للمماليك ما من شأنه أن تصبح دولة صناعية، وخاصة في مجال الأسلحة، فالمماليك هم أصلاً من الشرق الآسيوي في معظمهم وبالتالي لديهم رصيد معرفة بتقنية تلك المنطقة في صناعة الأسلحة، ومن المشهور عن الشرق الآسيوي أنهم أصحاب خبرة في صهر المعادن وتصنيع السلاح<sup>(1)</sup> وبالتالي فضمنية الاستفادة من ذلك واردة، كما أن المماليك ورثوا دولة محاربة، وهي الدولة الأيوبية وبالتالي ورثوا تقنية صناعة الأسلحة وخاصة أن صلاح الدين الأيوبى قرر أن تكون غابات مصر ملكاً للدولة<sup>(2)</sup> ولا سيما الغابات الممتلئة بالأشجار ذات الأخشاب التي تصلح لصناعة المنجنيقات والأساطيل، كما أن الإسلام لم يبيح إقطاع الأرض ذات المعادن والثروات، فهي ملك للدولة فلا يجوز إقطاعها لأي فرد مهما كان، لأن مصلحة الدولة الإسلامية أهم، فكل البقاع التي أودعها الله تعالى جواهر الأرض سواء باطننة أو ظاهرة هي للدولة لا يجوز إقطاعها<sup>(3)</sup> ومن المعروف أن جميع الصناعات الحربية هي من موارد الأرض، سواء ما يصنع من الأخشاب كالمنجنيقات والأساطيل الحربية، أو ما يصنع من الحديد كالسيوف والرماح والدروع، أو ما يستخدم في القذائف النارية كالنفط. ومن خلال العروض العسكرية التي كان ينظمها المماليك يتضح مدى العتاد الحربي المملوكي، ويبعد أن تلك العروض كانت من باب إرهاب العدو

**وتطبيقاً للآية**

<sup>(1)</sup> القتوجي،أجد العلوم،ج1،ص343.

<sup>(2)</sup> المقريزي، الخطط، ج2، ص193.

<sup>(3)</sup> الماوردي،الأحكام السلطانية،ص217

القرآنية الكريمة "وَمَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعُوهُ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ دِبَاطِ الْخَيْلِ تَرْهِبُونَ بِهِ مَحْدُوَّهُمْ"<sup>(1)</sup>، وقد ينبه كل من يشاهد العروض العسكرية فهي عرض للزى العسكري الباهر والخيول وحركات العسكر واستعراضاتهم، ورميمهم ودقته وكانت تلك العروض تنظم في المناسبات أو حين يأتي ضيوف ورسل من دول أخرى، وكان يقال لهؤلاء الرسل أن هذا العرض فقط لعسكر مصر من غير المناطق الأخرى أو الشغور<sup>(2)</sup> ليبلغ هؤلاء الرسل ملوكهم وشعوبهم بأن النظام العسكري المملوكي يمتلك العدد والعدة الكبيرة، مما يجعل الأعداء يحسبون ألف حساب قبل أن يقدموا على مهاجمة أي ثغر يتبع المماليك، وبهذه العروض العسكرية حقق النظام العسكري المملوكي انتصاراً مسبقاً للحروب القادمة، وهي انتصارات الرعب ومن الواضح أن تلك العروض لم تكن على حساب الحذر، حيث كانت النبابيات الأخرى في الشام وشغور مصر كالإسكندرية ودمياط ورشيد مجهزة ب الرجالها وعتادها ولم تستدعا للعروض العسكرية<sup>(3)</sup> وهذا الأمر يؤكد مدى قدرات النظام العسكري المملوكي، وقد كان السلطان المملوكي يتبع بنفسه خزائن السلاح<sup>(4)</sup> وكانت أولويات نفقات الدولة للأسلحة حتى في وقت السلام، كما أن السلطان المملوكي كان يتبع بنفسه صناعة آلات العسكرية، وكانت صناعتها تتم في أرض المعركة أحياناً، وخاصة الآلات الثقيلة مثل المنجنيقات<sup>(5)</sup> كما حدث بجوار قيسارية حيث نزل السلطان بيبرس بنفسه ورأى أخشاب المنجنيقات بواسطة زردخانة<sup>(6)</sup> فصنع في يوم واحد أربع منجنيقات كبيرة سوى الصغار، إضافة إلى استدعاء الحجارين والذين كانت مهمتهم

<sup>(1)</sup> سورة الأنفال، آية رقم (60).

<sup>(2)</sup> المقريزي، السلوك، ج 2، ص 12.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 12.

<sup>(4)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 134.

<sup>(5)</sup> انظر: الأشكال رقم 6-7-8-9 في الملحق ص 185-186.

<sup>(6)</sup> الزردخانات: بيت السلاح ومخازنه وهي بمعنى الأسلحة وهي كلمة فارسية. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 10، ص 219. الحموي، تاريخ المنصورى، ج 1، ص 167. ابن أجا، العراك، ص 79. ويبدو هنا أن المقصود فيها زرداشاش أو المسئول عن صنع السلاح وصيانته. انظر: دهمان معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص 86.

تجهيز الحجارة بشكل يمكن قذفها<sup>(1)</sup> ومن شدة حرص الدولة المملوكيّة وسلطانها على الاهتمام بالأسلحة، كان نقيب المماليك يأمر بسجن أو ضرب كل من يتهاون في تجهيز الزرداخات أي بيت السلاح، حيث أنه ضرب نقيب القلعة ثلاثة عصا على رجليه لما وقع من تفريطه في تجهيز الزرداخات<sup>(2)</sup>، وقد حرصت الدولة المملوكيّة على التسلیح الشعبي، حيث أباحت امتلاك السلاح لكل من أراد من أفراد الشعب، ولم تتحكره لجنودها فقط وما أدل على ذلك من أسواق السلاح التي كانت منتشرة بالقاهرة<sup>(3)</sup>، ومن خلال الحديث عن السلاح في عصر المماليك يتم تناول الموضوع من خلال تصنيف الأسلحة وتقسيمها إلى مجموعات، لكي تتضح الأمور لنقف على مدى تطور الأسلحة عند المماليك ونوعيتها وصناعتها واستخداماتها، ويمكن تقسيم الأسلحة إلى أسلحة فردية وأسلحة جماعية (ثقيلة) وأسلحة وقائيّة وفرقّات مساعدّة، أما الفردية هي ما اقتصرت على استخدام الجندي الواحد كالسيف والرمح، والجماعية هي ما يستخدم من خلال تعاون أكثر من جندي كالمنجنيقات، والوقائيّة ما كان الجنود أو المجموعات يتحصنون فيه ومن خلالها يقادون ضربات الأعداء كالدبابات<sup>(4)</sup> والدروع. وأول ما يمكن الحديث عنه هو الأسلحة الفردية حيث إن النظام العسكري المملوكي اهتم بالفرد وتدرّيبه من خلال اهتمام الإسلام بالجندي، حيث اهتم بتدريب الجندي تدريباً لائقاً مثل اللياقة البدنية والقدرة الجسمية لأنّها ذات أهمية كبيرة في حياة الجيوش لهذا أبرزت معالمها ورسمت الخطط المؤدية إلى تحصيلها، فأمر بتعليم الرمي وحضرت من إهماله أو نسيانه، وحثّ على ركوب الخيل وتعلم السباحة وإقامة مهارات السباق بين الجنود مشاة وركباناً، وأما الرمي فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من

<sup>(1)</sup> المقرنزي، السلوك، ج2، ص18.

<sup>(2)</sup> ابن أجا، العراق، ص79.

<sup>(3)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، 8، ص48.

<sup>(4)</sup> انظر : الشكل رقم 10 في الملحق ص 187.

تعلم الرمي ثم تركه فليس منا<sup>(1)</sup> وفي رواية فقد عصاني، ومر صلی الله عليه وسلم على نفر ينتضلون (يتسابقون في الرمي) فقال ارموابني إسماعيل فان أباكم كان راما<sup>(2)</sup>، ولما نزلت الآية الكريمة "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" صد رسول المنبر وتلا الآية ثم قال: "ألا إن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي"<sup>(3)</sup> ولا شك أن الرمي يقتضي من الرامي أن يكون حاد البصر حتى يستطيع تحديد أهدافه قوى الساعد حتى يمكنه تسديد رمي، شجاعاً حتى يستطيع مواجهة أعداءه وبهذا يكون تعلم الرمي تدريجياً لجميع أعضاء الجسم وتنمية لعضلاته<sup>(4)</sup> ولرمي منفعة عظيمة لأنه يقاتل القاصي والداني، ومن القلاع والحصون مع سلامه الرامي ولا يتأتى ذلك في السيف والسنن، وقال صلی الله عليه وسلم: "إذا قربوا منكم فارموهم بالنبل ولا تسلموا السيوف حتى يغشوكم"<sup>(5)</sup> وقد قال رسول الله صلی الله عليه وسلم أيضاً: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة صانعه، يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبه، وارموا واركبوا وأن ترموا أحباً إلى الله من أن تركبوا وليس اللهو إلا في ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعتته امرأته ورميه بقوسه ونبله ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفر بها"<sup>(6)</sup> وان النشاب كان من أهم ما كان يتعلمه الملائكة وكانوا بجزيرة الفيل بناحية بولاق يتعلمون الرماية<sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن ماجة،السنن،باب الجهاد،2804.

<sup>(2)</sup> البخاري، صحيح،باب الجهاد والسير،2684.

<sup>(3)</sup> ابن داود،في السنن،باب الجهاد،1253. ابن ماجة،السنن،2803. الدارمي،السنن،2297.

<sup>(4)</sup> الوكيل، المقادير والجندي في الإسلام، ج 1، ص 149-150.

<sup>(5)</sup> أبو داود ، السنن ، باب الجهاد ، 2290. العز بن عبد السلام ، أحكام الجهاد وفضائله، ص 41.

<sup>(6)</sup> النسائي،السنن،3522. أبي داود،السنن،باب الجهاد،2152. الدارمي،السنن،2298.

<sup>(7)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 13، ص 110. ج 9، ص 183-186.

## ١- الأسلحة الفردية:

وأولها السيف وهو مأخوذ من قول ساف إذا هلك لأنه به يقع الهاك، وأصل الحديد الذي يصنع منه السيف صاعقة تنزل إلى الأرض فتصير حديداً ويحفر وتخرج فتطبع سيفاً<sup>(١)</sup>، ومن السيف ما يصنع في المغرب والأندلس، ومنها ما يصنع في الهند والصين ومن أقوى السيوف ما يصنع من الفولاذ، والسيف يصنع من الحديد المضاف عليه بعض المواد حتى لا ينكسر<sup>(٢)</sup>، والسيف متعدد الأشكال منه الطويل والقصير والعريض الدقيق، وكان جنود المماليك يعلقونه في الجنب كما استخدم المماليك الخنجر والطبر<sup>(٣)</sup> والبلطة والفالس في حروبهم كما استخدمو الدبوس<sup>(٤)</sup> وهو آلة حادة من الحديد<sup>(٥)</sup> وبالنسبة للقوس فقد استخدمه المماليك في إطلاق السهام على الأعداء عن بعد وكانوا يسمونه المقبض والنشاب<sup>(٦)</sup> أيضاً من أنواعه قيس الزيار (وهو نوع من أنواع الخشب)، وكان المماليك يصنعونه بأنفسهم ومن فوائد القوس أنه يجعل الجندي بمأمن من أعدائه واحتمال موته أقل مما لو كان على صدام مباشر مع عدوه. وقد حمل كل جندي رمحاً كسلاح احتياطي<sup>(٧)</sup> والرمح هو آلة الطعن، وهو ضربان، الأول ويصنع من القنا وهو قصب مسدود الداخل ينبع في بلاد الهند، والثاني يتخذ من الخشب كالزان ونحوه ويسمى الذابل ويقال للحديد في أعلى الرمح سنان، وللذبي في أسفله الزرج والعقب، ويلقب الرمح بالأسمر والعسال وباللدن والسمهرى<sup>(٨)</sup> كما كان الجندي المملوكي يحمل الكنانة، وهي الجعبة التي يضع فيها السهام

<sup>(١)</sup> الفلاشندى، صبح الأعشى، ج 2، ص 149. لمشاهدة صورة للسيف انظر: الشكل رقم 2 الملحق ص 180.

<sup>(٢)</sup> الطرسوسى، التبصرة أرباب الألباب، ص 4-5.

<sup>(٣)</sup> الطبر: لفظ فارسي معناه الفأس . دهمان، الألفاظ المملوكية، ص 45.

<sup>(٤)</sup> الطرسوسى، التبصرة، ص 15. لمشاهدة البلطة والدبوس انظر: الشكل رقم 3 في الملحق ص 181.

<sup>(٥)</sup> الفلاشندى، صبح الأعشى، ج 2، ص 151.

<sup>(٦)</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 151. لمشاهدة القوس انظر: الملحق ص 182-183.

<sup>(٧)</sup> الطرسوسى، التبصرة، ص 6-11. لمشاهدة صورة للرمح انظر: الشكل رقم 5 الملحق ص 184.

<sup>(٨)</sup> الفلاشندى، صبح الأعشى، ج 2، ص 149.

وتكون من جلد أو خشب<sup>(1)</sup> ومما تميز به الجندي المملوكي قدرته الفائقة على استخدام النشاب وإصابة هدفه بدقة<sup>(2)</sup>

## 2- الأسلحة الجماعية:

ويقصد بها تلك الآلات والأسلحة التي يديرها أكثر من شخص واحد نظراً لنقلها وصعوبة نقلها وأولها المنجنيق<sup>(3)</sup> وهو آلة من الخشب لها دفتان قائمتان، بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسفافه على أعلىه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه وما أصاب شيئاً إلا أهلكه<sup>(4)</sup> والمنجنيقات أنواع منها العربي المبين، وهو أثقل مصنوعاتها وأوثق معمولاتها ومنه التركي وهو أقلها كلفة وأحصرها مؤونة ومنها الفرنسي أو الرومي، وأفضل الأخشاب لصناعة المنجنيق من خشب القراصيا فان لم يتوفّر بحثوا عن خشب قريب العقد متوسط كالأرز وما شاكله<sup>(5)</sup> وذكر نوع آخر هو المنجنيق المغربي والذي تعلم المماليك صناعته<sup>(6)</sup> . ومن أهم ما يلاحظ في استخدام المنجنيقات، هو أن النظام العسكري المملوكي اعتمد عليها بشكل كبير خاصة في حروبهم ضد الصليبيين، لأن فترة المماليك كانت تحرير المدن المحتلة من قبل الصليبيين معظمها كانت محصنة مما يجعل للمنجنيقات دوراً كبيراً في اقتحام جذور الصليبيين من أرض الشام، فلا يكاد أي حصار لأي مدينة صلبيّة في العهد المملوكي إلا ودكت المنجنيقات، حتى أن السلاطين

<sup>(1)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 151.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج، ص 28.

<sup>(3)</sup> المنجنيق: بفتح الميم أو كسرها وهو القذف الذي ترمي به الحجارة دخيل أعمى معرب وأصله بالفارسية من جي نيك أي ما اجودني وهي مؤنثة. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 338. وودر في البداية والنهاية أن أول من صنع المنجنيق هو رجل من الأكراد يقال له هزن، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 1، ص 146. انظر الأشكال 7-8-9 في الملحق ص 185-186.

<sup>(4)</sup> الفاشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 152. وقد ذكر الفاشندي قصة أول استخدام للمنجنيق بان قوم سيدنا إبراهيم حينما أشعلوا ناراً كثيفة صعب عليهم الاقتراب منها وإلقاء سيدنا إبراهيم فيها فتمثّل لهم إبليس برجل وأشار عليهم بفكرة المنجنيق وورد في وفيات الأعيان أن أول من وضع المنجنيق هو جنديمة الأبرش ملك العرب ولد الحيرة وذكر قصة أن إبليس هو صاحب فكرته حين أرادوا إحراق سيدنا إبراهيم، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 7، ص 45-46.

<sup>(5)</sup> الطرسوني، التبصرة، ص 16.

<sup>(6)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 6، ص 329.

المماليك كانوا يتبعون صناعة المجنحقات الكبيرة حول المدن المحاصرة بأنفسهم<sup>(1)</sup>، وقد كانت المجنحقات ذات غرضين سواء في الهجوم أو الدفاع، ففي حصار المدن نصب بشكل كبير لدرجة أنه كان ينصب عشرات المجنحقات لفك المدن المحاصرة، وفي حصار البيرة نصب سبعة عشر مجنحقي<sup>(2)</sup> وفي ثغر الإسكندرية نصب مئة مجنحقي لحمايتها<sup>(3)</sup> والمنجنيق تحتاج صناعته إلى خشب من نوع خاص ليتحمل الضغط وإلى لوالب وحبال يجذب بها وحجارة بأشكال محددة لتفاوت، وبحسب مهارة الصناع يكون قوة المنجنيق<sup>(4)</sup>، كما أن المجنحقات كانت تستخدم أيضاً بالإضافة إلى قذف الحجارة كانت تُقذف النار، وصنع منها ما يشبه المدفع بعد ذلك حتى أنه في سنة 840هـ ، 1349م كان لدى الجيش المملوكي المكافحة التي تجرها العجلات، ويقصد بها المدفع<sup>(5)</sup> وكانت تسمى مكافحة البارود وهي المدفع الذي يرمي فيها بالنفط ويصنع المدفع من نحاس ورصاص ويصل مداه بعيداً<sup>(6)</sup> أما عن مؤثرات ظهور البارود واستخدامه على الإستراتيجية للنظام العسكري المملوكي فإننا نجد أنه كانت هناك جذور عميقه لهذا الاستخدام كما أوضح الكثير من المؤرخين بحيث كان نقطة تحول هامة في حروب المماليك وبالنسبة للعالم كله من حيث تطويرها، ومن الثابت تاريخياً أن أول من استخدم المدفع البارودية هم المماليك في معركة المنصورة<sup>(7)</sup> وفي ذكر النقوش كانت له قوة إحراق هائلة، وكان يصنع داخل الدولة المملوكية، وهو يصنع على نار هادئة ويقطر ويوضع عليه كبريت لتزييد في اشتعاله وكانت الإسكندرية مكاناً لاستخراجه وت تصنيعه، كما كانت تصنع المقدوفات بأحجام مختلفة منها ما يرمي

<sup>(1)</sup> المقريزي، السلوك، ج2، ص19-20.

<sup>(2)</sup> المنصورى، مختاراً للأخبار، ص29.

<sup>(3)</sup> المقريزي، السلوك، ج2، ص83.

<sup>(4)</sup> الفاطمي، صبح الأعشى، ج2، ص153.

<sup>(5)</sup> ابن أبا، العراك، ص88.

<sup>(6)</sup> الفاطمي، صبح الأعشى، ج2، ص153.

<sup>(7)</sup> نسيم، جوزيف، العدوان الصليبي على مصر، ص157.

بالمنجنيق ومنها ما يرمى بالنشاب، كما صنع المماليك نفط يمشي على الماء، يصلح لحرق المراكب ولا ينطفئ<sup>(1)</sup> ومن الأسلحة الوقائية الدبابات والأبراج والستائر وهي آلات تستخدم في ثقب الأسوار وما شابهها، وهي سترة للرجال يمكنها أن تحمي الرجل من حجارة المنجنيق المعادي حين يتقدمون لاختراق المسافة بين المكان الذي يقفون فيه للحصار وأسوار المدن المحاصرة ليدمروها<sup>(2)</sup> وقد وصل بيبرس ذات مرة إلى سور مدينة قيسارية وهي محاصرة من خلال دخوله في الدبابة لنقيه مقدوفات الأعداء<sup>(3)</sup> ويوجد الترسان (الدرع) وتكون كالحصن المانع من النبال لا يؤثر فيه شيء من السلاح وهناك ترس في باطنها قوس وبيد حامله سيف فيخرج سهم من نفس الترس فيقتل الخصم<sup>(4)</sup> والترس آلة ينقى بها الجندي الضرب والرمي وتسمى مجنة بضم الميم ويمكن أن تكون من خشب أو حديد<sup>(5)</sup> وأما الدروع والجواشن فهي زرديات يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها، تمنع وتكسر السيوف، وأما الجواشن فتؤخذ من جلد الإبل وتتقع في اللبن إلى أن ينقشر شعرها ويبنيض لونها<sup>(6)</sup> كما وجد الدرع وهو جبة من الزرد المنسوج يلبسها المقاتل لوقاية نفسه من السيوف والسيهام (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصلكم من بأسمكم)<sup>(7)</sup> كما استخدم المماليك المثلثات، وهي قطع حديدية دفاعية تلقى في طريق الأعداء وتكون بمثابة ألغام، ووصفها الطرسوسي بأنها مختلفة الصفات والضرور وبها تأمين العساكر إذا تكسشت، أي تأخر عنها المدد من الطلب وتمتنع بمكرها من التتبع والهرب، وهي سريعة النكایة بالأعداء فهي تسقط الخيول بمن عليها وتهلك من أصحابها وهي تلقى على الأرض التي

<sup>(1)</sup> الطرسوسي ، التبصرة،ص20-21.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه،ص18.

<sup>(3)</sup> المقربزي ، السلوك،ج2،ص18-20.

<sup>(4)</sup> الطرسوسي ، التبصرة، ص12-13.

<sup>(5)</sup> الفلشندى ، صبح الأعشى،ج2،ص152.

<sup>(6)</sup> الطرسوسي ، التبصرة،ص14

<sup>(7)</sup> سورة الأنبياء،آية80.

يسير عليها الأعداء، فتدخل في قدم الفرس فيقلب وراكبه الذي سيقع على أحد المثلثات الملقى على الأرض، وهي كيما تلقىها على الأرض تؤدي الغرض لأنها كيما وقعت تظل شوكاتها لأعلى لأنها من جميع الجهات مدبة وشوكية<sup>(1)</sup>

### الخيل:

الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيمة، والمقصود هنا الغزو والجهاد لأن الخيل هي الوسيلة المتوفرة والسريعة للوصول إلى الأعداء وقهرهم ونشر الإسلام والدفاع عن الثغور، وما ينتج عن ذلك من غنية<sup>(2)</sup> ومنفعة الخيل عظيمة لأن الجهاد لا يقوم ولا يقوى صاحبه إلا به كما أنه لا يمكن تغافل طرق مواصلات الجيش المملوكي وهي تعتبر من العتاد الحربي وأهمها الخيول وما يتعلق بها وهي النشاهير<sup>(3)</sup> والبرلس<sup>(4)</sup> والمروات<sup>(5)</sup> والأطلسي الخطابي<sup>(6)</sup> وقد كان الملوك يجهز الفرس بالسابق ليستطيعه، وحتى أثناء السلم كانوا يجهزون خيولهم ويتسابقون<sup>(7)</sup> وبالطبع فان ذلك لكي يبقى الجندي المملوكي متربساً ذا قدرة على خوض الحرب بأي لحظة وبأي ظرف، وما استخدم أيضاً كمستلزمات حربية للفرس الكنبوش<sup>(8)</sup> ويمكن أن يكون من الذهب الزركشي أو من المخايش وهي الفضة الملبوسة بالذهب أو من الصوف المرقوم<sup>(9)</sup> وأيضاً استخدمو المهماز وهو آلة من الحديد في رجل الفارس فوق كعبه فوق الخف ومؤخره إصبع محمد الرأس، إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت في المشي، ويمكن أن تكون من الذهب

<sup>(1)</sup> الطر سوسي، التبصرة، ص 20-21.

<sup>(2)</sup> العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، ص 57. أبجد العلوم، ج 2، ص 135.

<sup>(3)</sup> النشاهير: هي الأشرطة التي توضع حول الحصان. انظر المقريزي، السلوك، ج 2، ص 12.

<sup>(4)</sup> البرلس: هي السروج الحربية. انظر المقريزي، السلوك، ج 2، ص 12.

<sup>(5)</sup> المروات: هي قطع المعدن الذي يزان بها سرج الحصان. انظر المقريزي، السلوك، ج 2، ص 12.

<sup>(6)</sup> الأطلس: هو نوع من أنواع الحرير يصنع في تبريز. انظر المقريزي، السلوك، ج 2، ص 12.

<sup>(7)</sup> المقريزي السلوك، ج 2، ص 12.

<sup>(8)</sup> الكنبوش: تم تعريفها ص 69 حاشية رقم 7.

<sup>(9)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

المحض أو من الفضة أو من الحديد المطلي بالذهب<sup>(1)</sup> وقد حرص السلطان على اختيار أفضل وأجود أنواع الخيول، وألا يحضر منها العجفاء والعاجزة<sup>(2)</sup> وحتى جند الجيش المملوكي كانوا يركبون الخيل المرتفعة الأثمان<sup>(3)</sup>

### وأنواع الخيل ثلاثة:

النوع الأول: العراب وهي أفضلها وأعلاها قيمة وأغلاها ثمناً وتوجد في البلاد العربية  
النوع الثاني: العجميات تجلب من بلاد الأتراك ومن بلاد الروم وتمتاز بالصبر على المشي  
والسير.

النوع الثالث: المولد بين العراب والعمجيات وهي متوسطة بينهم<sup>(4)</sup>  
واشتهرت خيول قبيلة منها في الشام فقد بلغ سعر الفرس عندهم ستين وسبعين ألف درهم ومنها  
ما وصل مائة ألف درهم وكانت أكثر الخيول رغبة لقوتها<sup>(5)</sup> وقد جرت عادة سلطان المماليك  
على أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين في كل سنة، المرة الأولى عند خروجه عند مرابط  
خيوله في أواخر ربيعها فينعم على ممالike من الخيول على قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين  
منهم مسرجة ملجمة وخيول أمراء الطلبخانات غير مسرجة، و من غير قماش والمرة الثانية  
عند لعبة الكرة بالميدان وتكون خيول أمراء المقدمين الطلبخانات مسرجة ملجمة بفضة يسيرة،  
وكذلك يرسل إلى نواب المماليك الشامية كل واحد بحسبه ليس لأمراء العشرات في ذلك حظ إلا  
ما يتقدّم به على سبيل الإنعام، وحتى إن أكل الخيول الخاصة بالأمراء كان على حساب الدولة

<sup>(1)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 144.

<sup>(2)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 121.

<sup>(3)</sup> البيومي، النظم المالية، ص 55.

<sup>(4)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 17.

<sup>(5)</sup> المقريزي، السلوك، ج 3، ص 304.

فيرسل إليهم البرسيم و الشعير<sup>(1)</sup> وقد كانت الخيول سبباً في بعض الانتصارات أو الهزائم إن لم تتوفر، حيث أثرت غياب الخيول على الناصر حسن أحد سلاطين المماليك بالهزيمة سنة 762هـ/1361م أمام مملوكي يبلغ عمره، لأن الأخير حجز بين السلطان وخ يوله في مراعيها<sup>(2)</sup> وقد ظهرت إبداعات الجيش المملوكي في قيادة الخيول وخاصة في الحروب حيث كان الجندي المملوكي يلبس ما يحميه من الحرق ويلبس فرسه ما يحميه من الحرق، حيث كانت تطلى الملابس بمادة غير قابلة للاشتعال ثم يدخل الفارس بفرسه داخل جموع الأعداء حاملاً النيران والنفوط المشتعلة ليضرم النيران في أمتعة وملابس الأعداء فيحرقهم ولا يتأثر هو مما يجعل ليل الأعداء رعب ليس بعده رعب وكانت تلك الاقتحامات تحدث ليلاً في الظلام ليشتد اثر إرهابها<sup>(3)</sup>

### **القلاء والخطط الدفاعية:**

ليس فقط منوط بأي نظام عسكري الهجوم على الأعداء أو الرد على أي اعتداء خارجي، وإنما الوقاية مطلب هام يقع على عاتق أي نظام عسكري ناجح، ومن هنا كان أهم ما يميز الدولة المملوكية ونظامها العسكري أنظمة الحماية التي من شأنها إفشال أي هجوم بحيث لا يكون مفاجئاً ويفشل من حيث بدأ، وقد كانت الدولة المملوكية حريصة في هذا الشأن فاهتمت ببناء القلاء العالية وال حصينة<sup>(4)</sup> والسلطان المملوكي بنفسه كان يتبع التغور وتحصينها ومراقبة جهة البحر على الخصوص ويعاقب المقصرین والمهملين عقاباً عسيراً وكان من أولويات التجنيد

<sup>(1)</sup> الفلاشندي، صبح الأعشى، ج4، ص56.

<sup>(2)</sup> القرماني، أخبار الدولنة، ج2، ص288.

<sup>(3)</sup> الطرسوسي، التبصرة، ص22. ويمكن تشبيه استخدامهم للخيول بهذه الصورة بطائرة القصف F16 في العصر الحديث.

<sup>(4)</sup> ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص19. لمشاهدة القلاء انظر الصور في الأشكال رقم(12-13-14-15-16-17-18) في ملحق الصفحات 189-188.

ما يخص التغور بأمر من السلطان<sup>(1)</sup> وقد ذكر سلطان العلماء العز بن عبد السلام الذي كان من وجهة نظر الباحث المرجع الديني للنظام العسكري المملوكي منذ بداياته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه فغير قدمًا إن كان في الحراسة وإن كان في الساقية" وقال إن الحراسة في سبيل الله ضرب من الجهاد ثوابها على قدر نفعها وجدواها وطولها وقصرها، ولا يخفي ما للحراسة والرباط من نفع للمسلمين<sup>(2)</sup> وجاء ذلك التأكيد ليبين أن المرابطين فضل رباطهم حتى لا يعتقدون أنهم لا يجاهدون، أو أنهم مع القاعدين فالكثير من يعتقد أن الجهاد داخل أرض المعركة فقط والعز بن عبد السلام يؤكّد هنا أن الرباط له فوائد متعددة وربما يفوق جهاد أرض المعركة لأن الرباط يحمي أرض المسلمين ونفوسهم من الاعتداء المفاجئ، الذي يمكن أن يؤدي إلى خسارة بشرية فادحة وصعوبة في تحرير الأرض خاصة إن احتلتها الأعداء على حين غفلة وحصنوا أنفسهم فيها وكثيرة هي شواهد التاريخ التي خسر فيها المسلمون أرواحا وأرضاً بسبب عدم مراقبة تغورها منذ البداية، وإن عملية التحصينات والقلاع لم يخترعها المماليك وإنما هي عرف عسكري منذ القدم حرص عليه كل من خشي على أرضه ونفسه وقد سبق النظام العسكري المملوكي نظاماً عسكرياً لا يقل استعداداً في الدفاع عن أرض المسلمين، حيث ورث المماليك العديد من القلاع والحسون التي شيدوها الأيوبيون<sup>(3)</sup> وكان المماليك يعتبرون تعمير القلاع التي يخر بها المغول وخاصة في الشام من أولوياتهم وأولويات نفقات الدولة من خلال ديوان الجيش والإقطاع والغنائم<sup>(4)</sup>

<sup>(1)</sup> العسقلاني، الفضل المتأثر، ص122.

<sup>(2)</sup> البخاري، صحيحه، باب الجهاد والسير، 2673. العز بن عبد السلام، أحكام الجهاد، ص40.

<sup>(3)</sup> سالم، سحر، دراسات في تاريخ مصر، ص220.

<sup>(4)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص23-24.

وكان أول ما يبدأ من تقسيم الغنائم بإخراج مؤونة الحفاظ على التغور<sup>(1)</sup>. ومن القلاع التي خربها المغول وعمرها المماليك قلعة دمشق والسلط وعجلون وصرخد وبعلبك وشizer والصبية وقلعة شميس وحمص فعمروها كلها ونظفوا خنادقها ووسعوا أبراجها وشحنتها بالعتاد وعمروها بالأجناد وخزنوا بها الغلات والأزواد<sup>(2)</sup> وهناك عدة قلاع أخرى عما سبق ذكره، مثل بهنسا وإياس واللاذقية وأذنة وطرسوس وصفد القدس والرحبة والبيرة والرها وعين تاب وحلب<sup>(3)</sup> أما طرابلس وحمة فلم يكن بهما قلعة<sup>(4)</sup> ومن القلاع التي اكتسبت أهمية كبيرة لدى المماليك والسلطان نفسه، قلعة دمشق التي كانت تعتبر قلعة رئيسة في الشام وكان السلاطين يشرفون على تعميرها بأنفسهم<sup>(5)</sup> وقد اشتهرت عدة قلاع أخرى إضافة إلى قلعة دمشق بأنها رفيعة القدر مثل قلعة صفد وقلعة حلب<sup>(6)</sup> وقد اشتهر حصن الكرك<sup>(7)</sup> من بين أشهر الحصون وأعجبها وامنها ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف بحصن الكرك من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد ومدخل دهليزيه كذلك، وبهذا الحصن كان يتحصن الملوك واليه يلجأون في النواصب، وله لجأ الملك الناصر لأنه ولد الملك وهو صغير السن حتى اشتدت قوته ورجع إلى ملكه<sup>(8)</sup> حيث أن بيبرس الجاشنكير أراد قتل الناصر محمد ليفرد بالحكم دون منازع، لكن هروب الناصر محمد إلى الكرك ومناعة هذه القلعة سمح للأخير بتجمیع قواه وعودته إلى مصر، وبذلك استرد الحكم وبقبض على سلار شريك بيبرس الجاشنكير في الحكم

<sup>(1)</sup> ابن النحاس، مشاريع الأسواق، ص1036.

<sup>(2)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص23-24. انظر عبد المنعم صبحين الشرق الإسلامي زمن المماليك، ص35.

<sup>(3)</sup> الفلاشندى، صبح الأعشى، ج9، ص254.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(5)</sup> القرمانى، أخبار الدول، ج2، ص271.

<sup>(6)</sup> الفلاشندى، صبح الأعشى، ج9، ص253.

<sup>(7)</sup> انظر الشكل رقم 17 في الملحق ص 188.

<sup>(8)</sup> ابن بطوطه، ج1، ص129.

وحبسه في بئر حتى مات وقتل بيبرس الجاشنكير، وبذلك يمكن القول أن الكرك كانت منيعة لمن لجأ إليها<sup>(1)</sup> ومن اشتهر من السلاطين بإصلاح القلاع وبناء الجديد منها السلطان برقوق<sup>(2)</sup>

ومن القلاع التي بناها السلطان برقوق قلعة في خانيونس سميت باسمه<sup>\*</sup> حيث جعل لها سورا وعمل داخلها بئر ماء ومخازن وإسطبلات ومنازل وثكنات، وكان برقوق قد كلف أمير جيوشه يونس النوروزي دوادار ببنائها<sup>(3)</sup> واشترك في بناء قلاع دولة المماليك كل طبقات الدولة من الجيوش والمهرة، وحتى أسرى الحرب من الأعداء، كما كانت النساء تشاركن في بنائها<sup>(4)</sup> ومن الجدير بالذكر قيام المماليك بتحصين قلاعها بكمال العتاد وبعض القلاع كان يتم تحصينها بعشرات المنجنيقات وخاصة في المدن التي تقع على التغور<sup>(5)</sup> وكانت الحصون والقلاع التغورية تحظى بزيارات دورية للسلاطين المماليك، الذين أولوها اهتماماً ورودها بكل الإمكانيات الدفاعية ووفروا فيها الأمان الغذائي والأموال الازمة لذلك، ومن المدن التي اهتم فيها سلاطين المماليك بيت المقدس والخليل في فلسطين ودمياط والإسكندرية ورشيد بمصر لأنها مدن ثغورية<sup>(6)</sup> ومن حصانة القلاع في العهد المملوكي أنها ذات أسوار عالية منيعة ولها أبواب ذات مفاتيح تفتح بالنهار وتغلق بالليل وتسلم المفاتيح لإدارة القلعة ولا تفتح إلا وقت الضرورة أو لضيف كبير المقام<sup>(7)</sup> وكان سكان المدن في الشام لهم دور كبير في الدفاع عن قلاعهم بشكل لا

<sup>(1)</sup> ابن بطوطة، ج 1، ص 129.

<sup>(2)</sup> السلطان برقوق: هو برقوق بن انس بن عبد الله الجركسي العماني أحضره الخواجا عثمان من بلاد الحركس وباعه إلى يليغا الكبير فسماه برقوق لنتوء عينيه وبالاصل كان اسم برقوق الطنبغا. ابن العماد الحنفي، شذرات الذهب، ج 4، ص 6.

\* انظر: صورة القلعة الشكل رقم 14 في الملحق ص 188.

<sup>(3)</sup> الطباع، عثمان، إتحاف الأعزاء في تاريخ غزة، ص 334-355.

<sup>(4)</sup> زين الدين، المنشآت التجارية في دمشق في العصر المملوكي، ص 37-39.

<sup>(5)</sup> المقربي، السلوك، ج 2، ص 83.

<sup>(6)</sup> العيد روسي، النور السافر، ص 17.

<sup>(7)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 128.

يقل عن الجيش، وخاصة سكان دمشق حيث فاق دفاع أهلها عنها دفاع الجيش المملوكي نفسه<sup>(1)</sup> وكانت الحصانة تتطلب بناء سور عال ضخم واستغلال البيئة الطبيعية المحيطة بالمكان من بحر أو نهر أو جبال، والمناطق المفتوحة كان يحفر فيها خندق حول المدينة<sup>(2)</sup> وكان أسلوب حراسة القلاع له نظام صارم يكلف به جنود ملتزمون، وينبع الإخلال بالحراسة لأي سبب كان سواء داخل القلعة أو على أبوابها أو على أسوارها ومتابعة السجون داخل كل قلعة كان له أهمية بالغة خوفاً من هروب السجناء أو استغلالهم من قبل الأعداء في فتح أبواب القلعة كما وكان ينتشر داخل كل قلعة دوريات راجلة لمراقبة الأسوار والشوارع<sup>(3)</sup> وربما كانت القلعة برجاتها وعتادها لا تستطيع مواجهة العدوان الخارجي، ولكنه في النظام العسكري المملوكي لا يطلب القلعة بالانتصار وإنما يطالبها بالصمود ريثما تصل القوات المساعدة من الجيش المملوكي ويُرد المعتدين، وكان على القلعة أن تصمد ضد أي عدوان خارجي مدة زمنية تساوي المدة الزمنية التي ستصل فيها القوات المساعدة ويمكن تقدير هذا الزمن بما يساوي تجهيز الجيش من مصر وانطلاقه ووصوله وربما يستغرق ذلك مدة أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

<sup>(1)</sup> السيد حكيم، قيام دولة المماليك ص 136.

<sup>(2)</sup> المنصوري، مختار الأخبار، ص 23-24.

<sup>(3)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، نص 119.

## **الفصل الرابع**

### **أهم المعارك التي خاضها الجيش المملوكي**

#### **أولاً: معركة عين جالوت**

- المغول** -
- قطر** -
- أرض المعركة وزمانها** -
- مقدمات المعركة والفرق الاستطلاعية** -
- أحداث المعركة** -
- نتائج المعركة** -
- مطاردة فلول المغول** -

#### **ثانياً: حروب المماليك مع الصليبيين**

- الحرب في عهد بيبرس** -
- الحرب في عهد أسرة قلاوون** -

## أولاً : معركة عين جالوت

يصادف الباحث عقبات عسيرة عند محاولته دراسة تاريخ المغول، حيث إن سيرة القبائل البدوية تبدو كأنها حكايات غير منظمة وغير متتسقة لأن تاريخها مضطرب، مما يجعل من المستحيل التماس خيط واحد يضم هذه القبائل بأسرها<sup>(1)</sup> ، فالأحداث الداخلية والحرروب التي نشبت بين القبائل كانت من العوامل المضللة لأي باحث، أضف إلى ذلك ما أحاط بالتاريخ المبكر للمغول من الغموض والاختلاط بالأساطير ، فضلاً عن الافتقار إلى السجلات والوثائق التي تبين الحقائق عن المغول<sup>(2)</sup>، ولذلك من الصعب إيجاد حقيقة ثابتة عن المغول قبل ظهور جنكيز خان<sup>(3)</sup> فلم يظهر قبل جنكيز خان شخصيات بارزة أو زعماء مشهورون ولذلك يعتبر جنكيز خان هو البداية الواضحة التي من خلالها سيتم البحث عن المغول وعلاقتهم بالغزو للعالم الإسلامي حتى غزو بلاد الشام خاصة إذا ما عرفنا أن طبيعة الحياة الاجتماعية والأسرية للتتر تختلف في كثير من الخصائص عن باقي الشعوب والمجتمعات ، فالتتر لا يعيشون في أرض واحدة ففي الشتاء يتقللون إلى السهول الدافئة لكي يجدوا مراعي لمواشيهم وفي الصيف يرتحلون إلى الجبال الباردة لتوافر الماء والخضراء<sup>(4)</sup> والواحد منهم يتزوج الكثير من النساء مما يجعل نسلهم كثير والنساء اللاتي يرتبطن برجل واحد تسود بينهن المحبة والولئام ولا غيرة بينهن وهن مخلصات لأزواجهن ولا توجد الفاحشة التي تعتبر جريمة كبرى بين المجتمعات المغولية،

(1) السيد الباز العربي،المغول،ص.21.

(2) المرجع السابق،ص.21-22.

(3) جنكيز خان: هو ابن بيسوكي بن بهادر بن تومن بن برتبيل خان بن توهنيه بن بادسنقر بن تيدوان ديوم ابن بغاين الان قوا وهي امرأة من قبيلة التتر وحملت بثلاث ذكور بعد وفاة زوجها بينهم جنكيز خان ولما أرادوا قتلها ادعت أن تورأ من السماء دخل فرجها فصدقوها ولذلك أطلقوا عليهم النورانيين وبيدو انها اخترعت تلك الخرافية لإنقاذ نفسها من الموت. انظر الفاقشندي،صبح الأعشى،ج4،ص310.

وهو أول من وحد المغول بجيش منظم وكانت وفاته سنة 624هـ-1226م وظل ملكه خاليا لمدة ستين إلى أن تولى ملكاً غيره، انظر:الهداني،جامع التواریخ،ص28 وجنكيز خان اسمه تيموجین وكانت ذا سطوة ومهابة وحزم ودهاء وخيرة في الحروب وكان كريماً محباً لعلوم الأولئ، انظر الحنبلي،شذرات الذهب،ج3،ص316. ابن قاضي شهبة،طبقات الشافعية،ج1،ص230.

انظر الشكل رقم22 في الملحق ص191.

(4) الهداني،جامع التواریخ،ص33.مارکوبلو،رحلات،ص137.

والنساء لهن دور كبير في الأعمال، فهن مطالبات بتوفير احتياجات الحياة مع زوجها لأن الرجال منشغلون بالحروب والصيد، وللزوجة الأولى المكانة الكبرى ولأولادها أيضاً حيث يرث الولد الأكبر من الزوجة الأولى نساء أبيه ما عدا أمه<sup>(1)</sup> والمغول يؤمنون بإله له طبيعة سماوية ويحرقون له البخور ولهذا الإله زوجة وأبناء ويسعنون تمثلاً في بيوتهم لـإلههم المزعوم، ويذكر أنهم يجيدون استخدام القوس أكثر شيء في سلاحهم ويرتدون دروعاً من جلد الجاموس وهم شجعان في المعارك لا يخافون الموت، وهم قساة القلوب ولا يفوتهم شعب على وجه البسيطة في التحمل والجلد على الشدائـد ويمكن أن يبقى الواحد منهم على فرسه يومين كاملين لا ينام خلالها<sup>(2)</sup> ومن قوانينهم أنهم يعاقبون السارق بالجلد، أما إذا استطاع تسديد تسعه أضعاف المسروقات يعفى عنه، وهم يحبون بعضهم كثيراً لدرجة أنهم يزوجون أبناءهم وبناتهم المتوفين ويحرقون عقد الزواج وبعض الهدايا لتطهير كالدخان لتصل لأرواح المتوفين، ويصبح بعد ذلك آباء وأمهات المتوفين مصاہرين ويزورون بعضهم البعض لأن أبناءهم على قيد الحياة<sup>(3)</sup> وهم لا يحملون في حربهم المؤمن إنما يعتمدون على لبن الجمال والخيول وأحياناً يمتصون دماء الخيول من أورادتها ويجفون اللبن بعد نزع الزبدة منه وخلال حربهم يضعوا المجف في قربة ماء صغيرة ويتذرون عليه<sup>(4)</sup>، ويستخدمون في حربهم الخديعة فهم لا يواجهوا أعداءهم مباشرة وإنما يحومون حولهم ويطلقون عليهم السهام ويتظاهرون بالهروب وحين يلحق بهم أعداءهم يضربون عليهم السهام أثناء هروبهم، حتى يظن أعداءهم أن التيار هزموا ثم يهاجمون أعدائهم

<sup>(1)</sup> ماركوبلو، رحلات، ج 1، ص 138-140.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 142-143. يبدو أن ماركوبلو قد تأثر بعلاقاته الطيبة مع التتار لما كان بينه وبينهم من الود فانعكس ذلك على أن يصبح مسوقاً وإعلامياً بارعاً لصالح المغول لأن كلامه يبدو عليه الكثير من المبالغة، فهو رحالة إيطالي رافق الحملات المغولية المهاجمة لدول العالم الإسلامي وظهر تعاطفه مع المغول وحقيقة على الدول الإسلامية حيث يصف أحد الوزراء العرب (بالقرى المنحرف) انظر: ماركوبلو، رحلات، ج 2، ص 222.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 146-147.

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 144. انظر الشكل رقم 23 في الملحق ص 191.

بعدما ينهكوه بسهامهم ويتخذوهم أسرى وبهذه المناورات حقووا انتصارات كثيرة، وكانت أي حملة عسكرية للمغول تتضمن مائة ألف جندي منظمة بحيث يكون لكل عشرة جنود ضابط وكل عشرة ضباط ضابط وهكذا، وبذلك فالجيش كله منضبطة ومرتب<sup>(1)</sup> ومن أهم مواطنهم الصين وأطرافها، ومنهم من يسجد للشمس عند طلوعها وهم لا يحرمون شيئاً ولا يحصون كثرة<sup>(2)</sup> وكان جنكيز خان بعد أن ثبت ملكه في الداخل وقضى على مناوئيه من التتار واخضع بلاد الصين يرحب في التوجه غرباً نحو بلاد الإسلام ليضمها إلى مملكته وعجل بتحقيق هذه الرغبة قيام علاء الدين خوارزم شاه<sup>(3)</sup> بقتل جماعة من تجار التتار وغزو بلادهم<sup>(4)</sup> وكانت العلاقات بين الدولة الخوارزمية والمغول علاقة سلمية ومهادنة حتى وقفت حادثة مقتل التجار المغول وحينها أرسل ملك المغول يطلب من الخوارزميين تسليم القتلة لكن الخوارزميين رفضوا ذلك<sup>(5)</sup> وعلى الرغم من أن بين خوارزم شاه وببلاد التتر مسيرة سنة، لأنهم كانوا يسكنون في صحاري برية وأودية داخل الصين، إلا أنه في سنة خمسة عشرة وستمائة خرج السلطان خوارزم شاه في جيش ضخم لا يحصى، واستغل انشغال جنكيز خان بحروبها واستطاع سبي نساء التتار<sup>(6)</sup> فرجع المغول ليدافعوا عن بلادهم واشتد القتال، فقتل من الفريقيين خلق كثير، حتى أن الخيول كانت تنزلق في الدماء وكانت جملة من قتل من المسلمين عشرين ألفاً ومن التتار أضعف ذلك، ثم انسحب الخوارزميين وحصنوا المدن الإسلامية وكان من سوء تدبير السلطان الخوارزمي أنه

<sup>(1)</sup> ماركوبولو، رحلات، ج1، ص143.

<sup>(2)</sup> ابن العماد الحنفي، شذرات الذهب، ج3، ص65. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص83.

<sup>(3)</sup> علاء الدين خوارزم شاه: هو السلطان الأعظم لل المسلمين محمد بن تكش وكان ملكاً واسعاً عظمت هيبته بين المسلمين وأذعن له العبيد وقهروا الناس كلهم وكان فاضلاً كريماً حليماً وكان له عشرة آلاف مملوك كل منهم يصلح للملك وكانت عساكره عدد الجيش لا يعرف اولها من آخرها فتجبر وطغى. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج1، ص330. بعد هزيمته على يد التتار هرب فاسروا زوجته وبناته وظل المغول يطاردونه من مدينة لأخرى إلى أن هرب إلى قلعة حصينة في جزيرة في بحر طيرستان وظل بها حتى مات. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج1، ص338.

<sup>(4)</sup> الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص30.

<sup>(5)</sup> ابن العماد الحنفي، شذرات الذهب، ج3، ص61.

<sup>(6)</sup> الحموي، التاريخ المنصوري، ص83.

فرق عساكره في الأقاليم ، مما جعل جيشه في كل مكان، مما يصعب جمعهم لاتساع البلاد  
 فاستطاع بذلك التتار إلهاق الهزيمة بال المسلمين مرة ثلو المرة، واستغلوا في ذلك تشتت الجيش  
 الخوارزمي في المدن مما جعلهم هدفاً سهلاً للجيش المغولي<sup>(1)</sup> ونتيجة لذلك الحروب استطاع  
 التتار أن يقتلوا من المسلمين في قزوين<sup>(2)</sup> وحدها أربعين ألفاً وفي مرو<sup>(3)</sup> سبعمائة ألف مسلم  
 ناهيك عن قتل المسلمين في البلاد والمدن الأخرى، حتى وصل الأمر إلى أن قضوا على الدول  
 الإسلامية في الشرق كله ووصلوا ببغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وكانوا سبباً في زوالها وقتل  
 ثمانمائة ألف مسلم في بغداد وحدها، وفي حلب بعد ذلك خمسين ألف مسلم<sup>(5)</sup> وقد عرف عن  
 الجيش المغولي أنهم كثيرو العدد يصبروا على الجلد وشجاعان ويقتلون باللبس الذي لا يستر  
 العورة وبالأكل الذي لا يشبع، ويصبرون على العطش والحر والبرد ويقاتلون مهما كان أعداءهم  
 أقوياء<sup>(6)</sup> وهذا ما جعل منهم جيشاً له مهابة في نفوس المسلمين، مما كان سبباً في الهزائم  
 المتلاحقة التي مني فيها المسلمون، بل أنهم كانوا يطعون قادتهم طاعة العباد لطاعة رب  
 العالمين<sup>(7)</sup> مع فارق التشبيه، حتى أن جيش المغول حين يجرون يأكلون لحم البشر وأي نوع  
 من أنواع الحيوانات بل ويأكلون العلف الجاف<sup>(8)</sup>

<sup>(1)</sup> السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 1، ص 334-338.

<sup>(2)</sup> قزوين: هو أول ما يوالى الصين والمسلمون بها أعزه وحاكمها كافر. رحلة ابن بطوطة، ج 2، ص 649. هي مدينة حسنة وهي ثغر لبلاد الجبل وبينها وبين الري 90 ميل. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 2، ص 678.

<sup>(3)</sup> مرو: هي مجموعة بلاد مثلكثمين وباشان وبها نهر كبير وهي قريبة من خوارزم. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 2، ص 695. هي مدينة كبيرة في مستوى من الأرض بعيدة عن الجبال أرضها فسيحة كثيرة الرمل وأبنيتها من الطين وفيها ثلاثة مساجد ولها قصبة بها مياه كثيرة ونهر عظيم هو نهر مرغاب. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 476.

<sup>(4)</sup> الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص 31-34.

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه، 38-37. الجبرتي، عجائب الآثار، ج 1، ص 29.

<sup>(6)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 92.

<sup>(7)</sup> السبكي، طبقات الشافعية، ج 1، ص 330.

<sup>(8)</sup> الهمданى، جامع التوارىخ، ص 37.

وقد التزم المغول بقوانين دستور وضعه لهم ملکهم جنكيز خان، فكان بمثابة الشرع والدين وكان اسمه الياسا<sup>(1)</sup> يرجعون له في كل أمور حياتهم<sup>(2)</sup> ومن قوانين الياسا أن من زني يقتل، ولم يفرق بين محصن وغير محصن ومن لاط قتل، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس أو دخل بين اثنين يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال على الماء أو على الرماد قتل، ومن مر على قوم يأكلون ولم يجعلوه يأكل معهم قتلوا جميعاً، ومن لم يساعد زميله في إعطائه سلاحه إذا وقع منه في أرض المعركة قتل الذي لم يساعد، كما جاء في الياسا ضرورة احترام آل البيت وأهل العلم والفقهاء والأطباء وتعظيم الملل ومنع تعصب ملة على أخرى، وأن الأشياء طاهرة ولا يغسل الثياب حتى يبلى، وأن يحمل الجندي كل ما يلزمته، وعلى نساء العسكر القيام بأعمال أزواجهن نيابة عنهم لأنهم مشغولون في الحروب وكل النتر متساوون لا ألقاب بينهم حتى كبارهم وملکهم وكان التزامهم باللياسا كالالتزام المسلمين بالقرآن<sup>(3)</sup> مع الفارق وكان الجيش المغولي لا يأبه بأي معيقات أو صعوبات مهما كانت ، فذات مرة لم يجدوا سفناً لتحملهم عبر نهر جيحون<sup>(4)</sup> فصنعوا أحواضاً يحملون عليها الأسلحة فكان أحدهم يرسل فرسه في النهر ويأخذ بذنبها فتجره الفرس في الماء وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر<sup>(5)</sup> وكان يتم اختيار الجيش من الأشداء والأكثر صلابة والأكثر طاعة والأحرص على النصر ، واستخدمو البريد السريع وكانوا يستخدمون أسرى الحرب كدروع بشرية ، وفي إحدى معاركهم كان جيش المغول عشرين ألفاً والأسرى خمسين ألفاً ويجعلونهم بالمقدمة ليتقوا السهام

<sup>(1)</sup> الياسا: كلمة مغولية تعني السياسة وهي كتاب جمع به قوانين ليسير عليها المغول وضعها لهم جنكيز خان. الفاقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص314.

<sup>(2)</sup> السبكي، طبقات الشافعية، ج1، ص330.

<sup>(3)</sup> المقريزي، الخطط، ج2، ص220-221. الفاقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص314-315.

<sup>(4)</sup> نهر جيحون: هو أحد أنهار الجنة الأربعية وهو يجدم في أوان البرد ويسلك الناس عليه وتنقى مدة جموده خمسة أشهر. رحلة ابن بطوطة، ج1، ص401.

<sup>(5)</sup> يمكن لأي جيش أن يعبر فوق هذا الماء خلال الخمسة أشهر دون مراكب وهي الفترة التي يكون فيها البحر ذا سطح صلب

<sup>(5)</sup> السبكي، طبقات الشافعية، ج337-338. الصياد، المغول، ص366. يذكر أن الصياد هو مترجم كتاب جامع التواريخ من الفارسية إلى العربية.

وكانوا يستغلونهم لحفر الخنادق<sup>(1)</sup> وقد كان هناك عشرة آلاف فارس من الجيش التترى عرفوا بالحذر واليقظة وشدة البأس، الواحد منهم يكون على مرتبة قائد الألف رجل في الفرق الأخرى وهؤلاء هم الحرس الخاص، وقد وصل اعتناء المغول بالجيش أن كان التجنيد الإجباري من سن أربعة عشر سنة إلى ستين عاما، وكان أساس الترقية هي الكفاءة والطاعة وكان المغول يقسمون الجنود إلى قلب وجناحين أيسر وأيمن وقوات الوسط من فرق أمامية وأخرى خلفية ولأن الفرق الأمامية تتعرض للهجوم كان جنودها يلبسون دروعاً كاملة ويحملون القوس والنشاب ، وأي جندي يغير مكانه يقتل ويُعاقب من ساعده على تغيير مكانه<sup>(2)</sup> وما سبق يتضح مدى كفاءة وخطورة الجيش المغولي أنه ليس من السهل التصدي لهم وصدتهم، خاصة إذا علمنا ما آل إليه حال المسلمين من تفرق وضعف وهو ان على الناس، وبعد تمكن المغول من البلاد الإسلامية ، حتى أنهم وصلوا إلى بلاد الشام بعد القضاء على مركز الخلافة العباسية، بدأت العلاقة بين المغول والنظام العسكري المملوكي.

<sup>(1)</sup> ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 337. الصياد، المغول، ص 366.  
<sup>(2)</sup> الصياد، المغول، ص 360-361.

في عام 658هـ/1260م وصلت رسالة التهديد المغولي من قبل هولاكو ونصها "إلى المظفر سيف الدين قطر المعزي، الذي هو من جنس الترك الذين هربوا من سيفنا.. إننا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، فسلموا إلينا تسلموا من قبل أن تندموا وقد سمعتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد فلهم الهرب ولنا منكم الطلب فمن طلب حربنا ندم....."<sup>(1)</sup>

وكان آنذاك قد استطاع قطر اعتلاء السلطنة، والذي كان أكثر الأمراء جدارة بهذا المنصب ف فيه من الصفات وله من الانجازات والنجاحات ما يؤهلة لاعتلاء العرش<sup>(2)</sup> وهو ثالث ملوك الترك بمصر تولى يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة<sup>(3)</sup> وقد كان سياسياً حكيناً وقاداً بارعاً تولى الحكم في ظروف قاسية إذ كان مطلوب منه أن يوحد الداخل ليواجه أقوى هجمة وهو بالأصل من خوارزم<sup>(4)</sup> والاسم الحقيقي لقطر هو محمود بن ممدوه، وأمه أخت السلطان جلال الدين سلطان خوارزم شاه، وقد وقع قطر في الأسر وهو لم يتجاوز بعد السادسة من عمره، وذلك بعد سقوط دولة خوارزم شاه بيد التتار ومنذ ذلك الحين أصبح قطر من الرقيق بياع ويشتري في أسواق النخاسة، وظل كذلك حتى اشتد ساعده عند أحد التجار بدمشق<sup>(5)</sup> وعرف عن قطر ، المواظبة على الصلاة والشجاعة والوقوف عند محارم الله<sup>(6)</sup> وقد عمل قطر أميراً في عساكر المماليك وكان رئيس المماليك المعزية واشترك في قتل أقطاي أحد

<sup>(1)</sup> الفرمانى، أخبار الدول، م، 2، ص 269.

<sup>(2)</sup> المنصورى، التحفة الملوكية، ص 41.

<sup>(3)</sup> المقريزى، السلوك، ج 1، ص 507.

<sup>(4)</sup> خوارزم:إقليم يقع في المجرى الأسفل لنهر جيحون ويكون دلتا خصبة. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 63.

<sup>(5)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 78. اليونىنى، ذيل مرآة الزمان، م، ص 368. الذهى، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 200-201.

<sup>(6)</sup> المقريزى، السلوك، ج 1، ص 520. اليافعي، مرآة الجنان، ج 4، ص 149. أبو شامة، ترجم رجال القرنين، ص 210.

أمراء المماليك المنافسين لأبيك مما جعل أبيك يقربه منه ويعينه بمنصب هام، هو أتابك العسکر<sup>(1)</sup> وكان قطز قد قتل أقطاي بعد أن استدرجه لقصر السلطاني لكثره إفساده وبغيه على الناس<sup>(2)</sup> وتولى الحكم في مصر بعد خلع المنصور ابن أستاذه وكان صبياً والوقت صعب ولا بد من وجود رجل شجاع ينتصب للجهاد، فسلطن قطز ولقب بالمظفر وكان التتار آنذاك قد قطعوا الفرات ووصلوا حلب ودمشق<sup>(3)</sup> فلما وصلت رسالة المغول المشار إليها إلى قطز، وكان بصحة الرسالة خمسة من رسل المغول أمر قطز بقتل أربعة منهم وعلق رؤوسهم على أبواب القاهرة<sup>(4)</sup> ثم جهز جيش المماليك واستعان بالشيخ العز بن عبد السلام في شحذ الهم، وقد أخبره الشيخ بأن يجمع ما في أيدي الأمراء المماليك، ومن ثم يجمع من العامة ما يعينه على تجهيز الجيش من أمواله، فوافق قطز ونجح في تجهيز الجيش وانتصر في معركة عين جالوت على التتار<sup>(5)</sup> كما سيوضح ذلك لاحقاً وتنتهي حياة هذا السلطان أثناء عودته إلى مصر بعد الانتصار، فقد وثب عليه بعض الأمراء وعلى رأسهم بيبرس وقتلوا في الصالحيه في السادس عشر من ذي القعده سنة ثمان وخمسين وستمائة<sup>(6)</sup> وحقيقة أنه من الصعب معارضه هذا الرأي بأن بيبرس هو قاتل قطز لأن الكثير من المؤرخين كما سبق الإشارة ذكروا قصة قتل قطز وإن لم يكن بيبرس قاتله فمن الذي قتله؟ ولماذا لم يبحث عن قاتليه؟ وعلى الرغم من أن المسلمين لا يرغبون في أن يكون بيبرس قاتله إلا أن التاريخ يحكم على الأمور بما هو مثبت في مصادر التاريخ.

<sup>(1)</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص200-201. المقرizi، السلوك، ج1، ص515.

<sup>(2)</sup> المقرizi، السلوك، ج1، ص483.

<sup>(3)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص11.

<sup>(4)</sup> القرماني، أخبار الدول، ج2، ص269-270.

<sup>(5)</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص201. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج1، ص475.

<sup>(6)</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص200-201. اليونى، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص370-371. المقرizi، السلوك، ج1، ص519.

## **أرض المعركة وزمانها:**

لقد واجهت قطر بعد توليه السلطة عدة معضلات منها غياب ظل الخلافة العباسية، الذي كان يمكن أن يجمع كلمة المسلمين لجهاد التثار تحت قيادته، كما واجهت قطر قضية تفرق الإمارات الإسلامية، وأيضاً عدم رضا بعض الأمراء المماليك أنفسهم على توليه السلطة حيث إنهم كانوا لا يرغبون في تولي قطر عليهم لأنه ليس الأكبر أو الأجر من وجهة نظرهم، ولذلك نجده قد استغل فرصة خروج الأمراء إلى الصيد لخلع الطفل المنصور ابن عز الدين أيبيك<sup>(1)</sup> كما تم ذكره آنفاً وتتجذر الإشارة هنا إلى أن قطر كان قد استشار بعض الأمراء المخلصين<sup>(2)</sup> ولم يكن قراراً فردياً وقد كان القرار بوقت كانت الأمور في غاية الخطورة، حيث إن المغول قد اقتربوا من مصر آخر معاقل المسلمين القوية على وجه الأرض، وبالنسبة للمعضلة الأولى فقد تمكّن قطر من تجاوزها من خلال إحلال دور العلماء بدلاً من الخلافة وتمثل ذلك باستعانته بشيخ العلماء العز بن عبد السلام الذي لم يتأخّر في إظهار المساندة لقطر، حيث إنه جعل المؤسسة الدينية آنذاك التي قد حظيت بتقة المسلمين مرافقة لقرار السياسي ولم يتردد في الطلب من قطر أن يأمر جنود وأمراء دولته بوضع أملاكهم وذهبهم وثرواتهم تحت إمرة تصرف بيت المال قبل أن يقوم قطر بجمع المال اللازم لتجهيز الجيش من الناس، ففعل قطر وجعله أمراً نافذاً<sup>(3)</sup> مما كان له الأثر البالغ في نجاح النظام العسكري المملوكي في إعداد العدة للحرب الفاصلة، أما بالنسبة للمعضلة الثانية وهي تجميع الأمراء وخاصة الهاوبين من مصر بعد مقتل أقطاي، خاصة ببيرس فقد استطاع قطر التعامل معهم من خلال مسامحته لهم وسماحه لهم بالعودة إلى مصر، بل وأقطعهم الإقطاعات وحلف لهم بأنه لن يمسهم بسوء فدخل

<sup>(1)</sup> القرماني، أخبار الدول، م2، ص268-269.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>(3)</sup> السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، ص215.

بيرس إلى القاهرة يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة، فركب قظر لقائه وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قصبة قليوب<sup>(1)</sup> وبالفعل كان قظر على قدر كبير من الكفاءة والحكمة وكان لديه من رجاحة العقل والحنكة السياسية ما مكنه من تجميع الأمراء حوله واستغلال كل ما يمكن استغلاله، وقبل وصول الجيش الإسلامي المملوكي أرض المعركة استطاع قظر التعامل مع المسالة الصليبية، حيث كانوا آنذاك يسيطرون على معظم مدن الساحل ، وكان قظر يدرك مدى ما يمكن أن يشكله الصليبيون من خطورة خاصة وأن جيشه سيتحرك بجوار المدن المحتلة من قبلهم، فاستطاع قظر استغلال ما حدث في صيدا على يد المغول حيث قام المغول بارتكاب مجازر ضد صليبي صيدا ولذلك أدرك الصليبيون أن التتار وبعد أن يتمكنوا من المسلمين لن يرحموهم، فمصيرهم مرتب بنتائج المعركة الفاصلة بين التتار والمسلمين وبالنسبة للصلبيين فقد تعودوا على حروب المسلمين واستمر بقاءهم في الساحل ، وفي حال انتصار التتار على المسلمين، فإن مصير الصليبيين لن يكون أفضل حالاً وإن الفرصة سانحة للمصالح المشتركة ولذلك فقد أرسل قظر سفارة إلى عكا لتنفق مع الصليبيين للسماح للجيش الإسلامي بالمرور من تلك النواحي التي يسيطر عليها الصليبيون وعدم التعرض لها فوافق الصليبيون ، بل وعرضوا مساعدتهم لقظر الذي اكتفى بقبول الاتفاق بعدم التعرض لجيشه أثناء مروره بمناطق النفوذ الصليبي<sup>(2)</sup> وكان قظر في ذلك محقاً، حيث لا يمكن لقائد مسلم أن يرکن لأعدائه المتربيسين في معركة فاصلة وحاسمة حيث كانوا أعداء الأمس وحتى أن كثيراً من صليبي الساحل انضموا إلى جيش التتار في معركة عين جالوت<sup>(3)</sup> وبالفعل كان للاتفاقية مع الصليبيين دور كبير في تأمين الجيش الإسلامي، ومن المهارات التي تحلى بها قظر

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 101.

<sup>(2)</sup> ابن دمقاق، الفتحة المسكية، ص 50..

<sup>(3)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص 43.

أنه استطاع تحويل النظام العسكري المملوكي من مجرد جيش بعتاد إلى جيش يتحلى بالإيمان، فكانت حرباً مقدسة بالنسبة لل المسلمين<sup>(1)</sup> ومن خلال الاستعانة بالعلماء أمثال الشيخ العز بن عبد السلام كان له عظيم الأثر في نفوس الجنود، فقد استطاع قطع أن يلهب مشاعر المقاتلين وروحهم بكلامه الصادق، مما جعل لدى الجنود والأمراء قناعة بأهمية القتال حتى أن جنوده كانوا ي يكون من شدة تأثيرهم بخطب قطع<sup>(2)</sup> وما سبق يتضح مدى الصعب التي واجهت قطع قبل اللقاء الفاصل، وخاصة قوة المغول نتيجة للإرهاب المغولي الذي وصلت ذروته بقتل مئات الآلاف في بغداد وإسقاطها، وهي عاصمة أكبر وأطول خلافة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية حتى وصل المغول إلى دمشق وبعض البلدان الشامية ومن ثم وصلوا إلى غزه<sup>(3)</sup> حتى أن هولاكو حينما وصل إلى دمشق سنة 658هـ/1260م ليلة الاثنين التاسع عشر من صفر ومن ثم توجه إلى حلب وسيطر عليها وقام بقتل الكثير من سكانها<sup>(4)</sup> وقد تم الإشارة إلى قوة المغول وإمكاناتهم، وما يذكر في تلك المرحلة الأحداث الداخلية التي ألمت بالمغول من فتن ونزاع على السلطة بين الحكام المغول، مما أوقع بينهم العداوة<sup>(5)</sup> وكان لذلك أثر في ضعف معنويات المغول وخاصة بعد رجوع هولاكو إلى عاصمته وترك الجيش تحت قيادة كاتبغا<sup>(6)</sup> وقد خطا قطع خطوة إستراتيجية بما فعله برسالة جاءوا برسالة<sup>(7)</sup> تحمل في طياتها الكثير من الترهيب والتقييم بال المسلمين وذكر أفعال المغول بال المسلمين وقوتهم وجبروتهم، وبالفعل

<sup>(1)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص 43.

<sup>(2)</sup> المقرizi، السلوك، ج 1، ص 516.

<sup>(3)</sup> اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م 1، ص 351. السبكي، طبقات الشافعية، ج 8، ص 215. المقرizi، السلوك، ج 1، ص 508-511. انظر: عبد المنعم ، الشرق الإسلامي، ص 31.

<sup>(4)</sup> الصافي، تحفة ذوي الألباب، ص 161. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 220-221.

<sup>(5)</sup> الذبيحي، الأمصار ذوات الآثار، ص 39-40.

<sup>(6)</sup> كاتبغا: أحد قادة المغول قتل في معركة عين جالوت حيث قتله الأمير جمال الدين أقوش. ابن تغري، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 344. وقد كان كاتبغا يعتمد في حربه ضد المسلمين أشياء لم يسبقه فيها أحد إليها فكان إذا فتح بلد ساق مقاتلة هذا البلد من الأسرى للبلد الذي يليه ويطلب من أهل تلك البلد أن يروا هؤلاء الأسرى حتى يزيد أعباءهم من الطعام والشراب ويزيد ضائقتهم فتقصر مدة الحصار. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 226.

<sup>(7)</sup> لقراءة نص الرسالة انظر المقرizi، السلوك، ج 1، ص 514. القرماتي، أخبار الدول، م 2، ص 269-270. ابن دقمق، النفحة المسكية، ص 48.

فإن من يقرأ الرسالة يجد فيها ما تشعر له الأبدان. وكانت إستراتيجية قطر تنم عن قدرته وشجاعته، التي كان من شأنها تقوية نفوس المسلمين، حيث قام بإعدام الرسل فأعدمهم على أبواب القاهرة فأعدم الأول بسوق الخيل والثاني بباب زويلة والثالث بباب النصر والرابع بالريدانية<sup>(1)</sup> وأبقى على أصغر هؤلاء الرسل واتخذه مملوكاً له<sup>(2)</sup> وكان إبقاء الصبي خطأً فادحاً لأن هذا الصبي حاول اغتيال قطر فيما بعد خلال معركة عين جالوت، حيث أطلق سهماً على قطر فأخطأه وأصاب فرس قطر فقتله<sup>(3)</sup> ومن المهم ذكر المكان والزمان الذي حددهما قطر للقاء الفاصل، حيث تلخصت الإستراتيجية العسكرية المملوكية في اختيار أسلوب جديد في المواجهة، وهو لقاء العدو في غير المأمول فالمنغول لم يتعودوا أن يخرج لهم المسلمين قبل ذلك، وإنما كان المسلمون يتحصنون في مدنهم ليواجهوا المغول مما كان له أثراً بالغاً في هزيمتهم كل مرّة، وأما قطر فقد قرر التوجه بجيشه للقاء المغول في المناطق التي كانوا فيها فكان اللقاء في شمال فلسطين بعين جالوت<sup>(4)</sup> وهي أرض ذات طبيعة سهلية وتحيط به الجبال التي يمكن استغلالها، كما أن قطر حدد الزمان، الذي أيضاً كان فيه من العبرية العسكرية ما يفيد بان المغول أصلاً من أراضي شرق آسيا التي تتصف بالبرودة الشديدة، وأما أرض فلسطين فإنها ذات حرارة عالية في شهر أغسطس من كل عام<sup>(5)</sup> كما أن قطر اختار العشر الأواخر من رمضان المبارك الذي يكون فيه المسلمين في أقصى درجات الإيمان<sup>(6)</sup> وربما كان قطر يقصد ذلك الموعد، فقد أراد لقاء التتر وهو الذي بادر وكان بإمكانه أن ينتظر إلى وقت آخر، لكن خروجه لشمال فلسطين يدلّ أنه قصد أن يكون اللقاء في

<sup>(1)</sup> ابن دنقاق، النفحة المسكية، ص49. القرماني، أخبار الدول، م2، ص269-270.

<sup>(2)</sup> المقربي، السلوك، ج1، ص516.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج1، ص516.

<sup>(4)</sup> الذهبي، العبر، ج5، ص243.

<sup>(5)</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص220.

<sup>(6)</sup> المصدر السابق، ج13، ص220-221.

العشر الأواخر، بل وفي السابع والعشرين أي في ليلة القدر، وبذلك فقد وضع قطز الإستراتيجية العبرية التي مكنت المسلمين من سحق المغول، لأول مرة بعد انتصاراتهم المتتالية.

### مقدمات المعركة والفرق الاستطلاعية:

فبعد استيعاب الجيش المملوكي للقائد بيبرس أحسن استغلاله، فكلفه بالمهمة الصعبة التي تعتبر أهم ركيزة من الركائز التي ستعتمد عليها المعركة كلها، فمهمة بيبرس تتلخص في الاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو وإمكاناته وتحديد واستكشاف أرض المعركة واستئراف العدو من خلال المناوشات، التي من خلالها يمكن وضع تصور كامل للحالة العسكرية للعدو وللمكان في نفس الوقت وبعد عودة بيبرس إلى مصر أدرج بمقدمة الجيش المملوكي لتحسس أخبار العدو وناوشهم بالقتال في غزة وتمكن من الانتصار عليهم واسترداد غزة منهم<sup>(1)</sup> وظل يناوشهم حتى استدرجهم للمنطقة التي حددتها القائد العام قطز وهي منطقة عين جالوت<sup>(2)</sup> ومن المهم هنا تسجيل نقطة هامة، هي الارتباك في صفوف الجيش المغولي حيث استطاع النظام العسكري المملوكي أن يستكشف الأرض وكان صاحب المبادرة، بعكس المغول الذين كانوا في غفلة من أمرهم حتى أعتقدوا أن الفرقة التي كان يقودها بيبرس هي الموجودة فقط، وأنها كل الجيش المملوكي في حين كان يتحرك قطز بين الأحراش ويخطط بباقي الجيش ليستدرج جيش المغول إلى أرض المعركة عين جالوت، وهذا ما لم يكن بحسبان الجيش المغولي<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 101. المقريزي، السلوك ج 1، ص 515.

<sup>(2)</sup> اليوناني، ذيل مرآة الزمان، م 1، ص 366.

<sup>(3)</sup> اليوناني، ذيل مرآة الزمان، م 1، ص 366. ابن تغري بردين النجوم الظاهرة، ج 7، ص 101. انظر : عاشور، الظاهر بيبرس، ص 32. العسلى، المطفف قطز، ص 123-125. صالح، الطريق إلى القدس، ص 147. فوزي، الوسيط، ص 220.

## **أحداث المعركة:**

بعد إعدام رسل المغول في مصر وإعلان النفيير العام خرجت طلائع الجيش المملوكي بقيادة بيبرس إلى غزة، وتمكنـت من تحريرها وطاردت الجيش المغولي حتى وصلوا إلى كاتبغا الذي لم يهتم كثيراً لنتائج الهزيمة لفقدانه الزائدة بجيشه الذي لم يهزم من قبل، أما بالنسبة للمسلمين فقد كانت دفعة معنوية كبيرة، وفي الجانب الآخر كان قطـر يعرف ما يريد لكنه آثر أن يتـخذ قرار المواجهة من أفواه الأمـراء لـكي يكونـوا أكثر حماساً، فعقد اجتماع لمجلس الحرب المكون من الأمـراء وبعد المداولـات أشار بعض الأمـراء بعدم المواجهة لما للـمـغـولـ من قـوـة يصعب صـدـها وأن مواجهـتهم تعتبر انتـحارـاً عـسكـرياً<sup>(1)</sup> وتـكلـمـ قـطـرـ عن اـحـتمـالـاتـ المـواجهـةـ وـعدـمـ المـواجهـةـ وـبـيـنـ أنـ المـواجهـةـ لـهـاـ اـحـتمـالـانـ، إـماـ النـصـرـ أوـ الـهـزـيمـةـ بـشـرـفـ، وـأنـ الفـارـارـ هوـ هـزـيمـةـ بـدونـ شـرـفـ فأـيدـ رـأـيـهـ بـعـضـ الأمـراءـ وـخـالـفـهـ الـبعـضـ وـهـنـاـ اـتـخـذـ قـرـارـ الحـربـ وـالمـواجهـةـ وـقـالـ "ـوـأـنـاـ الـقـيـ"ـ التـارـ بنـفـسيـ<sup>(2)</sup>ـ وـأـعـدـتـ الخـطـةـ العـسـكـرـيةـ الـأـولـيـةـ الـتـيـ اـعـتـمـدـتـ عـلـىـ خـروـجـ الفـرـقةـ الـخـاصـةـ بـقـيـادـةـ بيـبرـسـ لـلـاستـطـلاـعـ وـالـمـناـوشـةـ وـاسـتـدـرـاجـ جـيـشـ المـغـولـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـتـيـ سـتـقـعـ عـلـيـهاـ المـعرـكـةـ الفـاـصـلـةـ، وـتـقـدـمـ قـطـرـ بـبـاـقـيـ جـيـشـ وـكـانـ جـيـشـ قـطـرـ يـبـلـغـ عـشـرـةـ آـلـافـ فـارـسـ وـهـمـ خـلـيـطـ منـ مـصـرـ وـالـشـامـ وـالـأـكـرـادـ وـسـائـرـ الـعـرـبـانـ<sup>(3)</sup>ـ وـمـنـ نـقـاطـ ضـعـفـ الـمـغـولـ أـنـهـمـ لـاـ يـجـيـدونـ قـتـالـ الرـماـحـ بـالـمـطـاعـنةـ، وـإـنـهـ لـاـ حـيـلةـ لـهـمـ إـلـاـ النـشـابـ، وـأـيـضاـ التـارـ يـقـاتـلـونـ كـرـدوـسـاـ وـاحـداـ وـيـضـمـوـنـ كـلـ فـرـقـهـمـ وـيـحـمـلـوـنـ عـلـىـ جـانـبـ وـاحـدـ مـنـ جـيـشـ الـمـسـلـمـينـ<sup>(4)</sup>ـ

<sup>(1)</sup> السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج 1، ص 475.

<sup>(2)</sup> المقريزي، السلوك، ج 1، ص 515.

<sup>(3)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 80.

<sup>(4)</sup> العسقلاني، الفضل المأثور، ص 72.

ومن هنا فقد أرسل لهم قطز فرقة بببرس التي كانت الطعم للجيش المغولي بأكمله فلحقوا بفرقته بببرس معتقدين أنها الجيش المملوكي كله<sup>(1)</sup> وفي الجانب الآخر كان المغول متربدين ما إذا كانوا سيواجهون أم لا؟ حيث أن كاتبغا استشار الأمراء الأيوبيين المتعاونين مع المغول وهم بدورهم أشاروا عليه بعدم المواجهة حتى يرجع هولاكو فأبى إلا أن يواجهه<sup>(2)</sup> وفي بداية المعركة انكسرت ميمنة المسلمين<sup>(3)</sup> لكن الجيش المسلم استطاع قتل كاتبغا نائب هولاكو وقائد الجيش المغولي في المعركة ورد الله المعذبين<sup>(4)</sup> وبعد المعركة ومطاردة فلول المغول أسر بعض قيادات المغول كما تم أسر العلامة والتعاونيين من المسلمين منهم الملك السعيد<sup>(5)</sup> صاحب الصبية وبانياس<sup>(6)</sup> ليلقى جزاءه<sup>(7)</sup> وبعد المعركة تم الإفراج عن أسرى المسلمين لدى المغول<sup>(7)</sup> وانتصر الإسلام حيث أن النصارى كانوا قد ألموا المسلمين الوقف للصلب في دمشق بعدها أخذها التتار<sup>(8)</sup> وكان لقطز داخل المعركة فضل كبير حين انكسرت ميمنة الجيش، وكاد الجيش كله ينسحب إلا أن قطز خلع خوذته وصرخ بأعلى صوته "وا إسلاماه" فسمع صرخته معظم جيشه فرجعوا وكانت النصرة<sup>(9)</sup> وأيضاً بببرس دور كبير سواء قبل المعركة أو بعدها حين تابع المغول إلى حمص وقتل وأسر منهم الكثير<sup>(10)</sup> وورد أن كاتبغا نائب هولاكو أسر في تلك المعركة ودارت بينه وبين قطز مناقشة حادة، وبعدها قام قطز بقتله<sup>(11)</sup> لكنه ومن

<sup>(1)</sup> اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م، 1، ص 366.

<sup>(2)</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 221-222.

<sup>(3)</sup> المقريزي، السلوك، ج 1، ص 516.

<sup>(4)</sup> الفلاشندى، ماثر الإنابة، ج 2، ص 105.

<sup>(5)</sup> الملك السعيد: هو الملك السعيد حسن بن عبد العزيز ابن العادل أبي بكر بن أيوب . ابن كثير ، البداية والنهاية، ج 13، ص 225.

<sup>(6)</sup> بانياس: هي تُغير بلاد المسلمين وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر حرر نهر الدين من الفرنج. ابن بطوطة، رحلة، ج 1، ص 209-210.

<sup>(7)</sup> اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م، 1، ص 366.

<sup>(7)</sup> الباعي، مرآة الجنان، ج 4، ص 162.

<sup>(8)</sup> المصدر نفسه، ج 4، ص 149.

<sup>(9)</sup> المقريزي، السلوك، ج 1، ص 516.

<sup>(10)</sup> اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م، 1، ص 366.

<sup>(11)</sup> الخالدي، المغول، ص 118.

خلال البحث نخرج بحقيقة، هي أن كاتبوا قتل أثناء معركة عين جالوت وكان ذلك سبباً في هزيمة المغول وتشتتهم وهروبهم من أرض المعركة، وأن من أسر هو ابن كاتبوا<sup>(1)</sup>

### نتائج المعركة:

لقد كانت معركة عين جالوت إحدى أكبر المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، تلك المعركة التي انتصر فيها المسلمين المملوكيون بقيادة قطز على التatars المغول بقيادة كاتبوا، كانت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ستمائة وثمانية وخمسون للهجرة<sup>(2)</sup> الموافق السادس من سبتمبر لسنة ألف ومائتين وستون ميلادية على الرغم من توفر عوامل النصر

للالمغول علمياً ومنطقياً، إذ تفوق المغول على الجيش الإسلامي<sup>(3)</sup> المملوكي في عناصر عدة :

\* الكفاءة والخبرة الواسعة نتيجة الحروب الكثيرة التي خاضوها قيادة وجندًا .

\* المعنويات العالية جدا لأنهم لم يهزموا من قبل .

\* التفوق الكبير في العدة والعتاد والأعداد .

\* الكفاءة العالية لسلاح الفرسان الذي تميز بكتورته وسرعة حركته وقدرته على تطبيق حرب الصاعقة والتي كانت إحدى السمات البارزة عند المغول .

\* التفوق الإداري للجيش المغولي حيث يمتلك قواعد قريبة وطرق إمداداته أقصر .

يبد أن المغول افتقروا في تلك المعركة إلى الكثافة وعناصر الاستطلاع، كما أن شعور السكان كان مناؤاً لهم فهم احتلال غريب، فقد خدعوا في معرفة الموقف الصحيح من الناحية الطبوغرافية ومن الناحية الديمografية أيضاً، ولم يستطع المغول تحديد وقياس قوة وعدد الجيش المملوكي، في حين كان قطز يضع مخططه بإحكام للإيقاع بجيش المغول بكلمه، وبذلك فإن

<sup>(1)</sup> اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م، 1، ص 366.

<sup>(2)</sup> ابن العماد ، شذرات الذهب، ج 3، ص 291.

<sup>(3)</sup> صالح، الطريق إلى القدس، ص 147.

معركة عين جالوت تعتبر من الناحية العسكرية نموذجاً لكمين كبير يقوم به جيش ضد جيش آخر<sup>(1)</sup> وبذلك استطاع المماليك الانتصار على المغول الذين ولوا الأدبار وبعد تلك المعركة لم تقم قائمة للمغول بعد أن ملکوا معظم المعمورة من الأرض، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وخربوا البلاد، وبعد أفعالهم الشنيعة تمكّن قطز بعد الانتصار من دخول دمشق بعد أن هرب المغول منها، وفي تلك اللحظات فرح المسلمون وانتقموا من النصارى الذين ساندوا المغول وتمردوا على المسلمين<sup>(2)</sup> وبعد أن اطمئن قطز للأوضاع الميدانية وتطهير البلاد من المغول عزم على العودة إلى مصر للمشاركة في الاحتفالات بالنصر العظيم في عين جالوت حيث إن القاهرة تهيأت لاستقبال الملك المظفر قطز وجشه المملوكي صاحب الانجاز التاريخي الهام ولكن بيبرس وبعض الأمراء اغتالوا قطز وهم بطريقهم للعودة إلى مصر<sup>(3)</sup> وبموت المظفر قطز تولى بيبرس السلطة وكان من نتائج تولي بيبرس إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة<sup>(4)</sup> وعلى الرغم من أن مقتل قطز وضع احتمالات الانقسام في صفوف الجيش المملوكي لأن قطز صاحب الفضل في انتصار عين جالوت، إلا أن ذلك لم يحدث وبقيت الأمور على عكس التوقعات وكان بيبرس ذا قدرة عالية على ضبط الأمور وتنمية الدولة داخلياً وخارجياً، فقد استطاع بيبرس تقوية الجيش المملوكي، الذي استطاع أن يبني تحالفات غير اعتيادية مع أمراء من المغول، حيث تحالف مع بركة<sup>(5)</sup> ضد هو لا كو<sup>(6)</sup> وكان برقة خان قد أسلم وتحالف مع بيبرس لمقاتلة هو لا كو<sup>(7)</sup> وكان في كتابه لبيبرس قد أكد على محاربة هو لا كو<sup>(8)</sup>

<sup>(1)</sup> العسلاني، المظفر قطز، ص 123-125.

<sup>(2)</sup> اليوناني، ذيل مرآة الزمان، م 1، ص 362. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 3، ص 29.

<sup>(3)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص 45. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 3، ص 291.

<sup>(4)</sup> السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 47.

<sup>(5)</sup> برقة: هو ابن بطحوان كان إسلامه سنة 662 هـ، أرسل كتاباً إلى بيبرس مخبراً بإسلامه. انظر: المنصوري، التحفة المملوكية، ص 52.

<sup>(6)</sup> المقرizi، السلوك، ج 1، ص 560.

<sup>(7)</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 539.

<sup>(8)</sup> المنصوري، التحفة المملوكية، ص 52. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 242.

وحتى كيخيتو ابن هولاكو<sup>(1)</sup> كان له ميل نحو المسلمين<sup>(2)</sup> وكان لبيبرس مواقف إستراتيجية، حيث أنه استطاع كسب ود هؤلاء الذين أسلموا فقد أرسل لهم الهدايا وأكرم رسلاهم وشجعهم على جهاد الكفار في الشرق<sup>(3)</sup> وكان إسلام قادة المغول مثل بركة خان كيخيتو وأغا تكدار<sup>(4)</sup> له دور كبير في إسلام العامة من المغول طوعاً أو كرهاً<sup>(5)</sup> وقد عمل قادة المغول على نشر الإسلام بين صفوف رعيتهم، وقد حملت دعواتهم الكثير من المفاهيم الإسلامية التي تحت على العدل والمساواة وضرورة القضاء على الظالمين والمفسدين<sup>(6)</sup> وقد كان إسلام المغول أمراً غير مستغرباً في ظل عدم وجود دين سماوي بينهم، حيث إن من كان منهم على النصرانية مكرروا للأمراء المغول الذين أسلموا حتى أنهم اغتالوا أحمد بن هولاكو لأنه أسلم<sup>(7)</sup> أما عامة المغول فقد كانوا بلا دين مما ساعد على افتتاحهم بالإسلام.

كما أن من نتائج معركة عين جالوت وتأثيراتها الانهيار المعنوي، ومن ثم الوعي للوجود الصليبي في الشام وسواحله، حيث استطاع النظام العسكري المملوكي ابتداءً من ببرس وحتى الأشرف خليل بن قلاوون أن يحرروا كافة المدن الإسلامية من الصليبيين، ففي عهد ببرس استطاع أن يحرر معظم المدن الساحلية<sup>(8)</sup> واستمرت الفتوحات في عهد قلاوون الذي حرر ما لم يستطع تحريره صلاح الدين الأيوبي نفسه<sup>(9)</sup> إلى أن جاء التحرير الكامل وانقطاع الإفرنج وزوال ملوكهم حيث طرد آخر صليبي من عكا على يد الأشرف خليل بن قلاوون<sup>(10)</sup>

<sup>(1)</sup> كيخيتو: لم يعثر على تعريف بهذه الشخصية ويُعتقد أنه أحمد وقد غير اسمه بعد إسلامه حسبما ورد سابقاً.

<sup>(2)</sup> الصوفي، أعيان العصر، ص 1864. الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 191.

<sup>(3)</sup> المنصوري، التحفة الملوκية، ص 71.

<sup>(4)</sup> أغا تكدار: تسمى بأحمد وهو ابن هولاكو حفيد جنكيز خان وقام بتغيير الياسة وراسل المسلمين حتى بصالحهم. ابن الفرات، ج 8، ص 3-4.

<sup>(5)</sup> ابن الفرات، ج 8، ص 4-3.

<sup>(6)</sup> الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 75-76. المنصوري، التحفة الملوکية، ص 36. الذهبي، الأمصار ذات الآثار، ص 40.

<sup>(7)</sup> ابن الفرات، ج 8، ص 3-4.

<sup>(8)</sup> المنصوري، التحفة الملوکية، ص 61-62. ابن نقمق، النفحة المسكية، ص 67. القرماني، أخبار الدول، ج 2، ص 270. ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص 61. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 155.

<sup>(9)</sup> ابن الفرات، ج 8، ص 17-18.

<sup>(10)</sup> العليمي، الأنس الجليل، ج 3، ص 393.

## **مطاردة فلول المغول:**

### **صد هجمات مغولية عبر العصر المملوكي:**

بعد معركة عين جالوت تفرق المغول في بعض المدن الشامية ، فكان بيبرس لهم بالمرصاد حيث لحق بهم في كل مكان ، فتوجه إلى حلب و طهّرها منهم ، وكان قطز قد وعده بها ولما لم يف بوعده بها أضمر له الشر<sup>(1)</sup> فالنقار الذين نجوا من عين جالوت والذين كانوا بالجزيرة تجمعوا وأغاروا على حلب ثم توجهوا إلى حمص لما بلغهم مصرع الملك المظفر قطز فصادفوا على حمص ألف وأربعمائة من الجيش المملوكي وكان النقار ستة آلاف فالتقوا بهم وحمل المسلمين حملة صادقة فكان النصر حليف المسلمين ووضعوا السيف في الكفار قتلاً حتى أبادوا أكثرهم وهرب مقدمهم بأسوأ حال ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد<sup>(2)</sup> ويبدو أن النقار اعتقادوا أنه بمقتل قطز دبت الفتنة بين المسلمين، لكن الواقع أن هزيمة عين جالوت كان لها الأثر البالغ في رفع الروح المعنوية لدى المسلمين وانكسارها لدى النقار، ومما لا شك فيه أن إسلام بعض قادة المغول كما تم ذكره كان له أثر بالغ في ضعف المغول بشكل عام، حيث بقيت الهجمات المغولية مستمرة لكنها كانت تبوء بالفشل وتنهزم أمام المسلمين ففي عهد الملك المنصور قلاوون تقدم النقار سنة 1280هـ/680م لحرب المسلمين في حمص واستطاع قلاوون قتل معظم رجال المغول وشرد الباقي ولم يتقدم على النقار هزيمة أشد من هذه<sup>(3)</sup> وقد كان هناك بعض الهزائم للMuslimين المماليك وخاصة أمام هجمة تيمورلنك<sup>(4)</sup> حيث بعدما سمع

(1) ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص291. الذهبي، الأمصار ذات الآثار، ص39.

(2) ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص296.

(3) الذهبي ، الأمصار ذات الآثار، ص40.

(4) تيمورلنك: حكم سمرقند وما والاها وبلاد الشت و كان ذا دهاء ومكر وهو من ذرية جنجر خان . ابن تغري، النجوم الظاهرة، ج11، ص209. وكان تيمورلنك يعمل لدى السلطان حسين الذي أحبه وانعم عليه حتى صار من جملة الأمراء وتزوج بأخت السلطان حسين ولما عايرته في إحدى مشاكلهم قتلها وهرب وكون جيشاً واستولى على بلاد ما وراء النهر. ابن تغري، النجوم، ج12، ص256.

ال المسلمين أن أسيرين من المسلمين شواهم التتار كالغم، والثالث أطلقوا سراحه ليتحدث بما شاهد فذعر المنصور وهرب هو وجشه إلى مصر من دمشق، فواجهه أهل دمشق لوحدهم الجيش التتاري ولم يستطيعوا دخول دمشق إلا بالحيلة، حيث أن تيمورلنك أرسل لعلماء المسلمين في دمشق أنه يحترم الإسلام وأنها أرض الأنبياء فخدعوا وسلموا له دمشق<sup>(1)</sup> وفي سنة 702هـ/1303م عاد التتار إلى الشام وفرّ الناس والتقي الجيش المملوكي بقيادة الناصر في شقحب<sup>(2)</sup> واستبسّل المسلمون وصبروا حتى انتصروا وانهزم المغول، لكنهم سرعان ما وجهوا حملة كبيرة بقيادة غازان<sup>(3)</sup> فالتحقوا مع الناصر وأوقع بهم الهزيمة وقتل منهم مقاتلة عظيمة لا تدخل تحت الحصر، والتتار الفارين أهلكهم الجوع والغرق ومات قائدتهم غازان كمداً على ما حل بجنبه<sup>(4)</sup> وفي سنة 699هـ / 1300م انهزم الجيش المملوكي في عهد السلطان الناصر محمد في حكمه الثاني ووقعت المعركة بالقرب من دمشق على يد المغول بقيادة قازان، ولما رجع الناصر منهزاً أعاد ترتيب صفوفه وعاودا الكراهة وهزم المغول وعاد منتصراً<sup>(5)</sup> وقد كانت هزيمة المماليك مدوية وكانت كسرتهم خلال هروبهم أكثر وأعظم أثراً من كسرتهم من التتار، حيث كان العربان يتخطفونهم ويسرقونهم أثناء عودتهم إلى مصر<sup>(6)</sup> ففي عهد الملك الناصر وقعت حروب كثيرة مع المغول وكانت النصرة للملك الناصر محمد عليهم خلال فرات حكمه

<sup>(1)</sup> القرماني، أخبار الدول، م2، ص300.

<sup>(2)</sup> شقحب: لم يعثر على تعریف لها ولكنها إحدى المدن الشامية القريبة من حلب وكان بها قلعة ووقعت بها معركة بين التتار والمسلمين وانتصر فيها المسلمين. ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص135. ابن خلدون، العبر، ج5، ص565. ابن كثير، ج14، ص23. وقد ورد أن معركة شقحب كان قادتها من العلماء وفي مقامته الشیخ ابن تیمیة.

<sup>(3)</sup> غازان: أحد قادة المغول كان مسلماً على المذهب السنوي وجاء بعده أخيه خربندة الذي ترافقه بعدما كان سنياً. انظر الذہبی، الأمصار ذوات الآثار، ص41.

<sup>(4)</sup> الذہبی، الأمصار ذوات الآثار، ص41.

<sup>(5)</sup> القرماني، أخبار الدول، م2، ص280.

<sup>(6)</sup> المنصوری، مختار الأخبار، ص111-112.

الثلاث<sup>(1)</sup> وفي سنة 798هـ/1395م ظهر تيمورلنك الذي وحد التتار وخرب ديار المسلمين حتى وصل البلاد الشامية، لكنه سرعان ما عاد خوفاً من الملك الظاهر سيف الدين برقوق الذي رابط بجذبه عند حلب، وبعد موت برقوق زحف تيمورلنك مرة أخرى وتقابل مع المسلمين الذين فروا من أمامه وقتل منهم الكثير سنة 803هـ/1400م، ثم التقى مع جيش المماليك بقيادة فرج بن برقوق<sup>(2)</sup> الذي تحصن في جيشه بدمشق، ورجع هو إلى مصر لأنّه سمع أنّ أميراً استولى على ملكه، ولحسانة دمشق لم يستطع المغول النيل منها لكن تيمورلنك ادعى الإسلام وعرض الصلح على أهل دمشق ثم قتل أهالها<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> كانت فترة حكمه ثلاثة وأربعين سنة ونصف على ثلاثة فترات، المرة الأولى سنة وثلاث شهور والثانية عشر سنوات والثالثة اثنان وثلاثون سنة. انظر: ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص63.

<sup>(2)</sup> فرج بن برقوق: هو ثالث ملوك الجراكسة تولى بعد وفاة أبيه يوم الجمعة منتصف شوال سنة 801هـ. المكي، سبط النجوم العالى، ج4، ص42.

<sup>(3)</sup> الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص43-45.

## **فيما يتعلّق بالصلبيين: (الحرب في عهد بيبرس):**

لقد كان العداء بين المسلمين والصلبيين منذ بداية حملاتهم العسكرية على بلاد المسلمين سنة 492هـ/1096م وقد تصدى لهم المسلمون السلاجقة<sup>(1)</sup> في بداية الأمر ثم تصدت لهم الدولة الزنكية التي نشأ في كيانها البيت الأيوبي، حيث استطاع صلاح الدين الأيوبي تأسيس دولته في مصر بعد أن تصدى للصلبيين فيها، ومن ثم استطاع صلاح الدين تحقيق الانتصار الكبير في معركة حطين سنة 583هـ/1187م، وحرر الكثير من البلدان وعلى رأسها بيت المقدس من أيدي الصليبيين وظل الصراع محتدماً بين نصر وهزيمة خلال العصر الأيوبي إلى أن جاءت الحملة الصليبية السابعة، وقد تم الحديث عنها، وهي التي تصدى لها الملك الصالح نجم الدين أئوب آخر السلاطين الأيوبيين الأقوياء في مصر على يد مماليكه وعلى رأسهم الظاهر بيبرس، الذي كان له الدور الكبير في معركة المنصورة كما تم ذكره سابقاً، ومن هنا ظل بيبرس يدرك نوايا الصليبيين وأطماعهم في بلاد المسلمين ولذلك ظل هدفه غير المعلن القضاء التام على الوجود الصليبي، لكن انشغاله في بداية الأمر بالخطر المغولي جعله يرجئ حربه ضدتهم لوقت المناسب، ولابد قبل الخوض في فتوحات بيبرس ودوره في محاربة الصليبيين أن نتعرف عليه فهو تركي الجنس حكم سنة 658هـ/1260م، ومدة حكمه ثمان عشرة سنة وشهرين وكان بالأصل مملوكاً للأمير علاء الدين إيدكين البندقداري الصالحي<sup>(2)</sup> وحينما قام الصالح نجم الدين أئوب بالقبض على علاء الدين أخذ مماليكه وكان من ضمنهم الظاهر بيبرس<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> السلاجقة: مؤسسهم هو محمد بن ميكائيل بن سلوجوق طغرل بك وهو أول ملوكهم كان مصليباً يصوم الاثنين والخميس ملك أيام الأمير مسعود بن محمود عامة خراسان وقد استدعاه الخليفة إلى بغداد للتخلص من البوهيميين. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 90.

<sup>(2)</sup> علاء الدين: هو أحد مماليك الصالح نجم الدين أئوب اشتري بيبرس حين كان سجينًا ولقبه البندقداري نسبة إلى البندق وهي كرات صغيرة تستخدم في صيد الطيور وتصنع من الحجارة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 940.

<sup>(3)</sup> النعيمي، الدارس، ج 1، ص 264.

فهو أحد مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وهو الذي قام باغتيال تورانشاه ابن الصالح نجم الدين أيوب، حين أراد استئصال شأفة المماليك، وكان ذا دهاء وحيلة وعزيمة وحزم وكان عادلاً<sup>(1)</sup> وكان بيبرس خليقاً بالملك، له أيام بيضاء في الجهاد وفتح كثيراً من البلاد وهو الرابع من ملوك الترك<sup>(2)</sup> وكان شجاعاً مقداماً كثير التكر وهو الذي خرج على رأس الفرقة الاستطلاعية قبيل عين جالوت وأخرج المغول من غزة<sup>(3)</sup> وقيل في كثرة تخفيه وعلو همه شعراً:

في الشام للحج الشريف يقدس	بينما تراه في الحجاز إذا به
وتراه في مصر يذب ويحرس	وتراه في حلب يدبر أمرها
وتراه في غزو عليه الأطلس <sup>(4)</sup>	وتراه في حج عليه عباءة

وكانت وفاته في دمشق في الثامن عشر من محرم سنة 676هـ/1277م و عمره سبع وخمسون عاماً ودفن في دمشق، كان له ثلات أولاد وسبع بنات<sup>(5)</sup> وورد أن بيبرس أراد اغتيال بعض بني أيوب، فأمر خادمه بوضع السم في الكأس لهم، فغفل السافي ثم ملأ تلك الكأس وقد بقي فيها أثر السم وناولها للسلطان بيبرس فشربه من غير علم منه ولا من ساقيه، فكان فيه منيته ومرض لذلك أيام قلائل يشكوا انطلاق النار في جوفه إلى أن مات<sup>(6)</sup> وقد حرص بيبرس على فتح جبهتين في نفس الوقت، الأولى ضد التتار والثانية ضد الصليبيين، حيث لم يرى في زمانه ملكاً في عزمه وهمته وسعادته في تحرير حصون الفرنج من ساحل فلسطين إلى حدود بلاد الروم<sup>(7)</sup> وكان الصليبيون قد استولوا على معظم المدن الساحلية التي حررها صلاح الدين من قبل

<sup>(1)</sup> ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 94. القرماني، أخبار الدول، م 2، ص 272. المنصورى، مختار الأخبار، ص 12.

<sup>(2)</sup> ابن تغري بردين النجوم الظاهرة، ج 7، ص 86. السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 105.

<sup>(3)</sup> المقرizi، السلوك، ج 1، ص 515-520. أبي شامة المقسى، ترجم رجال القرنين، ص 210. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 155.

<sup>(4)</sup> المنصورى، التحفة الملوكية، ص 67.

<sup>(5)</sup> القرماني، أخبار الدول، م 2، ص 272. المنصورى، مختار الأخبار، ص 12.

<sup>(6)</sup> العسقلاني، الفضل المؤثر، ص 36. المنصورى، التحفة الملوكية، ص 86.

<sup>(7)</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 155.

فاستطاع بيبرس استعادتها وحرر البيرة<sup>(1)</sup> والكرك<sup>(2)</sup> وحمص وقيسارية وأرسوف وصفد ويافا والشقيف<sup>(3)</sup> وأنطاكيه وحصن الأكراد<sup>(4)</sup> وعكا وقلاعاً من بلاد سيس<sup>(5)</sup> في سنة 663هـ/1265م سار الظاهر بيبرس إلى الساحل ونزل قيسارية وحررها وقد كانت حصينة لكن بيبرس استخدم كل الوسائل وكل أنواع الأسلحة<sup>(6)</sup> ثم توجه إلى أرسوف واستعادها في سنة 664هـ/1266م واستعاد صفد ثم استعاد يافا واتفق مع الصليبيين على تقاسم صيدا<sup>(7)</sup> كما استطاع سنة 666هـ/1268م فتح أنطاكيه وهي من أهم المدن الصليبية<sup>(8)</sup> كما أنه تمكّن من استعاد عكا وأدنة<sup>(9)</sup> والمصيصة<sup>(10)</sup> وغيرها<sup>(11)</sup> كما حرر صور<sup>(12)</sup>

<sup>(1)</sup> البيرة: بلد من ثغور الروم بقرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة. الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 526.

<sup>(2)</sup> الكرك: هو من أعجوب الحصون وأمنعها وأشهرها ويسمى حصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه من الحجر الصالد ومدخل دهليزه كذلك وبهذا الحصن يتقدّم الملوك واليه يلتجأون. رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 129.

<sup>(3)</sup> الشقيف: شقيف أرنون وهي قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق. الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 356.

<sup>(4)</sup> حصن الأكراد: يبعد عن مدينة حمص أميال يسيرة وهو كاشف لحمص ويطل لها بالرمي والنيران. رحلة ابن حبير، ج 1، ص 182.

<sup>(5)</sup> الفلاشندى، ماثر الانافة، ج 2، ص 106-107. الترماني، أخبار الدوال، م 2، ص 270. ابن الوكيل، تحفة الأجباب، ص 61. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 3، ص 312. بلاد سيس هي أعظم مدن الثغور الشامية. الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 297-298.

<sup>(6)</sup> المنصورى، تحفة الملوکية، ص 53.

<sup>(7)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص 29-31. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 3، ص 321.

<sup>(8)</sup> المقريزى، السلوك، ج 1، ص 537. المنصورى، مختار الأخبار، ص 36.

<sup>(9)</sup> أدنة: تبعد عن طرسوس يوم واحد وفيها جسر بناء الوليد بن يزيد بن عبد الملك. الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 79.

<sup>(10)</sup> المصيصة: تبعد عن الإسكندرية أربعون ميلاً وأسمها بالرومية مامسترا وهي مدبتنان على نهر جيحان وبينهما قطرة من حجارة

وفيها بساتين وزروع متصلة وبينها وبين البحر 12 ميل. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 2، ص 646.

<sup>(11)</sup> ابن دقمان، النفحة المسكية، ص 67.

<sup>(12)</sup> المنصورى، تحفة الملوکية، ص 61-62.

## الحرب في عهد أسرة قلاوون:

"لقد أجمع الناس قاطبة ممن عاصروا المنصور قلاوون أنه لم يرد البلاد في جبات التجار أحسن منه ولا أكمل منه ولا أجمل ولا أئم خلقة ولا خلقاً ولا أصوب صمتاً ولا نطقاً ولهذا ازدحمت عليه عند وصوله وهو ابن أربعة عشر سنة أرباب الرغبات وبذلت فيه الألوف من الذهب فكان الألفي عامدة والألفي قيمة وأنه لأعلى وأغلى والبدرى صورة والبدرى سعراً وأن محله لأعلى، كان عظيم الوجه والجهة مزهراً اللون غليظ المنكبين تمام القامة مهاب الشخص لا يرى المتتبع في تمام خلق الله فيه من نقص" هكذا وصفه مؤرخ عصره<sup>(1)</sup> وإن كان في ذلك الكلام مبالغة، لكنه إنما يعبر عن مدى ما اتصف به المنصور قلاوون الذي سينعكس على أدائه حينما يصبح سلطاناً للدولة المملوكية، والسلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي النجمي تولى السلطة في اثنى عشر من رجب لعام 678هـ/1279م، وكان مدة حكمه أحد عشر سنة وثلاث شهور<sup>(2)</sup> وله فتوحات مشهورة نصر بها الإسلام<sup>(3)</sup> ومن أشهر فتوحاته طرابلس التي استعcessت عليه حتى استطاع فتحها<sup>(4)</sup> كما استطاع فتح المرقب<sup>(5)</sup> وجبلة<sup>(6)</sup> واللاذقية<sup>(7)</sup> سنة 688هـ/1289م<sup>(8)</sup> وحصن المرقب هذا الذي لم يستطع صلاح الدين فتحه ولا الظاهر بيبرس وكان هذا الحصن لا يصل إليه النشاب ولا حجارة المنجنيق، وكان فيه من الضرر على المسلمين ما لا يعلمه إلا الله تعالى، استطاع الملك المنصور قلاوون فتحه بعد

(1) العسقلاني، الفضل المؤثر في سيرة الملك المنصور، ص 25.

(2) القرماني، أخبار الدول، م 2، ص 274.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 271.

(4) العسقلاني، الفضل المؤثر، ص 149.

(5) المرقب: هو من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك وبناؤه على جبل شامخ وخارجها ربض ينزله الغرباء ولا يدخلون قلعته وافتتحه من يد الروم الملك المنصور قلاوون وعليه ولد الناصر ابن المنصور قلاوون. رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 99.

(6) جبلة: هي ذات انهار مطردة وأشجار وتبعد عن البحر نحو ميل واحد وبها قبر الإمام إبراهيم ابن ادهم وبها نخل وزرع وفواكه. رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 95.

(7) اللاذقية: هي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي ذكر في القرآن أنه يأخذ كل سفينة غصباً. رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 98. وهي مدينة عاتمة آهلة كثيرة الخصب والخيرات ولها ميناء. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 2، ص 645.

(8) ابن دفنا، النفحة المسكية، ص 86.

محاصرته ثمان وثلاثون يوماً وكان ذلك سنة 684هـ/1285م<sup>(1)</sup> وقد توفي المنصور قلاوون في ست من ذي القعدة 689هـ/1290م ودفن بالمنصورة<sup>(2)</sup> كما كان لابن الملك المنصور قلاوون الناصر محمد الذي كان مهيباً شجاعاً فتوحات جليلة، فقد كان حريصاً على شراء المماليك لقوية الجيش والخيول الأصيلة، حتى أنه اشتري خيلاً بمائتي ألف درهم دفعة واحدة واشترى الملوك الواحد بمائة ألف درهم حتى يقوى جيشه<sup>(3)</sup> وقد اشتهر من أبناء قلاوون الأشرف خليل الذي كان له الشرف في القضاء على آخر معاقل الصليبيين في الشام حيث حاصر عكا واشتد القتال وقام جيشه المملوكي بردم الثغر والخنادق، حتى صارت طريقاً يسلكها الراجل والفارس حتى انتصر المسلمون وغنمو وأسرموا وسبوا الحلال وكان عدد الأسرى ثلاثة آلاف والقتلى لا يحصوا، وبعد تحرير عكا تمكن من تحرير صور وعنتيل وصيدا وبيروت وحيفا<sup>(4)</sup> وقيل في ذلك أنه تم انقطاع الإفرنج وزوال دولتهم من بلاد الإسلام<sup>(5)</sup> وكان المنصور قلاوون هو الذي أوصى ابنه الأشرف خليل بفتح عكا<sup>(6)</sup> كما استمر الجهاد متواصلاً في عهد الناصر حسن سنة 761هـ/1359م، حيث استعاد سيس وأذنة بالأمان وطرسوس<sup>(7)</sup> عنوة وحرر المصيصة وقلعاً أخرى<sup>(8)</sup> ومن بعده استمر الأشرف شعبان<sup>(9)</sup> بالجهاد حيث أخذ الفرنج

<sup>(1)</sup> ابن الفرات، ج 8، ص 18-17.

<sup>(2)</sup> القرطامي، أخبار الدول، م 2، ص 274.

<sup>(3)</sup> المقريزي، السلوك، ج 3، ص 322. الفقشندي، مأثر الانفاف، ج 2، ص 146. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 269.

<sup>(4)</sup> المنصورى، مختار الأخبار، ص 92. ابن دمقاق، الفتحة المسكية، ص 91.

<sup>(5)</sup> العليمي، الأنس الجلينج، ص 393.

<sup>(6)</sup> العسقلاني، الفضل الماثور، ص 149.

<sup>(7)</sup> طرسوس: مدينة كبيرة بها سوران من حجارة وهي كثيرة المتاجر والعمارة والخشب الزائد بينها وبين الروم جبال متشعبه وتبعد عن البحر 12 ميل وبها حصن. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 2، ص 647.

<sup>(8)</sup> القرطامي، أخبار الدول، م 2، ص 287.

<sup>(9)</sup> الأشرف شعبان: بويغ يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة 764هـ بعد الملك المنصور المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان عمره 20 سنة. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 302.

الإسكندرية 767هـ/1365م وأسروا العديد من المسلمين، فخرج لهم السلطان برقوق فهزم

الفرنج وقام السلطان بتجديد سور الإسكندرية وما تهدم منه سنة 775هـ/1393م<sup>(1)</sup>

ومما سبق يتضح مدى حرص السلاطين المماليك على تطهير الأراضي الإسلامية من

الصلبيين إضافة إلى حرصهم على صد الغزو المغولي من أجل الحفاظ على الهوية العربية

الإسلامية للأرض والإنسان ، ومن هنا يمكننا أن نخرج بدلالة واضحة حول النظام العسكري

الذي اعتمد المماليك في حربهم وجهادهم ضد أعدائهم من خلال اعتمادهم إستراتيجية الردع

والحرب الاستباقية، وهي تعد من أحدث النظريات العسكرية في الوقت الحالي .

---

<sup>(1)</sup> الفرمانى، أخبار الدول، م2، ص289.

## الخاتمة ..

بتوفيق من الله عز وجل انتهت هذه الدراسة عن النظام العسكري المملوكي، بدءاً بنشأة المماليك وأصلهم، إلى التطبيقات الحربية لنظامهم العسكري، حيث أن هذا النظام كان بمثابة جبهة الإنقاذ للعالم الإسلامي بعد أن سقطت عاصمة الخلافة بغداد على يد هولاكو، كما استطاع هذا النظام إنهاء الوجود الصليبي تماماً من خلال طرد آخر صليبي من عكا على يد الأشرف خليل بن قلاون، وعلى أية حال فإن النظام العسكري المملوكي استطاع أن يحافظ على الحضارة الإسلامية، ولم يكن نظاماً عسكرياً فقط، بل تعدى ذلك بأنه كان نظاماً دينياً حضارياً اجتماعياً اقتصادياً وهذا ما مكن دولة المماليك من البقاء فترة طويلة من الزمن وقد ظهر خلال هذا النظام عدد من القيادات التاريخية المحسوبة على التاريخ الإسلامي أمثال سيف الدين قطز والظاهر بيبرس والمنصور قلاون الذين كانوا استمراراً للفادة المسلمين عبر التاريخ الإسلامي أمثال عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، على أن هناك نتائج وصل إليها الباحث من خلال هذا البحث أهمها:

1- أن الجيش المملوكي تميز بكتافة قتالية عالية بسبب تمرسهم وتدريبهم على القتال والعسكرية

منذ نعومة أظافرهم وقد ارتبط التدريب العسكري بالنشأة الدينية الإسلامية بصورة كبيرة.

2- ظهر بشكل واضح انحياز السلاطين المماليك لأبناء جنسهم بشكل عنصري فقد انعموا عليهم

بالغالي والنفيسي واعتبروهم الطبقة الأولى في المجتمع فكان ذلك سبباً في أبعاد العرب وأهل

البلاد الأصليين عن مركز القرار السياسي والعسكري وهذا ما ظهرت إرهاصاته في الوطن

العربي على الخصوص بعد ذلك وحتى يومنا هذا.

3- لوحظ اعتماد المماليك بالملابس والتزيين والأبهة حتى وقت الحروب وبيدو ذلك نتيجة لشعورهم

بأن ذلك عوضاً عما كانوا فيه من عبودية في نشأتهم.

4- ارتبطت قوة النظام العسكري المملوكي بقوة السلطان نفسه خلال العصر المملوكي.

5 - على مر العصر المملوكي حكم السلاطين الأقواء من خلال الانقلابات العسكرية واغتيال السلاطين ولم يكن حكماً مستقراً ويبدو ذلك لأسباب منطقية وهي انه لا يوجد من هو أحق من الآخر بالملك فكلهم تم شراءهم من أسواق النخاسة وبالتالي فكل منهم يعتبر نفسه أحق بالملك إذا كان الأقوى. كما لوحظ من خلال فترة الحكم المملوكي ومعاركهم أن النصر مرتبط بدرجة كبيرة بجانبين الأول مراقبة الوازع الديني للجندى ووجود قائد قادر على إدارة المعركة، وارتبط التطور للنظام العسكري المملوكي بوجود الحروب فهي الدافع للتطور وفي حال الهدوء كان النظام العسكري يركن ويضعف. وكانت بداية القوة للنظام العسكري المملوكي كانت في عهد قطز وزادت القوة في عهد بيبرس ووصلت الذروة في عهد قلاوون وأبناءه وبدأت بالانحدار في عصر المماليك الجراكسة. وأن ظروف نشأة المماليك كان لها دور كبير في شدة بأسهم وخشونتهم.

6 - يسجل للمماليك تقنيات عسكرية فريدة من نوعها ومتقدمة لم يستطع العرب حتى الآن اخذ العبر منها مثل إعداد الجندي المحارب حيث أن المماليك اهتموا بخلق الجندي منذ طفولته وتعلمهيه وتدربيه وتقنياته وهذا ما لم يلاحظ في العصر الحديث عند بعض المسلمين.

7 - استخدم المماليك استراتيجيات متعددة في الحروب لم تستخدمها الجيوش الأخرى حيث كان لدى النظام العسكري المملوكي مهارات قتالية متنوعة سواء من التراث الإسلامي الذي سبّهم أو التراث المغولي الذي عاصروه من خلال مناطقهم الأصلية أو ما أخذوه عن الصليبيين وهذا ما كان له دور كبير في تحقيق الانتصارات على الجانبيين المغولي والصليبي.

8 - كان لقيادة النظام العسكري المملوكي دور كبير في تقسيم الجيش وترتيبه وإعداده مهنياً ودينياً وإيجاد فرق متعددة المهام مثل الفرق الاستكشافية والعيون والفرق الموسيقية واهتموا بتصنيف الجيش وعدم العبث بالفرق المختلفة وتحمل أعباء التكاليف من أجل إبقاء الفرق ذات المهام المحددة من خلال تخصيص ميزانيات وأماكن خاصة لفرق المتعددة.

- 9- إن العرب كان لهم دور كبير في معارك النظام العسكري المملوكي من خلال المتطوعين ولكن السلطة المملوكية حرمتهم من حقوقهم وامتيازاتهم، بيد أن العرب وأصلوا تقديم العمل العسكري التطوعي لفهمهم أن الجهاد واجب حتى ولم يجني العرب ثمار ذلك الجهاد.
- 10- عرف النظام العسكري المملوكي قيمة الأسطول البحري فمعاركهم مع الصليبيين بحرية الأساسية ولذلك قاموا بإنشاء أسطول بحري ضخم أدى المهام المنوطة به.
- 11- كان للنظام العسكري المملوكي اهتمام مميز بالبريد ومحطاته عبر مناطق النفوذ لإدراكه بقيمة البريد ووصول الأخبار أول بأول.
- 12- كان تعامل المماليك في الحروب والمعاهدات مبنياً على الشرع الإسلامي ولم يتتجاوزه بأي حال من الأحوال وظهر ذلك جلياً في معاملتهم لأسرابهم من المغول والصليبيين.
- 13- أن من أسباب دخول التتار في الإسلام هو انهيار النفس داخل الإنسان التترى أمام أبناء جنسهم من المماليك فكانوا قدوة للتتار فذابت شخصية التتار وهويتهم أمام الإسلام بعكس الصليبيين الذين كان لديهم هوية وخصوصية لم يستطع المسلمين التأثير فيها.
- 14- أن من أسباب ضعف المماليك انتشار المسؤولية والتمييز العنصري الذي اتبعته الإداره المملوكية في كثير من الأحيان ضد العرب.
- 15- أتقن النظام العسكري المملوكي لعبة المفاوضات بين الفينة والأخرى مع أعدائهم واستطاعوا إبرام الكثير من المعاهدات التي كان من شأنها مصلحة المسلمين والتي كان لها دور كبير في توالي الانتصارات وتحاشي الهزائم في الأوقات غير المناسبة للنظام العسكري المملوكي.
- لقد استطاع النظام العسكري المملوكي التوفيق بين المؤسسة العسكرية وأمراء الحرب من جهة والمؤسسة الدينية المتمثلة بالعلماء من جهة أخرى واستطاعوا توظيف المؤسسة الدينية.
- وان الباحث في هذا الموضوع يخرج بعدة حقائق منها:
- أن الحرب على المغول والصليبيين كانت حرباً إسلامية ولم تكن قومية أو إقليمية.

- أن الجهاد والمقاومة هما السبيل الوحيد لتحرير فلسطين وأن السلام لا يسمن ولا يغني من جوع وما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

- أن القيادات والسلطتين الذين حرروا البلاد والعباد كانوا من المتمسكيين بكتاب الله وسنة رسوله ولم يكونوا زعماء بلا هوية دينية وأن لكل فرد في المجتمع سواء من العامة أو العلماء أو المتفقين دور في صياغة مشروع التحرر وإن تحرير أي أرض إسلامية لا يمكن أن يتم بمعزل عن الأمة الإسلامية، ويحتاج إلى وقت طويل وإمكانات متنوعة وكافية. كما أنه يجب بث الوعي في الشعوب بعدم الرضوخ أو التنازل مهما كانت الظروف ومهما كانت قوة الأعداء، ويلاحظ أن من يحتل فلسطين من الأعداء على مر العصور ليسوا دولة واحدة وإنما تحالف لقوى الشر ويكون عنوانهم المشترك حرباً مقدسة على الإسلام.

- ضرورة تربية الأبناء على حب الجهاد منذ صغرهم والقيام بإجراءات عملية لتدريبهم وليس مجرد نقاقة كلامية، ووجوب استمرار المقاومة والجهاد وبث روح الجهاد في نفوس الشعوب وعدم الركون إلى أي سلام وضرورة دعم الحركات المقاتلة لكي تبقى الشعلة وان لم يشغل المقاومون بأعدائهم انشغلوا بأنفسهم. وفي النهاية يمكن أن يوصي الباحث بضرورة البحث في مجال علم الاجتماع للدور السلبي للمجتمع في العصر المملوكي من خلال وجود حوادث الاغتيال ومبرراته ولماذا لم يستذكر المجتمع تلك الحوادث، وأيضاً يمكن تناول قضية اغتيال قطر أو العلاقة بين بيبرس وقطر.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن استغفر الله وأتوب إليه وما كان من صواب فمن الله وأما الخطأ فمن نفسي.

والله من وراء الفصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

الباحث

الملاحق

## خريطة توضح حدود الدولة المملوكية



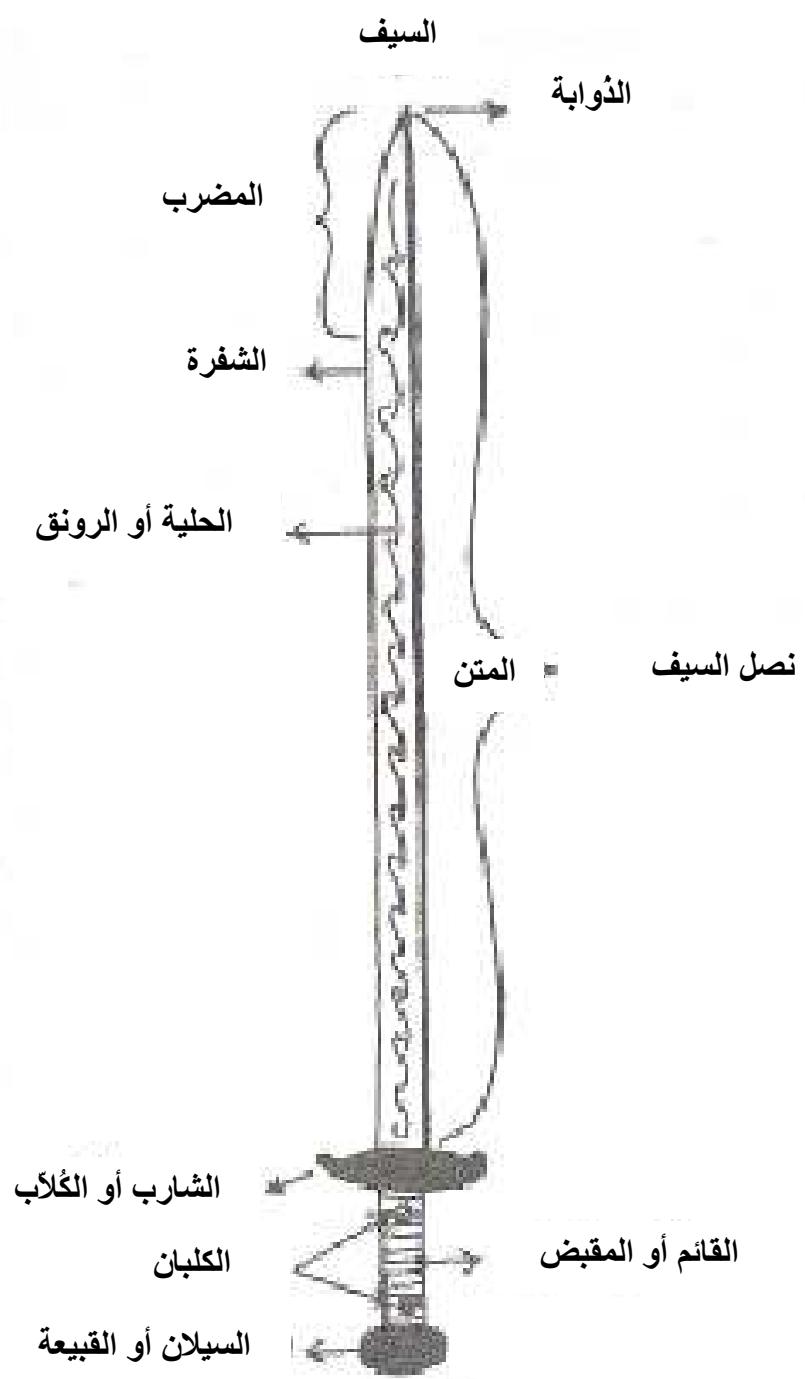
شكل رقم (1)

## المماليك البحريية

الحكم	الحاكم	
1257-1250	المعز عز الدين أبيك	1
1259-1257	المنصور نور الدين علي بن أبيك	2
1260-1259	المظفر سيف الدين قطز	3
1277-1260	الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	4
1279-1277	السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد برقة خان بن بيبرس	5
1279-1279	العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس	6
1290-1279	المنصور سيف الدين قلاون الألفي	7
1293-1290	الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاون	8
1294-1293	الناصر محمد بن قلاون	9
1296-1294	العادل زين الدين كتبغا المنصور	10
1298-1296	المنصور حسام الدين لاجين	11
1308-1298	الناصر محمد بن قلاون	2-9
1309-1308	المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	12
1340-1309	الناصر محمد بن قلاون	3-9
1341-1340	المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاون	13
1342-1341	الأشرف علاء الدين كوجك بن الناصر محمد	14
1342-1342	الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	15
1345-1342	الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	16
1346-1345	الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	17
1347-1346	المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	18
1351-1347	الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن الناصر محمد	19
1354-1351	الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	20
1361-1354	الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن الناصر محمد	2-19
1363-1361	المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي بن قلاون	21
1376-1363	الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن محمد بن قلاون	22
1381-1376	المنصور علاء الدين علي بن شعبان	23
1382-1381	الصالح زين الدين حاجى	24

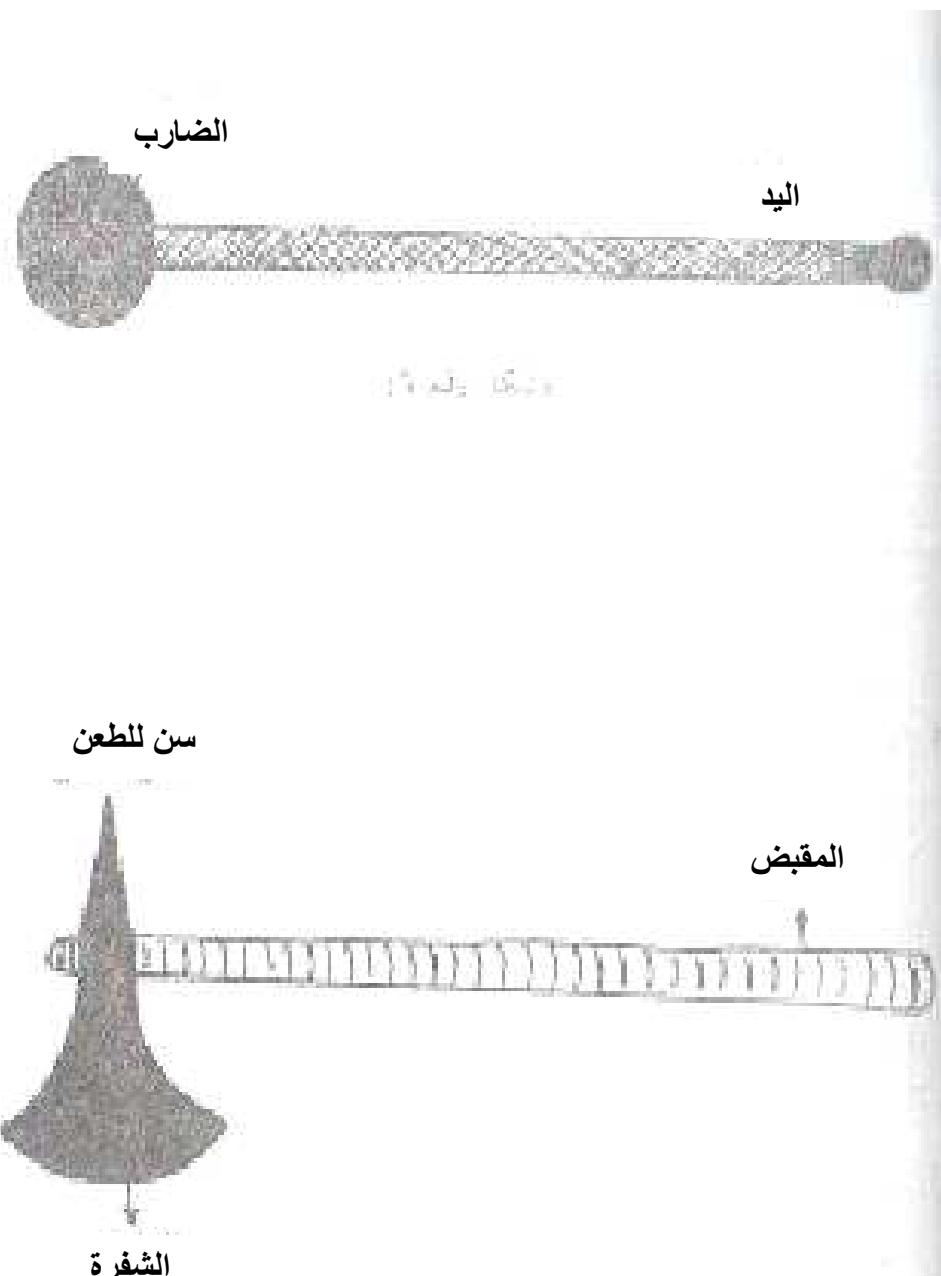
## المماليك البرجية

الحكم	الحاكم	
1399-1382	الظاهر سيف الدين برقق بن أنس البيغلوى	1
1405-1399	الناصر فرج بن برقق	2
1405-1405	المنصور عبد العزيز بن برقق	3
1412-1405	الناصر فرج بن برقق	2-2
1412-1412	المستعين بالله أبو الفضل العباسى	
1421-1412	المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	4
1421-1421	المظفر أحمد بن الشيخ	5
1421-1421	الظاهر سيف الدين ططر	6
1422-1421	الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	7
1438-1422	الأشرف سيف الدين برسباي	8
1438-1438	العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	9
1453-1438	الظاهر سيف الدين جفمق	10
1453-1453	المنصور فخر الدين عثمان بن جفمق	11
1460-1453	الأشرف سيف الدين إينال العلاني	12
1460-1460	المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال	13
1467-1460	الظاهر سيف الدين حُنّقدم	14
1468-1467	الظاهر سيف الدين بلباي المؤيدي	15
1468-1468	الظاهر تمر بغا الرومي	16
1496-1468	الأشرف سيف الدين قايتباي	17
1497-1496	الناصر محمد بن قايتباي	18
1497-1497	الظاهر قانصوه	19
1498-1497	الناصر محمد بن قايتباي	-18 2
1500-1498	الظاهر قانصوه الأشرفى	20
1501-1500	الأشرف جنبلاط	21
1501-1501	العادل طومان باي	22
1516-1501	الأشرف قانصوه الغوري	23
1517-1516	العادل طومان باي	-22 2



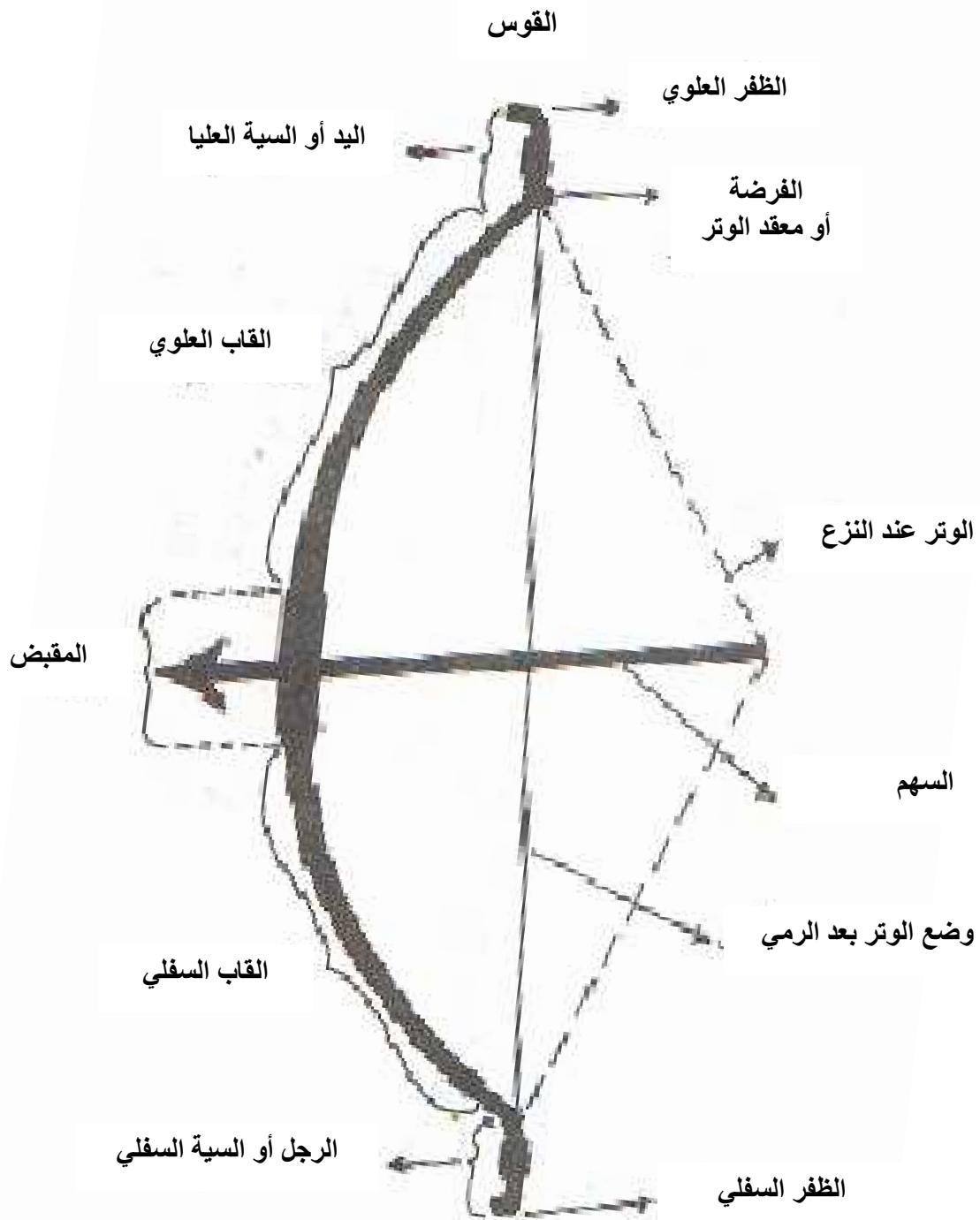
شكل رقم (2)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 116



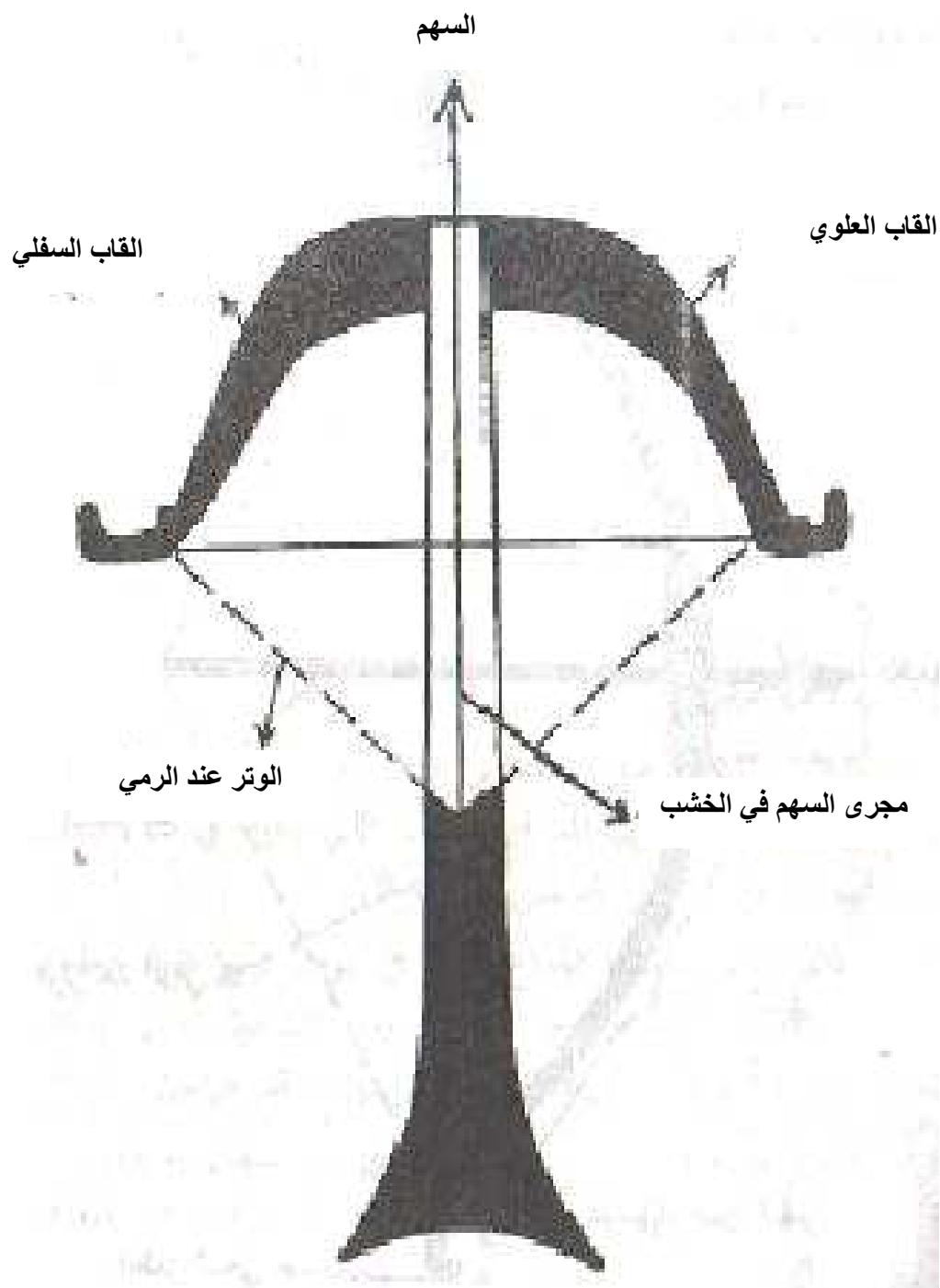
شكل رقم (3)  
دبوس وبلطة

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 119



شكل رقم (3)

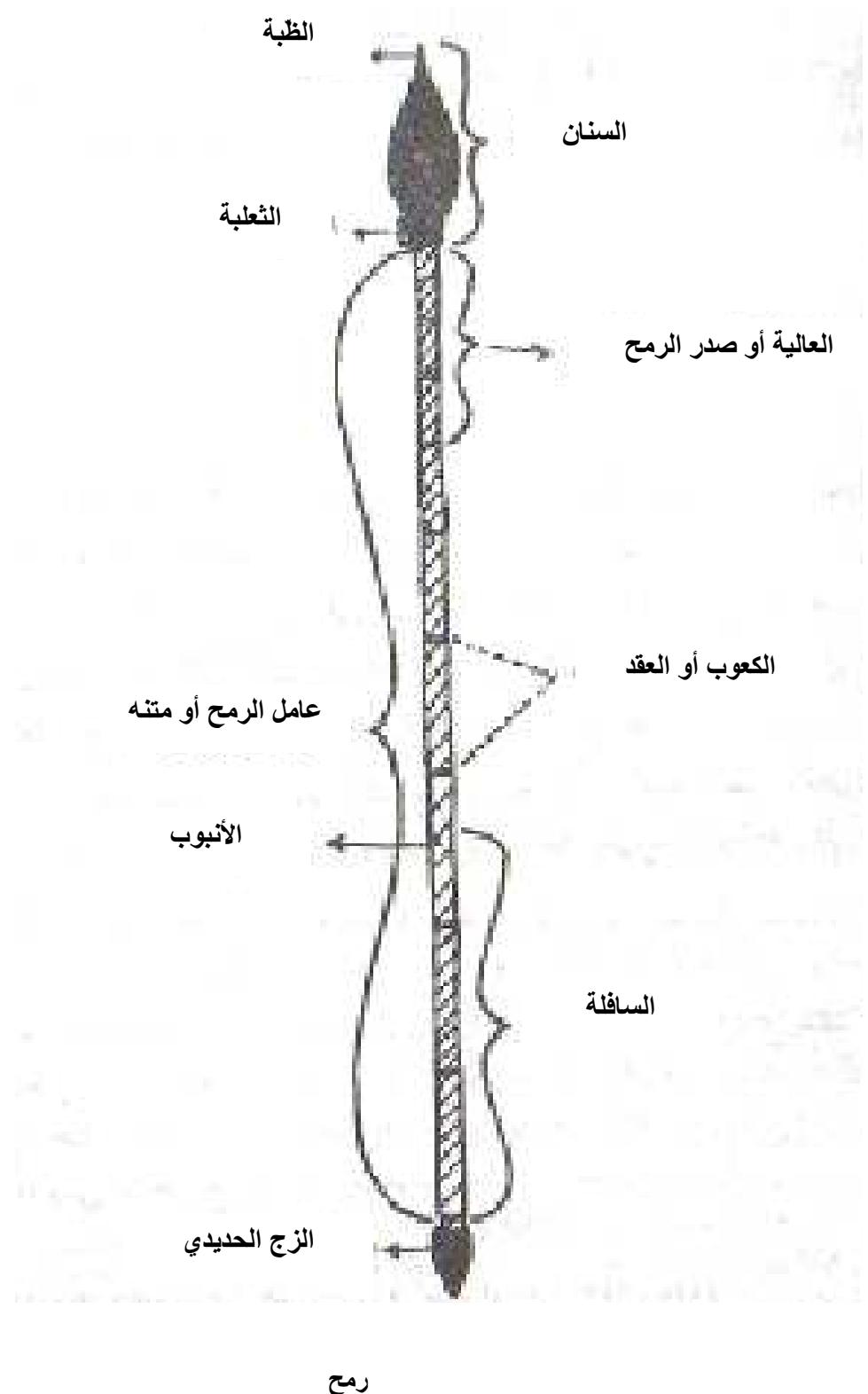
خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 109



شكل رقم (4)

قوس

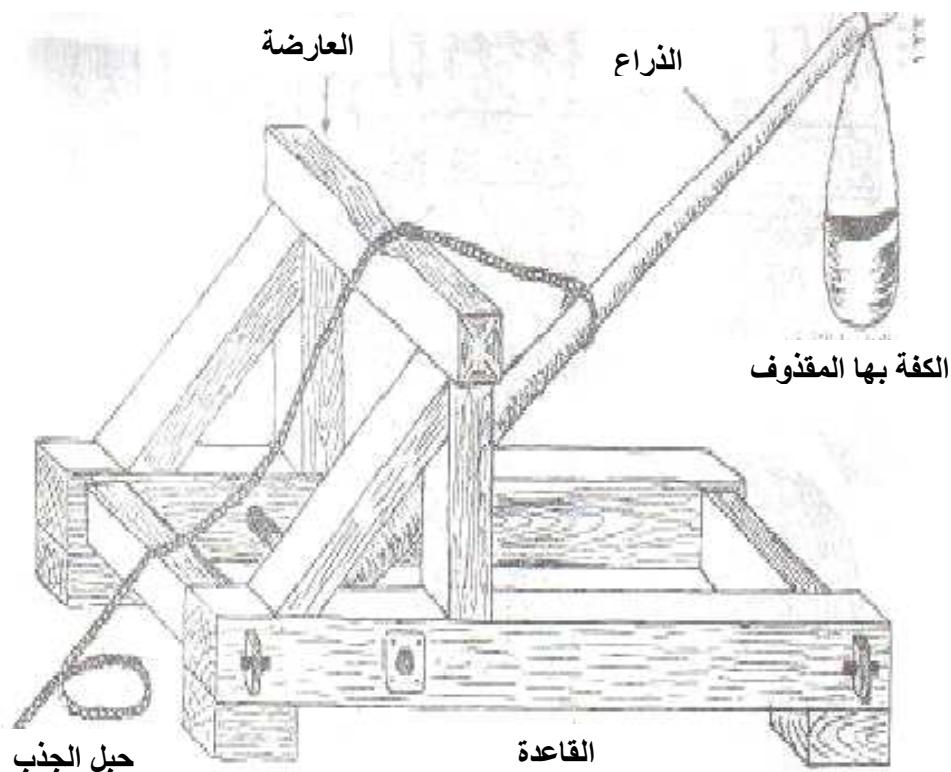
خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 110



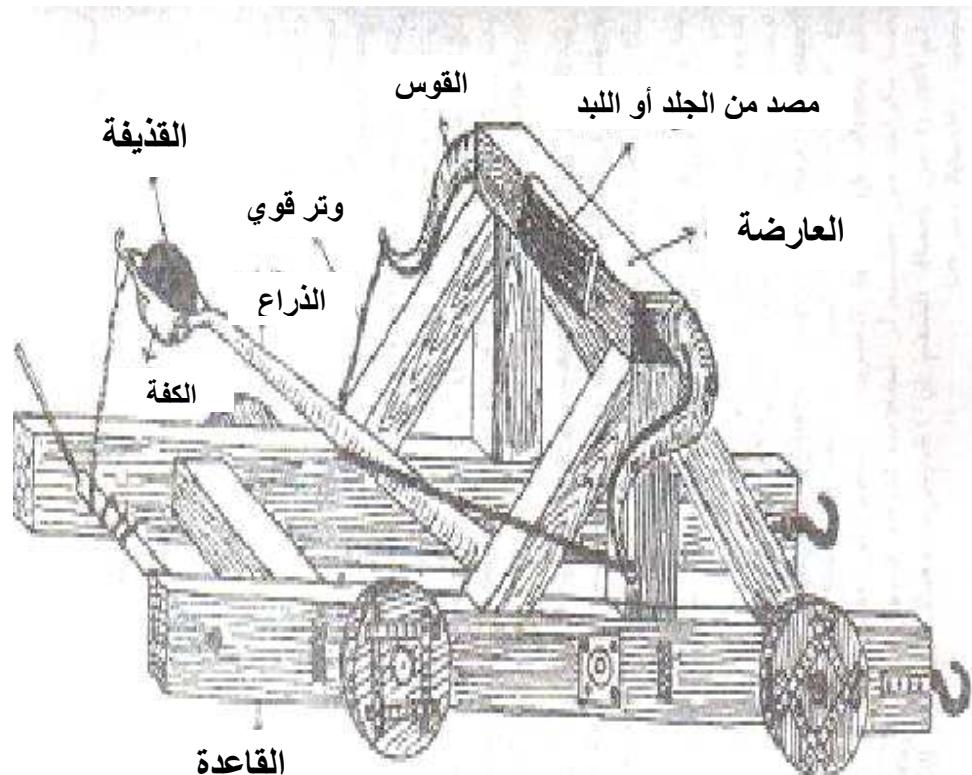
شكل رقم (5)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 113

## منجنيق



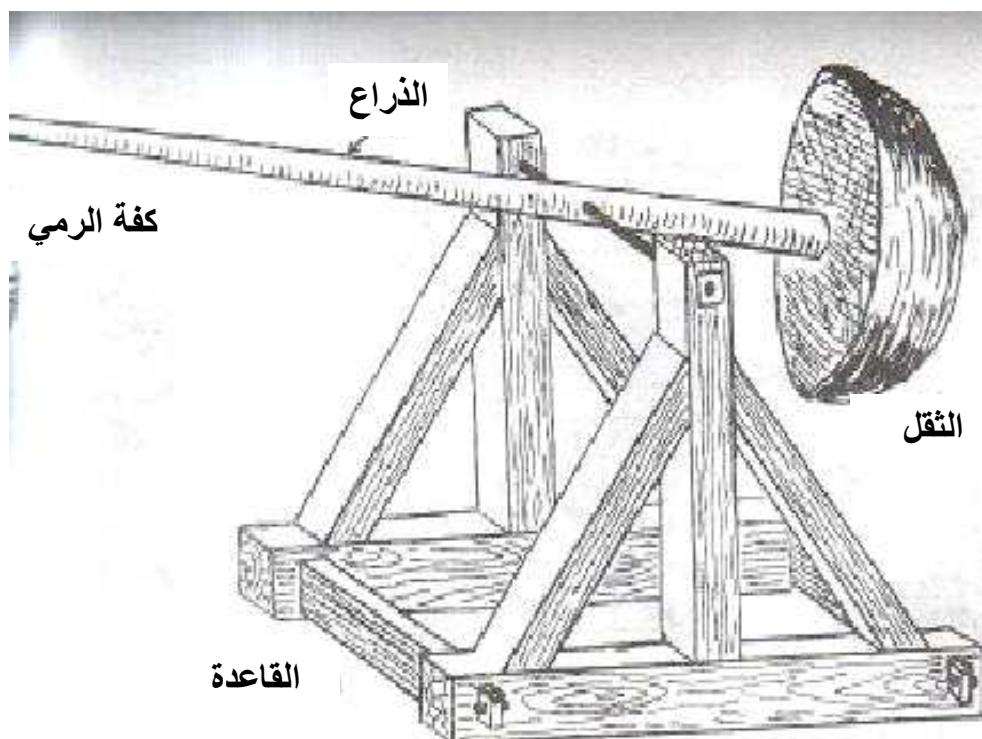
شكل رقم (6)



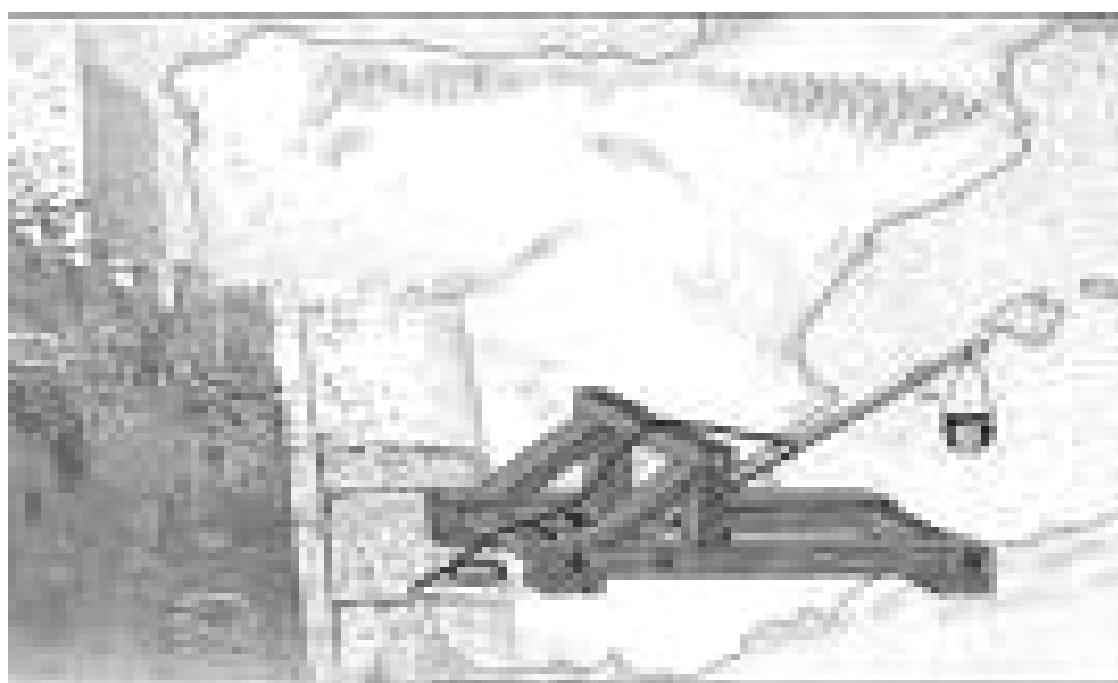
شكل رقم (7)

خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 122 – 123

## منجنيق

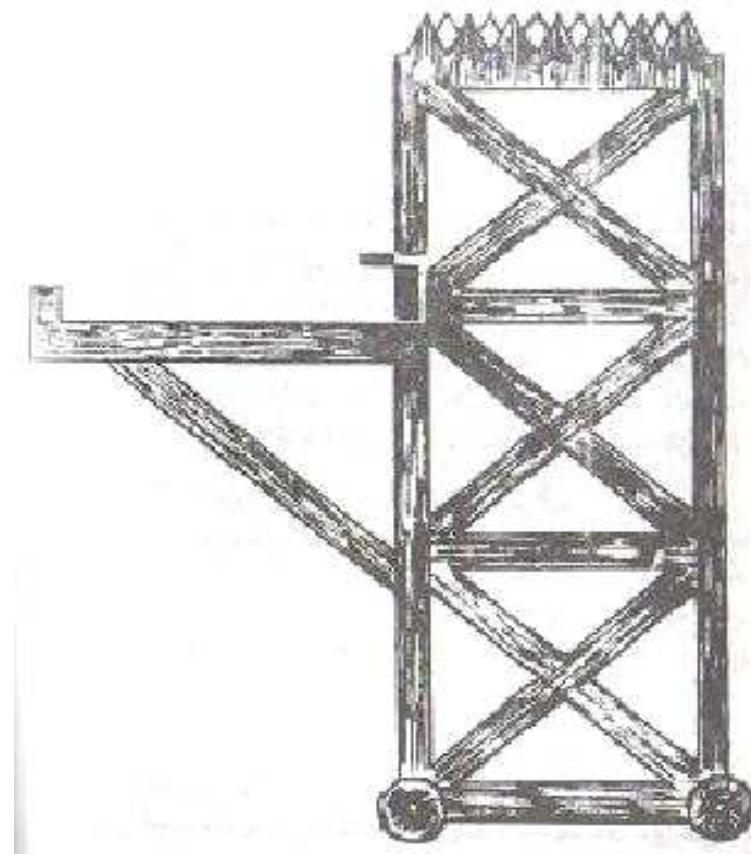


شكل رقم (8)

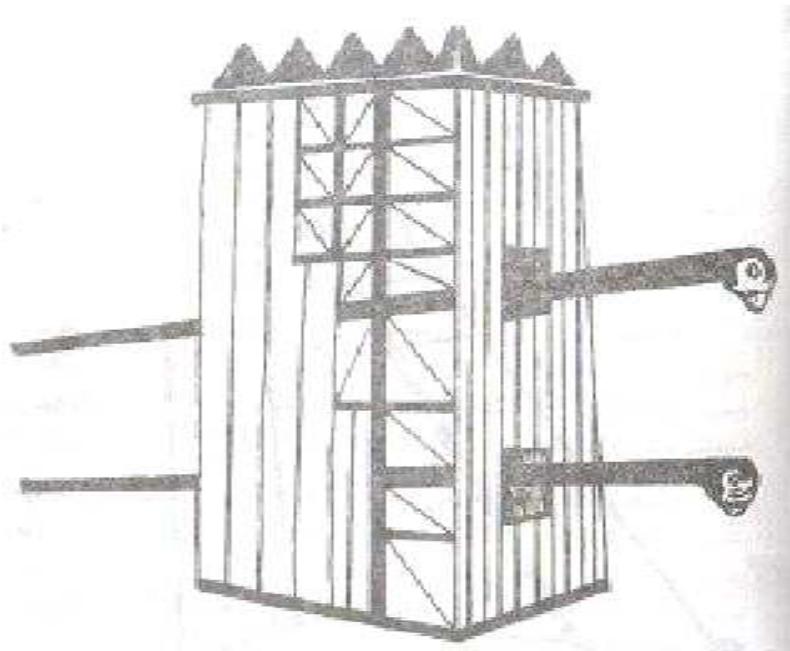


شكل رقم (9)

**الدبابة**



شكل رقم (10)

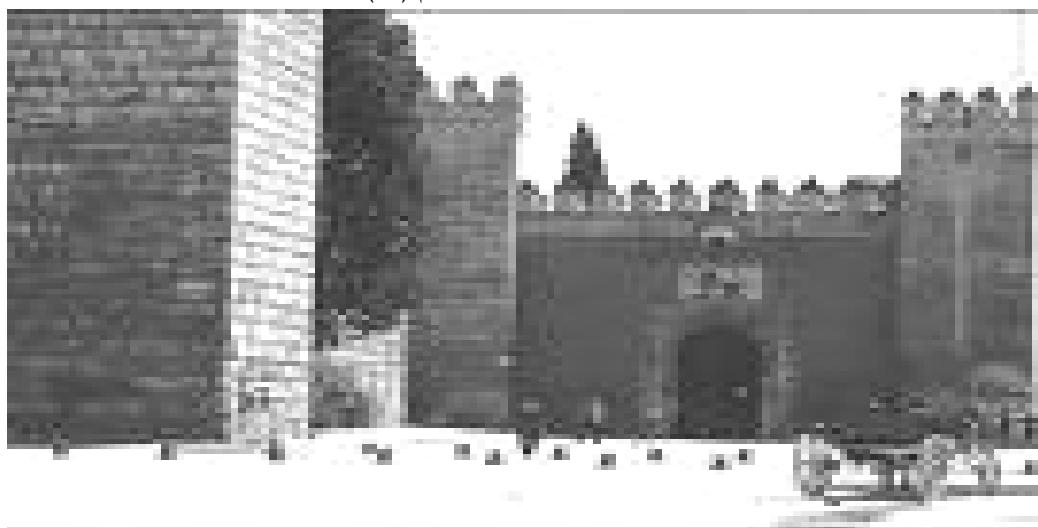


شكل رقم (11)

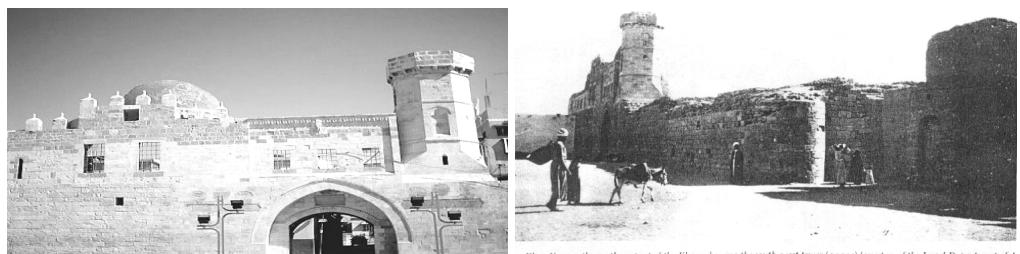
**خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ص 126**



شكل رقم (12)



شكل رقم (13)



الصورة الأولى لقلعة برقوق بخان يونس في القرن التاسع عشر والصورة الثانية حديثة

شكل رقم (14)

[www.islamicirbed2.jeeran.com](http://www.islamicirbed2.jeeran.com)

[www.aljazeeratalk.com](http://www.aljazeeratalk.com)



شكل رقم (15)



شكل رقم (16) قلعة الشوبك

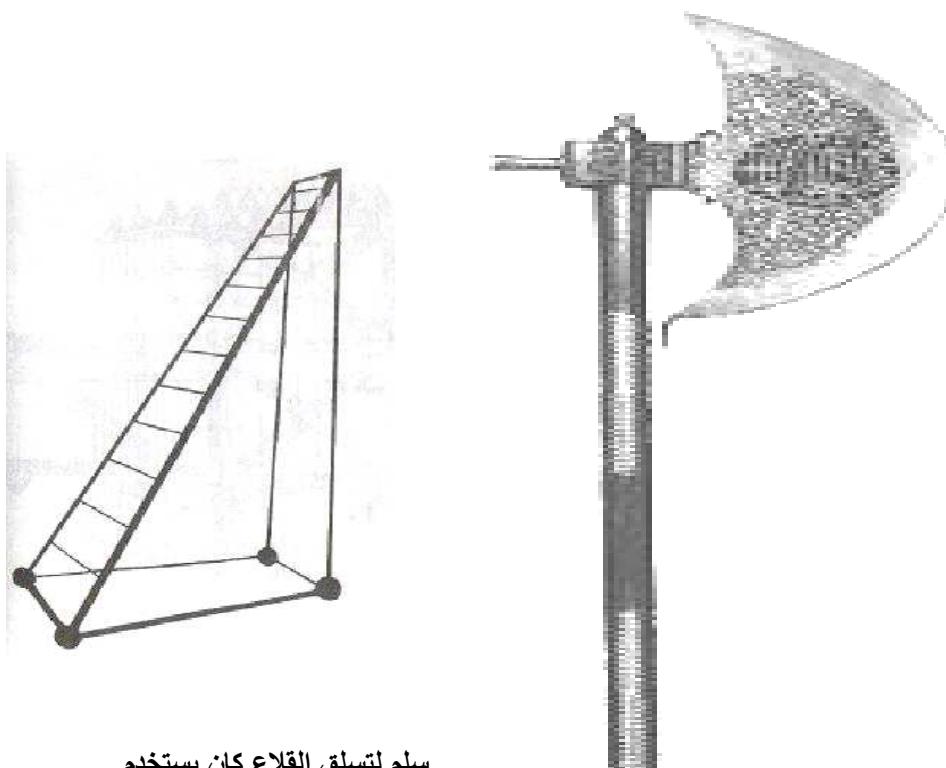


صورة لقلعة الكرك (من الجو) شكل رقم (17)



قلعة الشوبك

شكل رقم (18)



**سلم لتسق القلاع كان يستخدم**

شكل رقم (20)

**بلطة** شكل رقم (19)



**غطاء رأس** كان يلبسه الجندي المملوكي

شكل رقم (21)



صورة للوحة قديمة لجنكيز خان (Genghis Khan) مؤسس الإمبراطورية المغولية

شكل رقم (22)



صورة للإمبراطور قبلاي خان المغولي

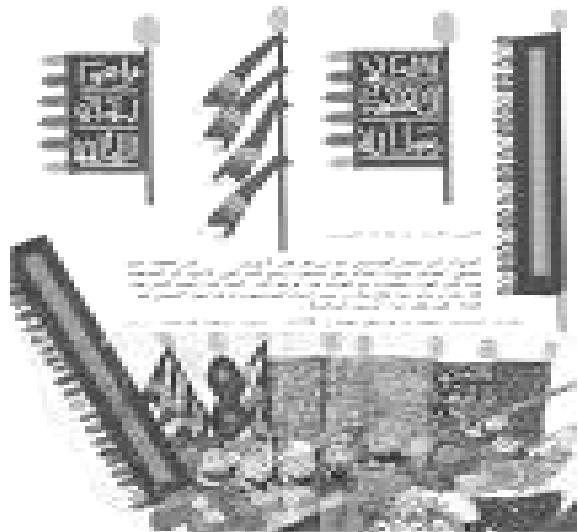
شكل رقم (23)



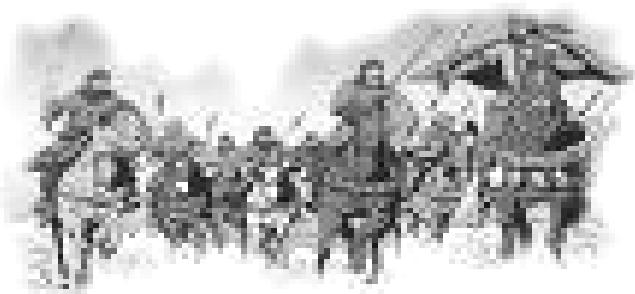
شكل رقم (24)

صورة لرجل مغولي يرتدي الزي التقليدي للمقاتل المغولي

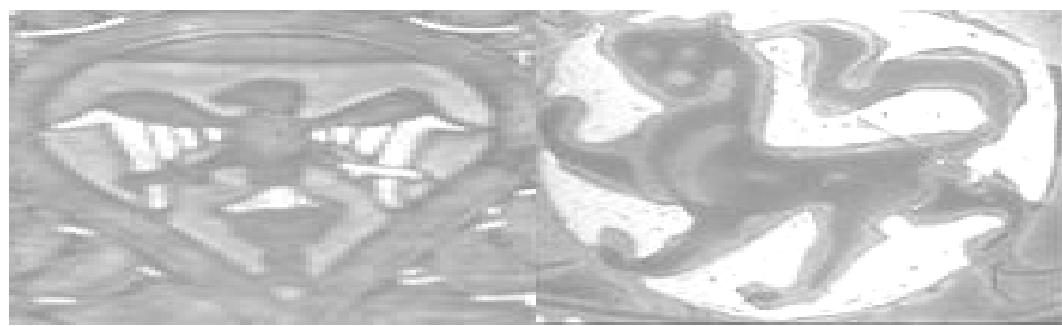
[www.turkmens.forumup.com](http://www.turkmens.forumup.com)



شكل رقم (25)



الكردوس والطلب شكل رقم (26)



رنوك مملوكية شكل رقم (27)

[www.hebarank.blogspot.com](http://www.hebarank.blogspot.com)  
[www.coptichistory.org/new](http://www.coptichistory.org/new)

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم

المصادر:

\* الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت 560هـ / 1166م):

نرفة المشتاق في اختراق الآفاق (اسطوانة مكتبة التاريخ والحضارة الإصدار الثالث)

\* ابن إيس، أبو البركات محمد بن احمد بن إيس الحنفي (ت 930هـ / 1523م):

نرفة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق محمد فهيم محمد عزب، ط 1، مكتبة

مبولي، القاهرة، 1995م.

\* ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ / 1232م):

الكامل في التاريخ، 10 أجزاء، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط 2، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1995م.

\* ابن أجاء، محمد بن محمود الحلبي (ت 881هـ / 1477م):

- العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك (مع رحلة الأمير يشك بن مهدي الدوادار) (صنعة

محمد أحمد دهمان، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986.

- تاريخ الأمير يشك الظاهري، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الفكر العربي، مطبعة

المدنى، القاهرة.

\* الأصفهانى، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت 439هـ / 1039م):

حلية الأولياء، 10 أجزاء، ط 4، دار الكتاب العربي، 1405هـ.

\*الأصفهاني، عماد الدين (ت 597هـ / 1200م) :

البرق الشامي، تحقيق فالح حسين، 2 جزء، ط 1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 1987م.

\* ابن أبي أصيبيعة، موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن خليفة (ت 668هـ / 1269م) :

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1 جزء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

\* البخاري، محمد ابن إسماعيل (ت 256هـ / 869م) :

صحیح البخاری، 4 أجزاء، تحقيق مصطفی دیب البغاء، ط 3، دار ابن کثیر، بيروت، 1987م.

\*البصري، علي بن يوسف بن احمد (ت 905هـ / 1500م) :

تاریخ البصري، تحقيق أكرم حسن العلبي، ط 1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1408هـ.

\*ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ولد سنة 703هـ / 1303م) :

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، 2 جزء، تحقيق د. علي المنتصر الكتاني، ط 4، مؤسسة الرسالة، 1405هـ.

\*البلذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ / 892م) :

فتح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، 1 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

\*الترمذی، أبو عیسی محمد بن عیسی بن سورۃ بن موسی بن الضحاک السلمی (ت 279هـ / 892م) :

الجامع للسنن (اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

\*ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ / 1469م) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، 2 جزء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط 1، عالم الكتب، 1990م.

\* ابن أبي جراده،كمال الدين عمر بن أحمد(809هـ/1456م) :

بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار،ط1،دار الفكر،بيروت،1988م.

\* ابن الجوزي،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(597هـ/1200م):

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،6أجزاء،ط1،دار صادر،بيروت،1358هـ.

\* ابن الجيعان،القاضي بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني(ت902هـ/1497م):

القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف (رحلة قايتباي إلى بلاد الشام 882هـ-1477م) تحقيق عمر

عبد السلام تدمر و جروس برس،ط1،1984م.

\* ابن حجر العسقلاني،أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي(ت852هـ/1361م):

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،6أجزاء،ط2،تحقيق محمد عبد المعيد خان،مطبعة دائرة المعارف

العثمانية،حيدر أباد،الهند،1972م.

\* الحموي أبي الفضائل،محمد بن علي بن نظيف:

التاريخ المنصوري(تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)،تحقيق بو العيد دودو،مطبعة الحجاز ،دمشق،

1981م.

\* الحموي،ياقوت بن عبد الله(ت626هـ/1229م):

معجم البلدان،5أجزاء،دار الفكر،بيروت.

\* ابن حنبل،احمد أبو عبد الله الشيباني(ت241هـ/855م):

فضائل الصحابة،تحقيق وصي الله محمد عباس،ط2،جزء،1983.

\* الحنفي،أحمد ابن إبراهيم(ت876هـ/1471م):

شفاء القلوب في مناقببني أيوب،تحقيق مدحية الشرقاوي،مكتبة الثقافة الدينية،مصر،1996م.

\* الحنفي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (ت 1067هـ / 1656م) :

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 2 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

\* ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي:

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، 1992م.

\* الخشاب، أخبار أهل القرن الثاني عشر (تاريخ المماليك في القاهرة)، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، عماد أبو

غازي، ط 1، العربي، القاهرة، 1990م.

\* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ / 1405م) :

- مقدمة ابن خلدون، ط 5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.

- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من

ذوي شأن الأكبر، ط 1، 5 جزء، دار القلم، بيروت، 1984م.

\* ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ / 1282م) :

وفيات الأعيان وأنباء الزمان، 8 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968.

\* ابن خياط ، خليفة بن خياط الليثي العصفوري ابو عمر (ت 240هـ / 854م) :

تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط 2، 1 جزء، دار القلم، دمشق، بيروت.

\* أبو داود، سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشير الأزدي السجستاني (ت 725هـ / 806م) :

سنن أبي داود (اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

\* ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت 809هـ / 1406م) :

- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطانين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ط 1، عالم الكتب، 1985م.

- النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط 1،

المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

\* الدمشقي، أبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى (ولد سنة 847هـ / 1444م) :

نزهة الأنام في محسن الشام، المكتبة العربية، بغداد، المطبعة السلفية بمصر، 1341هـ.

\* الدمشقي، محمد بن عيسى بن كنان الصالحي (ت 1152هـ / 1739م) :

المواکب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل، 2 جزء، منشورات وزارة

الثقافة، دمشق، 1993م.

\* الذهبي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز، أبو عبد الله (ت 748هـ / 1347م) :

- سير أعلام النبلاء، 23 جزء، ط 9، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرفوسي، مؤسسة

الرسالة، بيروت، 1413هـ.

- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام (حوادث ووفيات)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط 1، دار الكتاب

العربي، بيروت، لبنان، 2000م.

- العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، 5 أجزاء، ط 2، مطبعة حكومة الكويت، 1948م.

- الأمصار ذوات الآثار، تحقيق قاسم علي سعد، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1986م.

\* الرازى، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 721هـ / 1321م) :

مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، 1 جزء، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.

\* الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538هـ / 1143م) :

الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، 4 أجزاء، ط 2، دار

المعرفة، لبنان.

\* السخاوي، شمس الدين (ت 902هـ / 1497م) :

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، 2 جزء، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- الضوء اللامع، 6 أجزاء، بيروت، منشورات دار مكتبة.

\* ابن سعد، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت 230هـ / 844م) :

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

\* السالمي أبو المعالي، محمد بن رافع (ت 774هـ / 1372م) :

الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس، بشار معروف، 2 جزء، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ.

\* السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ / 1166م) :

الأنساب، تحقيق عبد الله عمر النارودي، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1998م.

\* السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م) :

- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، ط 4، المكتبة التجارية الكبرى، مكتبة الفجالة، مصر، 1969م.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، دار حياة الكتب العربية، 1968م.

- نظم العقيان في أعيان الأعيان، ط 1، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1999م.

- طبقات المفسرين، 1 جزء، تحقيق على محمد عمر، ط 1، مكتبة و هبة، القاهرة، 1396هـ

\* أبو شامة ، الحافظ المؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت 665هـ / 1267م) :

- ترجم رجال القرنين السادس والسابع (الذيل على الروضتين)، تحقيق محمد زاهد بن حسن الكوثري ، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1974م.

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيقي، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

\* الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ / 1834م) :

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزء، دار المعرفة، بيروت

\* الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو اسحق (ت 476هـ / 1083م) :

طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميسى ، جزء، دار القلم ، بيروت.

\* الصدفي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 764هـ / 1071م) :

- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمام، وزارة الثقافة، دمشق 1992م.

- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق فالح احمد البكور، ط1، دار الفكر بيروت، لبنان، 1998م.

\* ابن طاهر المقدسي المطهر (ت 507هـ / 1113م) :

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

\* ابن طباطبا، محمد بن علي :

الفخري في الآداب السلطانية والدول السلطانية

\* الطبرى، محمد بن جرير أبو جعفر (ت 310هـ / 922م) :

تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، 5 أجزاء ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ

\* الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي (ت 589هـ / 1193م) :

تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسوأ ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق كلود كاهين.

\* ابن عبد الظاهر، محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت 692هـ / 1292م) :

الروضة البهية الزاهرة في خطط المعرفة القاهرة، تحقيق أيمان فؤاد سيد، ط6، 1996م، 1، م.

\* ابن العبري، غريفوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطي (ت 660هـ / 1262م) :

تاريخ مختصر الدول

\* العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت 660هـ / 1261م) :

أحكام الجهاد وفضائله، تحقيق إبراد الطباع، ط 1، دار الفكر، دمشق سوريا، 1996م.

\* العسقلاني، شافع بن علي الكاتب المصري (ت 730هـ / 1329م) :

الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط 1، المكتبة

العصيرية، بيروت، 1998م.

\* العليمي، مجير الدين الحنفي (ت 927هـ / 1521م) :

الأنس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، جزء 2، مكتبة دندس، عمان، 1999م.

\* ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري، الحنفيي الدمشقي (ت 1089هـ / 1775م) :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

\* العيد روسي، سيدني شمس الشموس محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله :

النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

\* ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت 807هـ / 1427م) :

تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين.

\* أبو الفضل الهمداني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت 521هـ / 1127م) :

تكميلة تاريخ الطبرى ، تحقيق ألبرت يوسف كعنان، ط 1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م

\* ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن احمد بن محمد (ت 851هـ / 1448م) :

طبقات الشافعية، 4 أجزاء، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ

\* القرماني، أحمد بن يوسف (ت 1091هـ / 1680م) :

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط 1992م.

\* القلقشندى، احمد بن عبد الله (ت 821هـ / 1418م) :

- مآثر الانافة في معالم الخلافة، 5 أجزاء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ط 2، مطبعة حكومة الكويت، 1985م.

- صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، 15 جزء، دار الفكر، بيروت.

\* ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفدا (ت 774هـ / 1373م) :

البداية والنهاية، 14 جزء، مكتبة المعارف، بيروت.

\* القوچي، صديق بن حسن (ت 1307هـ / 1889م) :

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.

\* ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ / 887م) :

سنن ابن ماجة (اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

\* ماركوبلو (ولد حوالي 643هـ - 724هـ = 1245م - 1324م) :

رحلات ماركوبلو ترجمتها إلى الإنجليزية وليم مارسون ونقلها للعربية عبد العزيز جاويد، 3 أجزاء، ط 2، الهيئة

العامة للكتاب، القاهرة، 1995

\* المالكي، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى:

الديجاج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 1 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت.

\* الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ / 1058م) :

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م.

\***المعيري، زين الدين بن عبد العزيز:**

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق أمين توفيق الطبيبي ، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1987م.

\***المقربي، أحمد بن محمد المقربي التلمساني:**

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م

\***المقرizi، نقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م):**

- المواقع والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية، دار صادر، بيروت.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.

\***المكي العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الله الملك الشافعي (ت 1111هـ / 1699م):**

سمط النجوم العوالي، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، علي محمد عوض، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

\***المكي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني (ت 768هـ / 1366م):**

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، 4 أجزاء، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993م.

\***المنصوري، ببرس، الدوادار (ت 725هـ / 1325م)**

- مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرينية حتى سنة 702هـ) تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1993م.

- التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ المماليك البحرينية في الفترة 648-711هـ)، نشره وقدم له ووضع فهرسه عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.

\* ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت 711هـ / 1311م) :

لسان العرب، 15 جزء، ط 1، دار صادر، بيروت.

\* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ابن بحر بن سنان بن دينار (ت 303هـ / 915م) :

سنن النسائي (اسطوانة موسوعة الحديث الشريف)

\* النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 978هـ / 1570م)

الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، 2 جزء، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.

\* الهمداني، رشيد الدين فضل الله:

جامع التواریخ "تاریخ خلفاء جنکیز خان"، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، ط 1، دار النهضة

\* ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ / 1298م) :

مفرج الكروب في أخباربني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربیع، مصر.

\* ابن أبي الوفاء القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد (ت 775هـ / 1393م) :

الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، 1 جزء، مير محمد كتب خانة ن كراتشي

\* ابن الوكيل، يوسف الملواني (ت 1331هـ / 1913م) :

تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششتاوي، ط 1، دار الآفاق العربية،

القاهرة، 1999م.

\* اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب العباسي:

تاریخ الیعقوبی، 2 جزء، دار صادر، بيروت.

\* الیوسیفی، موسى بن محمد بن یحیی (ت 759هـ / 1358م) :

نزہة الناظر في سیرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيط، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

\*اليونيني،الشيخ قطب الدين موسى بن محمد(ت726هـ/1326م):

ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة 654 إلى سنة 662 هجرية،وزارة التحقيقات الحكيمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية،ط1،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة،1992م.

#### ثانياً: المراجع

\*إبراهيم علي طرخان

النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة،1968، وزارة الثقافة

\*إسماعيل عبد العزيز الخالدي

المغول والدعوة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين(رسالة ماجستير)

إشراف أحمد محمد العسال، عبد الستار فتح الله سعيد،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

السعودية،1982م.

\*أكرم حسن العلبي

معارك المغول الكبرى في بلاد الشام،طبعة الأولى، دار المأمون للتراث ، دمشق،1988م.

\*البيومي إسماعيل

النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، الهيئة العامة للكتاب،1998م

\*السيد الباز العريني

المغول،دار النهضة العربية،بيروت،1986م.

\*السيد عبد العزيز سالم،احمد مختار العبادي

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام،مؤسسة شباب الجامعة،1993م

\* السيد عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم

دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م

\* أحمد حطيط

- قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، الفرات، 2003م.

- حروب المغول (دراسة في الإستراتيجية العسكرية للمغول)، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1994م.

\* أحمد راتب عرموش

قيادة الرسول السياسية والعسكرية، الطبعة الثانية، دار النفائس، لبنان، 1991م.

\* أحمد عبد الرازق أحمد

البذل والبرطة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة)، الهيئة العامة للكتاب، 1979م.

\* أحمد شلبي

الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة، مصر، 1974م.

\* أحمد محمد عدوان

- المماليك وعلاقتهم الخارجية، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

- التاريخ الاقتصادي لدولة المماليك، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، 1998م.

\* أحمد مختار العبادي

- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

\* برتولد شبورل

العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله للعربية خالد اسعد عيسى، راجعه، سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار

حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.

\* بسام العسلي

- فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، الطبعة الأولى ،دار الفكر ،لبنان،1988م.
- المذهب العسكري الإسلامي،طبعة الأولى،دار النفائس،بيروت ، لبنان،1993م.
- المظفر قطر و معركة عين جالوت، الطبعة الثامنة،دار النفائس،بيروت ، لبنان،2002م.
- الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، الطبعة الخامسة،دار النفائس، بيروت ، لبنان، 1992م.

\* الجبرتي

تاريخ عجائب الآثار في التراث والأخبار 3 أجزاء ،دار الجيل،بيروت

\* جونا توفة،يوسف عزت باشا

تاريخ القوقاز ، تعریب خوستوفة عبد الحميد غالب بك ، اسطنبول،1912م.

\* حسن إبراهيم حسن

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الطبعة التاسعة، مكتبة النهضة،1979م

\* حسن الباشا

الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية، الإسكندرية، القاهرة،1978م.

\* حكيم أمين عبد السيد

قيام دولة المماليك الثانية، المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة،1966م،وزارة الثقافة.

\* خالد احمد سلمي زنيد ( رسالة دكتوراه غير منشورة )

المنشآت التجارية في دمشق في العصر المملوكي ، إشراف، بشير إبراهيم بشير،جامعة الخرطوم،1996م.

\* خالد جاسم الجناني

تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني(218هـ-334هـ) 833م-945م، الطبعة الأولى، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، 1989م

\* سحر السيد عبد العزيز سالم

دراسات في تاريخ مصر في العصورين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2002م.

\* سعيد عبد الفتاح عاشور

الظاهر بيبرس، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م.

\* سيمونوفا

صلاح الدين والممالئك في مصر، ترجمة حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م.

\* صبحي عبد المنعم

الشرق الإسلامي زمان الممالئك والعثمانيين، العربي للنشر، القاهرة.

\* صلاح الدين محمد نوار

الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة الممالئك البحري، منشأة المعارف بالإسكندرية.

\* الطباع، عثمان مصطفى الغзи (ت 1370هـ / 1950م) :

إتحاف الأعزاء في تاريخ غزة، تحقيق عبد اللطيف أبو هاشم، ط 1، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، 1999م.

\*طه ثلجي الطراونة (رسالة ماجستير منشورة)

مملكة صد في عهد المماليك، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.

\* عبد الرزاق أشرف الكيلاني

من موافق عظماء المسلمين، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1413هـ.

\* عبد الله سعيد محمد الغامدي

جهاد المماليك ضد المغول والصلبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، جامعة أم القرى، السعودية.

\* عبد المنعم ماجد

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر (دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م.

- طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م.

\* عصام محمد شبارو

السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري المماليك (1250-923هـ=1517م) دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

\* على إبراهيم حسن

تاريخ المماليك البحرينية، مكتبة النهضة المصرية.

\* على الطنطاوي

رجال من التاريخ، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

- \* علي سالم النباهين (رسالة دكتوراه منشورة) نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، إشراف، إبراهيم مطاوع، عبد الغني عبود، الطعة الأولى، دار الفكر العربي، 1981م
- \* فؤاد عبد المعطي الصياد المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1970م
- \* فاروق عمر فوزي، محسن محمد صالح الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، الشروق، 1999م.
- \* قاسم محمد عبده، على السيد علي الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسي والعسكري) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 1995م.
- \* محسن محمد حسين الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبة - أسلحته - تنظيمه - بحريته وابن المراكز التي خاضها) الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986م.
- \* محسن محمد صالح الطريق إلى القدس، دار المستقبل
- \* محمد التو نجي بلاد الشام إبان الغزو المغولي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م.

\* محمد الخضري بك

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، الطبعة الثالثة، مطبعة الثقافة، المكتبة التجارية الكبرى.

\* محمد السيد الوكيل

القيادة والجندي في الإسلام، الطبعة الثالثة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، 1988م.

\* محمد أحمد دهمان

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1990م.

\* محمد جمال الدين سرور

دولة بنى قلاون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي.

\* محمد جمال الدين محفوظ

المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، 1976م.

\* محمد خير هيكل (رسالة دكتوراه منشورة)

الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، الطبعة الأولى دار البيارق، لبنان، 1993م.

\* محمد سهيل طقوش

تاريخ المماليك في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النفائس، القاهرة، 1999م.

\* محمد عبد الحفيظ المناصير

الجيش في العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ، الطبعة الأولى، عمان، 2000م.

\* محمد عبد الغني الأشقر

أتراك العساكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة «784-923هـ = 1382-1517م».

الطبعة الأولى مكتبة مدبولي ، مصر، 2003م.

\* محمد ماهر حمادة

الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي 1258-1516م. (دراسة ونصوص)، الطبعة الأولى، مؤسسة

الرسالة، بيروت، 1980م

\* المحامي، محمد فريد بك

تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، ط 2، دار النفائس، بيروت، 1403هـ

\* محمود السيد

التار والملفو، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، 2001م.

\* محمود سعيد عمران

المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

\* محمود علي خليل عط الله

نيابة غزة في العهد المملوكي، الطبعة الأولى، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1986.

\* محمود نديم، احمد فهيم

الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، 1983م.

\* مفيد الزيدى

موسوعة التاريخ الإسلامي (الهصر المملوكي)، دار أسامة للنشر، الأردن، 2003م.

\* نبيل محمد عبد العزيز

رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليلك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة

\* وهبة الزحيلي

أحكام الحرب في الإسلام وخصائصها الإنسانية، الطبعة الأولى، دار المكتبي، 2000م.

\* يوسف حسن غوانمة

- التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي، الطبعة الثانية، دار الفكر للنشر

والتوزيع، عمان، 1982م.

- معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين الفرنج، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، 1995م.

## **ABSTRACT**

Summary of the research in the English language

The military System in the Mameluke age

The research handle an accurate description on the Mameluke military age between the research consist of an introduction, four chapters , a conclusion, a list of sources and references.

In the first quarter, it deal with country of origin , from which country they were imported as slaves, their military and religious upbringing and achievements through the Ayyubi rule especially in the crusade to rebel the attach on Damietta.

Chapter two deals with organization, formation, significant development, role in the stability of the system from their places of residence, uniforms, feudalism system and military supplies. It is also dealing with the assistant teams, volunteers and their role in battles. In addition, it focused on music and information. In addition, it supported the role of medical teams, engineering and the flays carrier.

In the third quarter, it searches in the supporting institutions, the organization of military affairs for the army through private mail and differences reconnaissance. Also, it focused on prospecting the military plans, management of the battles, treatment of war prisoners and the international agreement between them and their enemies. Then, it talks about the leaders, the military ranks, army weapons, their manufacture, kinds, castles and defense plans.

Chapter four is moving from the oretical to the practical part. It deals with the most important wars against crusaders and Mongols in Ein Galooth: it mentions the most important confrontation with Crusaders, until they were evacuated from the Arab and the Islamic region especially in the coast of Levant.

In the closing chapter, it deals with the recommendation, results and some facts. The researcher stated the sources and references which was adopted in the search.

Islamic university  
High studies  
Collage of Art  
Department of History



Master Degree Titled in

## **The Military System In Al- Mamlouky Age**

658 – 932 H / 1260 – 1517

Prepared by researcher /  
**Hani Fakhri El Jazzar**

Supervised by / Dr  
**Riyadh Mustafa Shaheen**

*Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of  
Master of Arts in Islamic History, Faculty of Graduate Studies, at The  
Islamic University Gaza, Palestine.*

2006 – 2007